

نسمة على النيل

نسمة على النيل .. رواية

تأليف/أسامة علي الصادق

.....

الطبعة الأولى أكتوبر ٢٠١٤

الطبعة الثانية أكتوبر ٢٠١٦

الناشر: المؤلف

موبايل: ٠١٢٢٧٩٧٠٠٣٢

.....

تصميم الغلاف:

المهندس/ طارق الصادق

.....

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

[oelsadek@gmail.com](mailto:oelsadek@gmail.com)

نسمة على النيل  
رواية

تأليف

أسامة علي الصادق



## تقديم الرواية

الذى دفعنى لكتابة هذه الرواية الحقيقية هو ما شاهدته فى العامين الأخيرين من حالات التهجير القسرى - تحت تهديد السلاح - لأبناء الدول العربية المحيطة بنا تحت زعم ثورات الربيع العربى، شاهدت عائلات من مختلف الأقطار العربية سواء من سوريا أو العراق أو ليبيا بل حتى من جنوب السودان، عائلات فرت وهربت وتركت كل شىء من تجارة وزراعة وصناعة وحرف، بل ومدارس وجامعات من أجل أن تهرب بأبنائها حتى يظلوا على قيد الحياة.

جال فى فكرى وخاطرى ما سبق وشاهدته فى مصر من حالات التهجير القسرى من أثر القصف المدمر للعدو الإسرائيلى أثر هزيمة عام ١٩٦٧، وهروب عائلات مُدن القناة .. ويرجع الفضل الأول للتخفيف من معاناة حالات التهجير تلك إلى الحكومة المصرية التى بذلت كل جهودها لإحتواء أكثر من نصف مليون مواطن من أبناء محافظات القناة الثلاث بورسعيد والإسماعيلية والسويس حفاظا على أرواحهم الزكية.

عادت بى الذاكرة حينما كنت أشاهد عائلات كثيرة هربت إلى المحافظات القريبة ومن بينها محافظة الشرقية وأنا أحد أبنائها، كانت عائلات كثيرة تغترش الأرض وتلتحف السماء وهم فى حالة من الحزن والألم النفسى الشديد، لقد أصبحوا لاجئين وتركوا بلادهم الواقعة على القناة والبحرين الأحمر والأبيض بمبانيها الجميلة الحديثة وشوارعها المنمقة وحدائقها الغناء.

هربوا إلى محافظات تنتمى إلى المحافظات الزراعية التي يغلب على سكانها العمل بالزراعة والفلاحة بعيداً عن أنشطة عائلات مدن القناة، كانت الهوة كبيرة بين الطرفين، ورغم هذا تحمل الاثنان المهاجر والمضيف تلك الصعاب وسادت حالة من التعاون والتضحية، لأن مصاب مصر واحد ولا فرق بين جهة وأخرى لأننا جميعاً أعضاء فى جسد واحد وهو مصر الحبيبة.

هذا ما دفعنى لكتابة تلك الرواية التي التقيت بصاحبها المهندس (عادل خاطر) منذ فترة وقص على بعضا من ذكرياته ومضى على هذا وقت طويل، فأسرعت للبحث عنه والتقيت به حيث كان يجلس على شاطئ القناة بنادى الهيئة بمدينة الإسماعيلية وتحدثت معه بما يراودنى، وضحك لهذا وهو يخبرنى بأنها حكاية طويلة وقد تكون مُملة، فطلبت منه أن نترك هذا الحكم للقراء.

والآن الرواية بين يديكم .. عايشوا الأبطال وشباب مصر الرائع الذي كان يحترم المرأة وأتوثة القناة، كما مستقرون أيضاً عن حالات الاندفاع والنخوة لبعض الرجال لتقديم يد العون لإحدى العائلات التي فقدت الأم والدار وأصبحت دون ملجأ تبحث عن مأوى فيدفع الله بأحد عباده الصالحين كي يرطب عنهم شطف العيش والحياة.

مع خالص تحياتى ..

المؤلف

## الأتوبيس النهري

عادل :

كنت أجلس فى الأتوبيس النهري متوجهاً إلى كلية الهندسة المجاورة لحديقة حيوان الجيزة كعادتى كل يوم، وخلال تلك الرحلة كنت أشعر بسعادة متناهية وأنا أستقل هذا اللنش أو المركب الصغير الذى يعمل عمل الأتوبيسات لكن بداخل مياه النيل بعيداً عن الضوضاء والتلوث وتحيط بك مياه النهر من كل جانب؛ هذا هو الشهر التالى للدراسة بالكلية بعد حصولى على شهادة إتمام الدراسة الثانوية العامة بتوفيق وحصولى على مجموع ٧٦% ولهذا وقفت فى الالتحاق بالكلية.

ورغم هذا لم أوفق فى القبول بالمدينة الجامعية لأننى كتبت عنوان شقيقتى المتزوجة على أوراق مكتب التنسيق، ولهذا اعتبرونى من أبناء حى الساحل المجاور لروض الفرج والذى يعمل فيه زوج شقيقتى المعلم (عوض) وهو من مشاهير تجار الفاكهة والخضراوات بالسوق للبيع بالجملة .. لم أحزن لهذا فقد كنت سعيداً بشقيقتى وزوجها، فهى الشقيقة الكبرى ولم يُحالفها الحظ فى الإنجاب، ولهذا كانت تشعر نحوى بشعور الأم نحو وليدها كما انتقل إلى هذا الشعور منذ فترة حيث كانت تعطف علىّ حينما تأتى لزيارة الأسرة بمدينة بورتوفيق التابعة لمدينة السويس.

جلست أمتع عيناى بمياه النهر الفضية وبالأخص حينما يتوقف الأتوبيس فى المحطات المحددة له ومغادرة الركاب له سواء صعوداً أو هبوطاً، شاهدتها .. زميلتى فى نفس الكلية والتي لم أتعرف عليها بعد فنحن

مازلنا نتحسس الطريق فى الجامعة بما فيها من صداقات بين الطلاب والطالبات ورغم هذا كنت أشعر بميل عاطفى نحوها ولم أشعرها بذلك، أعرف أن إسمها (نسمة) لأن إحدى الزميلات كانت تتادى عليها لأمر يخصهما، أصبحت نسمة هى الشيء السعيد فى حياتى والتى تلى متعتى ركوب الأتوبيس النهري، ولهذا فقد كنت أجد المتعتان تجتمعان فى مكان واحد كل صباح حيث تهبط نسمة من مرسى الأتوبيس الكائن بحى بولاق أبو العلا أمام مبنى التلفزيون حديث الإنشاء.

عندما شاهدت نسمة تستقل الأتوبيس شعرت بفرحة وتمنيت أن أعر لها على مكان لكن الزحام كان مثل باقى الأيام فالأتوبيس ممتلىء، فجأة نهض الراكب الذى كان يجلس بجوارى وتلاقت عيونى بعيونها وأشرت إليها بالجلوس وبصوت خفيض خاطبتها:

- " تفضلى يا نسمة " .. بعد أن تمكنت من الجلوس على راحتها نظرت إلى بعيونها الجميلة وعليها نظرة استفسار اعقبها بموأل بسيط :

- احنا نعرف بعض قبل كده ؟

- " أيوه .. إحنا زملا فى الكلية " .. بدهشة !

- " معقول ده .. أهلا وسهلاً .. نسمة يونس .. إسمعلاوية " وأعقبها بابتسامة رقيقة.

- " عادل فوزى من السويس " .. تضحكنا وصافحتنى وهى تردد :

- " بكده نبقى بلديات، الإسماعيلية والسويس وبورسعيد يعتبرم بلد واحد " .

- " فعلا .. بلد واحد .. " .

- " إحنا وصلنا المرسى .. الكلام خدنا " .. سبقتها لخارج الأتوبيس ومددت يدي لمساعدتها لكن الرجل الذى كان يسير خلفها دون قصد ضغط بقدمه على نهاية حذائها أثناء الخطوة التى يأخذها المرء من الأتوبيس للمرسى فخلع عنها الحذاء وسقط فى الماء، وقفت الفتاة فى حالة من الدهشة، والرجل المتسبب فى هذا الموقف وقف حزينا وبعض الركاب رثى لحالها، كل ما فعلته نسمة احتجاجا على هذا التصرف أنها وضعت يدها على فمها حائرة، وخلال هذا كنت أحاول النظر للمياه لعلى أشاهد فردة الحذاء والبعض قدم مواساته لها واقترح البعض شراء قبقاب أو شبشب حتى تصل لمنزلها وترتدى حذاء آخر.

تحرك الأتوبيس وأصبح المكان خاليا فشاهدت فردة الحذاء أسفل سطح الماء بحوالى المتر، لا أعلم ما الذى دفعنى لأن أتخلص من ملابسى بإستثناء قطعة واحدة تمرر عورتى، وهبطت للماء ببطىء حتى استطعت أن أمسك بفردة الحذاء وخرجت بها وقطرات الماء تقطر منها، بعض الركاب الذين شاهدوا الحدث صفق والبعض أثنى على شجاعتى ويقطعة قماش من العامل الواقف على المرسى تم تجفيف الحذاء وخلال هذا كنت أحاول ارتداء ملابسى واستمرت البسمة على الوجوه، نظرت إلى نسمة وهى تشير إلى البلبل الذى ظهر على منطقة الوسط مما أثر على لون البنطلون الذى أصبح داكنا عن باقى الأجزاء.

سرنا معاً وعبرنا الطريق وأصبحنا بجوار تمثال (نهضة مصر) العظيم، توقفت نسمة عن السير ونظرت إلى إيمعان وهى تشير إلى التمثال الذى

يوضح شكل رجل وامرأة من المصريين من أبناء الريف أثناء توجيههم لأرضهم الزراعية، نظرت إلى بهدوء وقالت: بصوت معبر:

- " عادل .. إحنا ح نبقى زى دوول .. دوول أجدادنا وعندهم المروءة والشجاعة إللى شفتها عليك النهاردة " .. مازالت تشير إلى التمثال وتتحدث، بينما أصابنى الصمت ومازالت عيونها الناعسة من الانفعال تنظر نحوى؛ ابتسمت لحديثها وتلعثمت ولم أدر سوى أننى أمزح معها وأردت: " رايحين على سوجنا بالغلة والبيض الصابح والجبنه ... " مما دفعها للضحك ومالت بجسدها للإمام تضرب بيدها على مجموعة المذكرات التى تحملها ثم اعتدلت ومالت بظهرها للخلف ومازالت تضحك حتى اغرقت عيونها بدموع الضحك خلال هذا كنت أشاركها الضحك حتى أقبلت بعض الفتيات ممن يدرسون معنا ويعرفونها وتسائلن:

- " صباحكم قُل .. ضحكونا معاكم " .. مازلت نسمة تضحك ثم أشارت إليهن بالنظر نحو بنطلونى المبتل وعقدت الدهشة الألسنة وإحداهن تجرأت مررده: " ينهارك يا عادل .. عملتها على نفسك " .. مما دفع الجميع للضحك وأنا معهم لهذا الاستنتاج، بعد قليل شرحت لهم نسمة ما حدث وأثناء حديثها كانت شبه حاملة وشاظرت البنات تلك المشاعر وإحداهن قالت: " لقد عثر الأمير على سندريلا بفردة حدائها .. بشرة خير للدفعه بأن هناك قصة حب وقعت بين الحذاء والنيل " .. مما ألهب الحناجر بالضحك.

واصلنا السير وتخلفت نسمة عن الفتيات وسارت بجانبى والزميلات من حين لآخر ينظرن للخلف ويعلقن بصوت خفيض يعقبه الضحك والحديث

الهامس، لم تتحدث نسمة وسارت هادئة؛ تجرأت وأمسكت بإصبع يدها فلم تمنع، سرنا هكذا حتى ولجنا باب الجامعة الرئيسي حيث ندرس هذا العام بكلية العلوم، لا أعلم بالتحديد عما حدث فى هذا اليوم، فقد كنت شبه مُخدر ولم أتعرف على شخوص أصدقائى وأسمائهم ولم أتفهم الدرس ولم أفهم كلمة واحدة من الأستاذ، وكل ما كان يدور بخلدى وفكرى ما حدث صباح هذا اليوم منذ ثلاث ساعات وكيف وانتتى المشجاعة للتخلص من ملابسى ونزول مياه النهر للحصول على حذاء نسمة، بالطبع لم أكن أفكر فى إقامة علاقة معها أو أنتظر أى شكر وثناء ولكنى اندفعت بمشاعرى مثل أبناء مصر الشرفاء وبأن تقديم يد المساعدة للمحتاج تتم دون تفكير أو أى حسابات.

هذا ما دفعنى حيث فكرت لوهلة قصيرة؛ كيف تسير الفتاة دون حذاء ومن أى مكان نشترى البديل ونحن فى الصباح الباكر ومن المحتمل أنها لا تملك نقوداً لشراء حذاء، وأشد ما دفعنى للقيام بهذا العمل أننى شاهدت الحذاء ممتلىء بالماء ولم يغتسل للعمق نظراً لأنه خفيف الوزن وهذا ما شجعنى للقيام بهذا العمل، وأهم شىء لفت نظرى رد فعل الناس فى المكان ثم رد فعل نسمة نفسها، شعرت وقتها أننى بطل، وسمعت سيدة تحدث زوجها بهذا وهى تردد :

- " فيه شباب حلو وجدع زى الشاب ده، دا من حبه لها رمى نفسه فى النيل عشان يجيب جزمتها، شوف بقى لما تطلب منه أى حاجة ح يروح القمر يجيبها على طول، ده هوه الحب الحقيقى، ربنا يخليكم لبعض " ..

تلك الكلمات وغيرها اشعرتنى بالإحراج وأعتقد بأن تعليقات البعض هو ما شجع نسمة على إظهار عواطفها مبكراً نحوى مما ألف بين قلوبنا بتلك السرعة نهاية اليوم الدراسى شاهدتها تقف مع زميلاتها ولاحظت الزميلات أنها تنتظر نحوى فنظرن إلى واحداهن ضحكت تحدثنى :

- " نسمة .. منتظراك عشان تركبوا الأتوبيس النهري، الفردة الثانية مستيالك يا عادل " .. ضحكت واتجهت نحوهن وأنا أردد : أيه سندريلا موجودة هنا مستعد لمساعدتها لإحضار حذائها " .. مما دفع نسمة إلى أن تمسك يدي وتدفعنى أمامها بين ضحكات الجميع وهى تردد : " مافيش غير سندريلا واحده يا أمير! "

سرنا بطول شارع الجامعة حتى مرسى الأتوبيس النهري، لا أعلم ماذا كانت تقول ولم أتذكر ما تفوهت به وقالته ولم أع سببا لكل هذا الضحك والانبساط أمام باب حديقة الحيوان شاهدت فتاة صغيرة تبيع عقود الياسمين والفل فأسرعت بشراء عقد وأهديته لها فسعدت به ووضعته حول عنقها ونظرت إلى قائلة :

- " أيه رأيك فيه ؟ "

- " أنا شايفه إنه ذهب .. يعنى جزء من الشبكة " .. ضحكت ودفعتنى بيدها وهى تردد :

- " عادل .. مش عارفه إيه إल्ली جوالى النهارده .. دى مش عوايدى .. فيه حاجه مهمه حصلت النهارده والحكاية مش جزمة، جزمه عاديه ومش غاليه لكن روحك الفدائية ومشاهدتى لك وأنت بتتغس شويه فى الميه

والناس كلها بتشوف. إيه إللى دفعك لكده، محدش فكر فى أنها حاجه مهمه لدرجة لما خرجت من الميه فيه راجل من الواقفين صفق بيده وهال :  
- المجنون كان ح يضيع نفسه عشان برطوشة !! صدقتى يا عادل، اليوم  
دة نسمة مختلفة عن الأيام إللى فاتت، كل ده بسببك يا عادل، مبتدش  
ليه ؟ ."

- " مش عارف أقول إيه يا نسمة، فردة جزمة تعمل كل ده، طيب لو كان  
عقد أماظ كنت ح تعملى إيه ؟ " .. ضحكت بملء فيها وهى تردد :  
- " كنت ح أخلع عليك تاج الجزيرة " .. ضحكنا معا ورددنا بصوت واحد  
: السلطانية .. استكملنا طريق السير إلى المرفأ وانتظرنا إلى أن أقبل  
الأتوبيس النهري وجلسنا متجاورين وشعرت أن قلبى قفز من مكانه وجلس  
بجوار قلبها وخشيت أن يظل على هذه الحال، بل كنت أخشى أكثر من أن  
يسقط قلبى بداخل المياه حين نستعد للنزول ولا يسعفى أحد بإنقاذه،  
وبالتالى يضيع قلبى ولا يضيع حذاوها !.



## أنا هيمان

نسمة :

أحيا مع عمى التى كانت سعيدة بقدمى للقاهرة والالتحاق بجامعةها  
وبكلية الهندسة، عمى (سعاد) تعيش وحيدة بعد وفاة زوجها وزواج بناتها  
الثلاث وسفرهن للعمل بالخارج، ومن أجل هذا ظلت تحت والدى بألا  
يدعنى أقيم بالمدينة الجامعية وأن أظل أعيش معها كى أدخل الونس  
والدفء لحياتها، مما دفعه للمواقفة على هذا على الرغم من مشقة طريق  
الوصول من وإلى الجامعة عمى تحيا وتعيش بشارع بولاق الجديد أى بحى  
بولاق وهو حى شعبى عريق.

فى هذا اليوم اعتذرت عن نداء عمى بتناول الطعام معها مما أثر  
عليها ودفعها للضييق، جلست بالحجرة بعد أن استبدلت ملابسى بملابس  
النوم الشفافة الرقيقة، جلست على السرير وضمت ساقائى وثبتتهما لأعلى  
وتشابكت يداى من أمامهما وحاولت التفكير والوصول لخيط ما حدث هذا  
اليوم.

كنت فى دهشة من أمور كثيرة، وكانت البداية من كيفية التعارف التى  
تمت بينى وبين عادل حين ركبت الأتوبيس، ثم ما تلا هذا حينما انلخ  
حذاءى وسقط فى الماء والصدمة التى واجهتتى لحظتها؛ فليس معى نقود  
تكفى شراء حذاء آخر كما ستضيع على المحاضرات، وكيف أسير بفردة  
حذاء، كل هذا طرأ على بالى وفكرى وأنا أشاهد فردة الحذاء تغوص بعد أن  
إملاأت بالمياه بالإضافة إلى تعليقات البعض.

لكن أهم ما أفرعنى هو سرعة عادل فى التخلص من ملابسه والنزول للمياه شبه عار إلا من سرواله ولا أعلم ما سوف يحدث وكيف سيحصل على الحذاء؟ وهل يستطيع السباحة أم يلقى حتفه وأصبح أنا المسئولة عن وفاته؟ .. لا أستطيع وصف مشاعرى حينما خرج من الماء ممسكا بالحذاء المبتل يلوح به كأنه ممسك بكأس الدورى العام لكرة القدم والناس تصفق من حوله وتشجعه.

أشعر بخجل مما اعتزأتى أمامه اليوم، ماذا سوف يعتقد عنى وماذا سيقول؟ مجرد إحضاره لفردة حذائى أندفع أبته لواعج الحب وأطره بكلمات طيبة لا يستطيع أى شاب أن يحصل عليها من فتاته إلا بعد أن تتم الخطبة والبعض منهن بعد إتمام الزواج بينما اندفعت وزودته بكلماتى الحلوة دفعة واحدة فى مقابل فردة حذاء، أشعر بالخجل وبأن هذا الشاب من الممكن أن يكون عابثاً ويُخبر زملائه عما قلته له.

ضميرى يؤنبى وأشعر بشيء من العار، لكن لماذا كل هذا الضيق؟ ما حدث قد حدث وبعض كلمات طيبة لشاب عرض حياته للخطر تجعلنى أشعر بكل تلك المشاعر السيئة، إن عادل يستحق قلبى ويكفينى بأننى عثرت على زميل لى كاد أن يضحى بحياته من أجل فردة حذاء وكما قالت السيدة المجاورة لى بأن هذا الشاب يحب تلك الفتاة بجنون وهو على أتم الاستعداد لأن يلبى لها جميع طلبتها دون أن تطلب ونحن النساء نشعر بسعادة أن الرجل الذى يقترّب منا يقدر مشاعرنا.

برافوا يا عادل؛ دون أن تقصد حصنت قلبى وحبى، بل أن هذا الشاب لم يصمت ويستكين ويكتفى بهذا بل زاد من شعورى وحبى له من هديته

المتواضعة في قيمتها المعبرة في معناها بعقد الفل الذي اشتراه لي متمنيا .  
بأن يصبح ذهباً متوجاً لحبناً نحن الاثنين .

أسمع صوت عمتي ينادي عليّ وتحثني على تناول الطعام معها فهي  
جوعى ولا تستطيع تناول طعامها بدوني، حاضر يا عمتي سوف أنهض  
تلبية لطلبك البسيط فقد لبيّ لي صباح هذا اليوم زميلي عادل طلباً بسيطاً  
دون أن أطلبه منه وما الإنسان القويم إلا عطاء دون انتظار جزاءً ولا  
شكوراً .

تلك الليلة شعرت بسعادة غامرة بعد أن أويت إلى فراشي الناعم الرقيق  
خلال الضوء الخافت الذي تسلل من نافذة الشباك المطل على الشارع  
الرئيسي كنت أشاهد خيال عادل يتحرك، ابتسم له خلال الظلام وأشاهده  
ملوحاً لي بتمنيات طيبة وليفة ناعسة تغلفني خلالها الأحلام الوردية؛ ياه ..  
أحلام وردية .. إنه لشيء رائع أن يستقبل الإنسان يومه بحب عملي دافئ  
مثلما حدث لي صباح اليوم لبطولة عادل وفدائيته وتكتمل تلك السعادة وأنا  
مستلقية على سريري وأشعر ببريق عينيه من خلال هذا الضوء الخافت  
وأشاهد خيال عادل معي يودعني بأمنيات طيبة ويجوارى على الوسادة عقد  
الفل يُشع رائحة جميلة تبعد عن أنفي كل الروائح غير المحببة وتجعلني  
أهيم مع أحلامي؛ ياه .. أحلامي .. أشعر بتثاقل في رأسي وأنني في  
طريقي للنوم وكنت أمل باليقظة لبعض الدقائق كي أعيش في تلك الحالة  
من الحب وأتمنى بأن تكون مشاعري هي نفس مشاعر عادل .. آه  
..أثناء .. سوف اقرأ سورة الفاتحة وأغوص في نوم ممتع سعيد .

عادل :

انتهيت من مراجعة دروسى وأستعد للنوم، توجهت للنافذة وقمت بفتحها فسمعت راديو المقهى القريب يذيع أغنية : " يا شبشب الهنا ياريتتى كنت أنا " .. ضحكت بما فيه الكفاية وارتفع صوت ضحكاتى وخشيت بأن أتسبب فى يقظة من حولى .. " شبشب .. شبشب مرة واحدة .. ياه .. طب على كده المطربين ح يستبدلوا الأغنية ويقولوا " يا جزمة الهنا \*\*\* ياريتتى كنت أنا " .

ماذا حدث لى ؟ أخشى أن يعتقد البعض ممن كانوا يراقبوننى أثناء إنقاذ فردة حذاء نسمة بأننى كنت أبغى لفت نظر الفتاة .. هل من المعقول أن يضحى شاب جامعى بحياته من أجل فردة حذاء .. ليس من المعقول لكن المعقول والمنطقى أن تصل الشهامة والمروءة إلى هذا الحد؛ يجب على الخلود إلى النوم فليس من المنطقى أن فردة حذاء تشغل بالى لهذا الحد .

هذا يوم جديد فى حياتى الدراسية لكنه يوم مختلف عن الأيام السابقة لأن نسمة سوف تلحق بى على الأتوبيس النهري، أمتع نظرى بما حولى فأشاهد بعض قوارب الصيد الصغيرة وأرى مدى التعاون بين الزوجين من أبناء الصيادين فى عملية فرد شباك الصيد ثم جمعها بما تحمله من خيرات النهر .

توقف الأتوبيس النهري بالمرسى القريب من مبنى الإذاعة والتلفزيون، تلك هى المحطة التى تركب منها نسمة، هذا هو اليوم الأول بعد حادثة الأمس أو (قصة الأمس) على رأى السيدة (أم كلثوم) .. أشعر بخفقان وضربات فى القلب خشية ألا تأتى رغم أن الأيام السابقة لم أكن أشعر بمثل تلك الحالة، ظهر ضياؤها وهى تهبط بمقدمة ساقها الأيمن لداخل

الأكوييس، حينما دخلت. وقتت تنظر داخل اللنش لعلها تشاهدنى وبالفعل أشرت إليها فأسرعت تلبى دعوتى ونهضت كى تجلس، بابتسامة عذبة شكرتني "مرسي" .. ثم حركت كف يدها اليمنى وربت الجيبة قبل الجلوس كى لا يصيبها التلف ويضيع مجهود الكواء رغم أنها جلست بمقعد آخر لأن المقعد المجاور لى كان مشغولاً؛ رمقتى الرجل الجالس بجوارها وتساءل :

- " تحب تقعد هنا ؟ "

شكرته بهزة من رأسى لكنه نفذ ما قال حيث نهض وتحرك للأمام خطوتين وشاهدته يجلس على أحد الكراسى غير المشغولة ونظر للخلف باشأ باسمأ بأن ساعدنى على أن أجلس بجوارها، أعدت شكرى وتحيتى له واشرت له بيدي بما يعنى بأنك راجل جدع وابن بلد، جلست بجوارها وشعرت بأنها سعيدة بجلوسنا متجاورين ونظرت إلى سابحة بنظراتها فى داخل عيونى وهمست:

- " عادل صباحك فُل وعسل زى الناس فى بولاق ما بيقولوا لبعضهم كل صباح".

- " يا نسمة .. لما أنا صباحى يبقى فُل وعسل يبقى صباحك إيه ؟ "

- " تفنكر إيه يا عادل ؟ "

- " أكيد ميه طرشى بلدى ملهلب "

- " يخرب عقاك .. تشبيهك بقى مخلل خالص، يا الله .. كله فاتح للشهية "

.. لم تكمل نهاية الجملة حيث اندفعت ضاحكة ووضعت كف يدها الأيمن

على فمها ومازلت ضاحكة وظهرت دموع الفرحة من عيونها الجميلة.

- " الحمد لله، وصلنا .. وعلى مهلك، للجزمة تقع ويمكن الفردتين يقعوا  
سوا "

- " تعرف لو حصل ده ح أعمل إيه، ح أنط زيك وكل واحد يجيب فرده ".  
غادرنا الأتوبيس النهري وصعدنا السلم الذي يصل بنا إلى الطريق  
القادم من كوبري الجامعة في اتجاه تمثال نهضة مصر؛ تشابكت الأيادي  
وتوقفت الأنفاس وتلاحقت نظرات العيون وفارت دماء الشباب بداخل  
الأجساد، وخلال هذا كنا نسمع بعض الأصوات لفتيات أو فتيان يتخللها  
أسماء كل منا ونحن في حالة من الغياب والإحساس بالآخر حتى وصلنا  
لباب الجامعة الرئيسي فدلفنا لدخله، وشاهدنا الطلاب والطالبات يسرعن  
في التوجه لقاعة المحاضرات فقد أزف وقت ميعاد محاضرة الرياضة البحتة  
التي كنت أعشق حضورها.

بداخل القاعة انفصلنا عن بعض حيث توجهت نسمة للجلوس بجوار  
الفتيات بينما أكملت طريقى للخلف للجلوس مع الفتيان والبعض منهم همس  
أثناء سيرى باسم :

- " ولّهُ يا عادل، كنت ولا عمر الشريف وفاتن حمامه، إيه ياد كل الحب  
والغرام ده، النهارده كنت أنت ونسمة عاملين زاوية حاده ومحدث يقدر  
يدخل بينكم، حظك يا عم !! "

نسمة :

وصلت لصف البنات اللاتي أفسحن لى المكان للجلوس فى المنتصف  
وإحداهن وضعت يدها على ظهرى أثناء العبور من أمامها وهى تردد :

.. - " يخرب عقلك يا نسمة، العرق بل ضهرك، سهام الحب سخنت جسمك " .. وأخرى تقول : " النهاردة كنتى سندريلا .. عادل ليه حق يغطس عشان فردة الجزمة، ورجلك الحلوة دية سيحت الواد " .. بينما باقى الفتيات غمرهن الضحك وأنا أصبح معهن فى تلك السيرة الحالمة عن الحب وأسراره.

\*\*\*

هكذا سارت بنا العلاقة وازدادت قوة ومتانة والتف من حولنا الزملاء والزميلات وكان عدوى الحب بدأت تزداد اتساعاً، حتى أصبح المنظر العام عبارة عن ثنائيات (أفروديت) إله الحب والجمال، سارت بنا أمور الدراسة بنجاح وأصبحت أوقات الفراغ هى المكافأة السخية التى نتبادل خلالها المكافآت الإنسانية، وحينما كنا نحصل على أجازة (التيرم) أو (عيد القطر) كنت أرافق نسمة إلى الإسماعيلية ومن هناك أستقل أى مواصلة إلى السويس رغم أن هذا يكبدنى وقتاً أطول لكن ما أقضيه مع حبيبتي نسمة كان يشفى كل ألم من آلام السفر الطويل.

انتقلنا للسنة الأولى بالكلية بعد أن أنهينا السنة الإعدادى بنجاح وانخرطنا فى سلك الدراسة التى بدأ يزداد حمل ثقلها وكان العلاج الشافى من مجهود المذاكرة هو الحب الذى أصبح كافياً وفعالاً لنا، ونظراً لأن كلية الهندسة هى الجار الأمين لحديقة الحيوان والجار المواجه لحديقة الأورمان فقد كنا نتبادل الزيارات لأى منهما خلال الفواصل بين المحاضرات أو التدريبات العملية بورش الكلية.

بمضى الأيام لاحظت مدى تورده وجمال نسمة التى كانت تزداد كل يوم رونقاً وجمالاً، وكان معيشتها فى حى بولاق أبوالعلا وهو الحى الشعبى

الأكثرى الذى يحمل عبق التاريخ قد انعكس عليها حيث كانت علاقات الناس تغلفها البهجة والحب، ولهذا كانت تشعر بأنها تعيش وسط بيت عائلة كبير يسع الشوارع والشوارع الجانبية وازدادت علاقتها متانة بكثير من سيدات وبنات الحى وبعض الشباب من أصحاب المهن مثل الكواء والجزار لزوم مساعدة عمتهما فى شراء بعض لوازم المنزل.

نحن فى نهاية العام الدراسى الثانى وخلال ذلك كنت أشعر بأن علاقتنا إزدادت قوة ومتانة، بل إن إحدى زميلات نسمة أسرت فى أذننى ذات مرة أمام بعض زميلاتها بأننا زوجان لكن كل واحد منا يتجه لبيته ينام به ليلته، مما دفع البنات للضحك والبعض منهن لآزمهن الخجل والحياء، ولهذا اقتربت من أذن نسمة أثناء سيرنا وأفصحت لها عن رغبتى بالتقدم لخطبتها هذا الصيف وسألتها عن وجهة نظرها فى هذا القرار، فأخبرتني بأنها سوف تفتح أمها فى هذا الأمر وتتصل بى تليفونيا لدى محل عم (عبده شبار) بائع السماك وافترقنا على هذا القرار ونحن نستعد للعام الدراسى الثالث.

## تسوية العاطفة

سارت حياتي بسيطة هائلة وخلال هذا كنت أحقق النجاح والتفوق الدراسي بالإضافة إلى مظلة الحب التي كانت تحيط بي، كما يحيط بي عطر نسمة المتجدد وبسمتها الصافية المستمرة مما دفعني لتحقيق تقدم ملموس أثناء الاختبارات في الكلية سواء النظرية أو الشفهية أو من خلال المعامل، لم تكن نسمة أقل منى قدرة في التحصيل بل كانت تعاطرنى التقدم والكفاءة.

خلال الأجازة الدراسية بين السنة قبل الأخيرة وسنة البكالوريوس عرضت عليها للمرة الثانية التقدم لخطبتها لكنها لم تحبذ تلك الفكرة .. وفى تلك الفترة كنت فى حالة غير طيبة فقد ألمت بى مشاعر ضيق وتوتر من تصرف أحد المدرسين الذين حصلوا على الدكتوراه حديثاً فى تخصص المفرقات من الإتحاد السوفيتى من محاولته المتعددة للتقرب من نسمة؛ لاحظت كما لاحظ الكثير من الزملاء هذا وبدى لنا أنه معجب بها وكان بادياً أنها لم تبادل تلك المشاعر بل حاولت عدم إظهار أى اهتمام به نظراً لحساسية الموقف مما سبب لى بعض الضيق رغم أن علاقتنا مازالت قوية ناعمة ترفعنا لعالم الأحلام والخيال.

أخبرتني نسمة بأن نترك أمر الخطبة جانباً حتى نتأكد من مشاعرنا الحقيقية وبأنها ليست علاقة زمالة بين طلاب الجامعة، كما يحدث بين الطلاب والطالبات وشاهدنا نهاية مثل تلك العلاقة بين شاب وزميلته وتبين

لنا أنها نوعاً من الزمالة ليس إلا، وكل واحد منهما اعتقد بأنها علاقة حب  
نظراً لصغر الأعمار وعدم الخبرة في مثل تلك العلاقات.  
نسمة :

خلال أجازة نصف العام الدراسي أقبلت أمي باسمة الثغر وجلست معي  
على السرير تحمل بيدها كوباً من الشاي مضافاً إليه الحليب، سعدت بها  
وقطفت عدد من القبلات الخفيفة من على خدها الرقيق الطيب عوضاً عن  
حرمانى منها طوال العام الدراسي؛ شعرت أن أمي تحمل خيراً ساراً ترغب  
في أن تخبرنى به .. نظرت إليها فضحكت وضربت بيدها على ساقى وهى  
تقول :

- " آه على حلاوتك وشقاوتك يا نسمة .. أكيد أنتى عارفه ح أقولك إيه ."
- " لأ مش عارفه يا ست ماما لكن حاسه بيكى ."
- " طيب يا حلوه .. الحكاية أن خالتك أم أحمد جارتنا جيبالك عريس ."
- " عريس .. ولادها لسه فى التعليم المتوسط ."
- " لأ .. مش حد من أولادها طبعاً لكن ابن أختها، المهندس سعيد  
دودج !! "
- " مين .. بتقولى مين ؟ ."
- " بأقولك المهندس سعيد دودج، هيا بتقول أن ده اسم الشهره لأن أبوه  
الحاج مدبولى ."
- " سعيد مين يا ماما .. أنت عارفه سعيد بيشتغل إيه ؟ ."
- " هيا بتقول أنه مهندس ميكانيكى وعنده ورشه تصليح عربيات حاجه كده  
تفتح النفس وكسيب وملو هدومه ."

- " ماما .. سعيد ده معاه دبلوم صنايع وورشجى " .
- " إخص يا نسمة، كده نتريق على الناس " .
- " مش تريقه، ده واقع مؤهله دبلوم صنايع وفتح ورشه تصليح عربيات " .
- " يا بنتى بلاش تنتقور ع الناس وعلى رأى المثل " ضل راجل ولا ضل حيط !! " .
- " ماما .. دا أستاذى فى الجامعه حاول أنه يفتحنى فى الجواز وأنا مرضتشى أقوم أجوز الأسطى دودج !!! ده معقول " .
- " براحتك .. أقوم أنا .. كنت نفسى أفرح بيكى فى أجازة العيد الصغير .. كلها شهرين ونلاقي نفسنا فى العيد ونفرح " .
- " طيب ممكن أفرحك يا ماما " .
- " فرحينى .. أكيد وافقتى على سعيد دودج " .
- " لا يا ماما . لكن عادل زميلى عايز يتقدم ليا وأنا طلبت منه يستنى شويه " .
- " وإنبى بصحيح يا نسمة .. إن كان لادد عليكى خليه يبجى وأنا أكلم أبوكى على الأكل يكون ليا حجه وأقدر أعتذر لخالتك أم أحمد، وأنتى عارفه أنها مت طيبه وفى الروحجه والجايه بتعدى عليا وتجيب ليا طلباتى من السوق، ومش عايزاها تزعل منى " .
- " خلاص ياماما .. اعتذرى لأم أحمد وأنا ح أقابل عادل بعد الأجازة وأعرفه بأنك موافقه وفى العيد الصغير تتم كل حاجه على خير " .
- غادرت أمى الحجره وطارت أحلامى وررفت فوق غصن الشجرة المقابلة للعمارة وكنت أردد : " ياه ياماما .. ريحتينى وختلتنى أفتح معاكى

حكاية عادل بسهولة، طيب يا عادل .. لما أقابلك ح ابشرك بالبشرى إالى أنت بتتمناها .. ياه .. وأنا كمان بأتمناها لكن البنات بتكون مكسوفه وخجلانه، لو عنده تليفون كنت بشرته ومش معقول أكلمه عند بياع السمك عبده شبار، على كل حال كلها عشر تيام باقيين من الأجازة ونتقابل وح أخليك يا عادل تنزل كل يوم النيل تجيب ليا الجزم والصنادل إالى بتقع منى.. ياه .. البنات بيقولوا على رجلى انها جميله وده إالى لخبط عادل وخلاه نزل النيل يجيب ليا الجزمه لأنه كان خايف على رجلى الحلوه .. البنات عليهم كلام ."

وضعت نسمة كوب الشاي الفارغ على الكومدينو المجاور للمسير ونامت على ظهرها فاردة ساقها تنظر لسقف الحجرة وطاربت بأحلامها بعيداً حتى وصلت للسويس ومنها لمدينة بور توفيق، كانت سعيدة ولهذا رقص قلبها الصغير فرحاً وسعادة، كانت لديها رغبة قوية بأن تنتهى الأيام العشرة الباقية على خير وتعود للدراسة وإلى كليتها التى تعشقها وتُفاخر بأنها تدرس فيها وهناك تشاهد الحبيب التى دائماً ما ترسل له برسائل عن طريق قلبها ونبضاته الدائمة سوف تخبره بسعادة بأنها وافقت على حضوره لمنزلها ولقاء والدها الأسطى (يونس) الذى يعتبرونه فى شركة القناة بأنه من أمهر من يقود الأوناش ومعديّة القناة بمنطقة نمره ٦ بالإسماعيلية.

عادل :

أشعر بملل من تلك الإجازة التى حرمتنى من مشاهدة ومحادثة نسمة وسماع صوتها بنغماته الشجية الرقيقة وتطاير عطرها الرقيق إلى أنفى فيزيد من حبى وشوقى إليها وأصبحت عيونى أشد تركيزاً عليها وأتذكر أنها طلبت

- منى ألا أفعل ذلك لأن تلك النظرات تدفعها للاضطراب والارتباك، أشاهد  
أخى الأكبر قادما وما وراء قنومه من مشاكل متوقعة.
- "مالك قاعد كده ليه يا عادل ومسهم ويتبص ع الحيطه .. تعالى ننزل  
نقعد على قهوة المعلم المنجورى ندردش شوية .. أنا خرمان وعاييز أدخن  
حجر معسل سلوم".
- "لا يا مصطفى مليش فى الحكاية دية".
- "أنا عارف .. تشرب شاي ونتكلم".
- "لا سيبنى وخلينى فى حالى".
- "قوم يا عادل .. أكيد حالتك دى بتقول أنك بتحب ودايخ ع البت وهيا  
مديالك الطرشة، أنا خير فى شغل الحريم، ما أنت عارف البت روحية  
بياعة البليلة بالأربعين كانت مدوخانى إزاي قبل ما نجوز".
- "بالعكس يا مصطفى .. زميلتى إللى باحبها إحنا متفقين على كل حاجة  
وناوى أتقدم لخطوبتها وهيا بتأجل كل شوية".
- "ليه بتأجل .. إسمعها منى يا عدول .. رحت بيتها وقابلت أبوها ؟".
- "لا ..".
- "تعرف بيتها ؟".
- "أيوه .. جنبنا فى الإسماعيلية".
- "قوم فز واركب أتوبيس الإسماعيلية وروح قابل أبوها".
- "بس هيا قالت مش دلوقتى".
- "يا عشم .. متسمعشنى كلام الحريم .. مش دلوقتى يعنى دلوقتى".
- "إيه ده يادرش، هيا الحكاية كده".

- " أيوه إمال، عمر الحريم ما يحبوا السكة الدوغرى، لازم لف ودوران، قوم يا ابن الناس أقطع عرق وميخ دم ".

- " ح تطلعها فى دماغى، ما أقوم لأبوها ويا خاطب يا مرفوض ".

\*\*\*

لم تمض عدة دقائق على حديثى مع شقيقى مصطفى ومغادرته لحجرتى حتى نهضت وارتديت ملابسى واحتطت فى نوعيتها من برودة فصل الشتاء وشهر يناير بالذات، وصلت محطة الأوتوبيس فشاهدت خط الإسماعيلية يستعد للتحرك والكمسارى ينادى : " الإسماعيلية .. الإسماعيلية " .. طوالى قفزت بداخله وعثرت على العديد من المقاعد الخالية فتخيرت أحسنها ودفعت ثمن التذكرة وجلست أنظر من الشباك للجهة اليمنى حيث الأشجار والحدائق بعكس الجهة اليسرى التى تكسوها رمال الصحراء.

لم تمض ساعة زمن إلا ووصل الأتوبيس إلى المحطة الرئيسية بالإسماعيلية والقريب من شارع الثلاثينى والأقرب من منزل نسمة، كنت أفكر فيما سوف أقوله لوالدها عمى يونس، أسمع عنه أحاديث طيبة من نسمة ودائما ما تمتدح طبيته وأنه ابن بلد وشهم وجدع، أدعو الله أن أوفق فيما أنا مقدم عليه والذى سوف تترتب عليه مقادير حياتى الاجتماعية القادمة، لقد اطمأن قلبى بأننى سوف أصبح مهندسا بعد شهور والآن أرغب بأن اطمئن لزوجة المستقبل وأم الأبناء.

نسمة :

نهضت من تأملتى كى أساعد أمى فى وضع الطعام على المائدة المتواضعة، لا أعلم كم الأطعمة الجميلة التى غذت رائحتها أنفى وأنف أبى

الذى جاء من عمله منذ دقائق، وقارب على الانتهاء من تأدية صلاة الظهر قبل أن يلحق به موعد آذان العصر الذى قارب على الدنو نظراً لأن يوم الشتاء قصير، وضعنا الطعام وأشاد أبى بمهارة أمى وبأصابعها الذهبية فيما تعده من طعام وتساؤل هل هذه (بطة محمرة) أو (ديك رومى) وكانت بالفعل بطة محمرة وجوارها بعض أنواع اللحوم وتأكد أبى أن أمى لديها علم بأن أختى محمود قادم بالتأكيد لكنها نفتت هذا وقالت أن قلبها أخبرها بأن هناك شخص قادم سوف يتناول طعامه معنا، مما أضحك أبى وطلب أن يأتى هذا الشخص بعد غد عندما تعدين طعام على قدر الحال كالبصارة أو البطاطس دون لحوم.

مجرد جلوسنا وقبل أن نمد بأيدينا للطعام سمعنا جرس الباب وتبادلنا النظرات وضحك أبى ونظر لأمى مردداً : " أكيد أخوكى (حنفى) مراته طردته كعادتها وجاى يا كل معنا " .. ضحكنا لهذا لأن هذا من صلب الحقيقة التى تواجه خالى حنفى طيب القلب وزوجته (إصلاح) شديدة المراس، وهى ابنة المعلم (موزة) أحد الجزائريين بأحد الأحياء الشعبية والتى ورثت عن والدها القسوة والعنف فى تعامله مع زبائنه من الفقراء الذين يذهبون إليه لشراء لحمة الرأس والكارع والفشة والمنبار رغم أنه مازال حى يرزق.

نهضت أمى كى تفتح الباب فطلبت منها أن تنتظر وسوف أنهض كى أفتح الباب لخالى حنفى كى أستقبله استقبالاً طيباً، بينما قال أبى أكيد إالى جاى دلوقتى حماته بتحبه، ضحكت لهذا لأن حماة خالى حنفى كان اسمها المعلمة زبيدة العضاضة، مازلت أسير نحو باب الشقة وقمت بفتحه

وشاهدت ما لم أكن أتوقع حضوره، اضطربت ولملمت قميص النوم وهرعت للداخل وأشرت لأبى الذى نهض مسرعاً فى اتجاه الباب ليرى ويعلم ما الذى أخافنى.

عادل :

ضغطت على جرس الباب وبعد قليل سمعت صوت موسيقى هادئ صادر من رفاص الباب بعكس كل الأبواب، إنه باب نسمة، فُتِح الباب أو قل باب الجنة، شاهدتها تقفت أمامى كالبدر المنير واتسعت حدقة عيونها الجميلة وابتعدت شفاها فظهر ثغرها الصغير وشفتاها من حوله بلونها الأحمر الطبيعى وتساءلت بخوف واضطراب:

- " مين، أنت ؟ "

- " أبوه يا نسمة أنا .. نسمة بتجرى ليه .. وقفت حائراً وفكرت فى الهرب والعودة ثانية لكنى شاهدت والدها قادمًا وتلك أول مرة أشاهده فيها وتساءل:

- " أبوه يا فندى .. فيه أيتها خدمه ؟ " .. بتلعثم :

- " أبوه يا عم يونس .. بس ممكن أدخل بدل ما أنا واقف ع الباب ؟ "

- " وماله يا ابنى .. واجبك كده .. ومن حقاك تاخده "

- " قومى يا أم محمود .. جهزى أكل للجدة الطيب ده يا كل معنا "

- " لا ملوش لزمه "

- " يعنى إيه ملوش لزمه .. اتعلمت الحكاية دية فين .. دا الكرم من

مبادئ المصريين .. اتفضل أقعد يا بنى "

- " أم محمود .. البت المهندمة راحت فين .. أندهى عليها عشان ناكل والشاب الطيب ده ياكل معانا .. باين عليه الجوع ضربه النهارده، حظك يا .. هو أنت اسمك إيه ؟ "

- " أنا اسمى عادل .. عادل يا عم يونس "

- " أهلا يا بنى .. إوعى تكون من البلدية إالى عاملين ليا دوشه اليومين دول وبيقولوا البيت عايز يتصلح لأنه قديم، قال إيه البيت ده من أيام سعد زغول "

- " تعالى يا نسمة .. عادل ح ياكل معانا "

- " أهلا عادل وشرفت "

- " ربنا يخليكى "

- " كل يا بنى .. والله كان قلبى حاسس أن فيه حد ح ياكل معنا النهارده، باين عليك حماتك بتحبك "

- " ياريت "

- " ليه يا ابنى، إوعى تكون حماتك وليه ناشفه زى حماة خال نسمة "

- " بتها ليا إنها ملاك زى بنتها "

- " ربنا يهنيكم ببعض "

نسمة :

دخلت حجرتى وارديت ملابس كاملة لتغطى ما ظهر من جسدى وأنا فى حالة من الخوف والمساعدة، الخوف ما الذى دعا عادل للقدوم ؟ هل حدث شيء ما فى الكلية أو أن أحد الامتحانات التى أنهيناها سيتم إعادتها ؟ لا أعتقد هذا .. هل هو قادم للتعرف علينا رغم أنه يعرف منزلنا لما كان

يقوم به من توصيلي للمنزل أثناء كل زيارة أقوم بها لأسرتي ؟ .. أحاول سرقة نظرات خاطفة إليه وأشعر أن العرق كسى وجهه رغم برودة الطقس .. سمعت كلمة (الحمد لله) .. فقد انتهى عادل من تناول طعامه .. حاولت أمي أن تدفعه لتناول المزيد دون جدوى، نهض وسرت برفقته إلى حوض غسيل الوجه وهناك سألته بدهشة :

- " إيه إللى جابك يا مجنون ؟ "

- " الجنان إللى عندى هوه إللى جابنى "

- " الله يضحكك .. صحيح .. فيه إيه ؟ "

- " جاي النهاردة أقطع عرق وأسيح دم "

- " إيه .. عرق ودم .. إحنا سبنا الهندسه ورحنا الطب ؟ "

- " شوفى يا حلوه، نلبس الدبل النهاردة وإلا ح أفضل قاعد لكم فى البيت "

- " لا .. أكيد شربت حاجه لخبطت دماغك "

- " أيوه .. شربت من عسل نسمة ومن عيونها الحلوه "

- " يخرب عقلك .. بلاش الكلام إللى يودى فى داهية " .. سمعت صوت

والدى يتسائل لماذا تأخرنا وأجبتته بأننا قادمين فوراً.

بقاعة جلوس الضيوف جلسنا نحن الأربعة وقمت بتعريف نفسى لعم

يونس ووالدة نسمة ورحب بى الوالدين أكثر، عرضت رغبتى فى الاقتران

بنسمة ونظر والدها إليها باسماء مؤيداً هذا طالماً أنه سبق ووافقت عليك

كخطيب لها مع تأجيل الزواج إلى ما بعد التخرج وتسلم العمل، كادت أم

نسمة تطلق العديد من الزغاريد لولا أن منعتهها نسمة بأن هذا سوف يدفع

الجبران للقدوم وتقديم التهنة اتفقنا على أن موعد إجازة عيد الفطر القادمة

مناسبة طيبة أقدم خلالها شبكة بسيطة نظراً لأننا مازلنا ندرس ولم نتكسب  
مالأ بعد.

غادرت المنزل وكاد قلبي يرقص فرحاً ووقفت نسمة معى على باب  
الشقة كعادة المصريين حين ينسون بعض الأشياء التي كان يجب التحدث  
فيها شاهدت البسمة الجميلة تضىء وجهها الأبيض النادى وزاد هذا من  
تورد خديها بحمرة خفيفة ألهمت مشاعري وأحاسيسي، وكدت أطلب منها أن  
تمنحني قبلة السعادة فخشيت من غضبتها فأنا أعلم التزامها التي سبق وأن  
نبهتني إليه : " عادل كل خطوة لها احتياجات وعطاء ولا عطاء دون  
الالتزام بسداد الاحتياجات الخاصة بها ".  
نسمة :

غادر عادل المنزل وقدمت لى أمى الدعوات بالبركة والدعاء وقبالتها  
الحانية على خدى ورفعت يديها لأعلى تشكر الله أن منحني الشخص الذى  
يوافق هوايا ورغبتى، بينما ركز أبى فى حديثه مع أمى بأنه سبق وأن حذر  
بأن ترتبط نسمة مبكراً نظراً لجمالها مضيفاً " البننت بتطلع لأبوها : شايقة  
البت حلوه إزاي " مما أضحك أمى وهى تدارى ابتسامتها العذبة وتقول : "   
والنبي يا أبو محمود لو نسمة شبهك لكان هيئة قناة السويس سلموها ونش  
زيك تسوقه .. إيش جاب العصفور الكنارى ده للحداية " .. ضحك أبى ولم  
يغضب من تشبيهات أمى لأنها فى النهاية تصب فى صالح ابنته وأنا أعلم  
مقدار حب وخوف أبى علىّ.

انفردت بنفسى فى حجرتى وضحكت دون صوت على هذا المجنون  
وعُدت إلى رشدى بأننى كنت أتمنى أن اتصل به تليفونيا لكن لا توجد

تليفونات فى منزلنا نحن الاثنين وتليفون المعلم شبار لا تناسب الموقف،  
لكنه أتى ولقد لبي لى الله أمنياتى بأكثر مما طلبت وتمت الموافقة على  
الخطبة دون توتر أو ما شابه ذلك؛ لقد وافقت وسوف أنفذ ما قاله عادل  
أثناء وقوفنا على السلم بأن نشتري ديلتين فضة نضعهما بأصبع كل واحد  
كى يعلم الجميع بأننا أصبحنا فى وضع المخطوبين.

## بداية الكفاح وبناء المستقبل

نهاية شهر يونيو من عام ١٩٦٦ كلل الله مجهودى ومجهود نسمة بالنجاح والتخرج، وعلى الفور توجهنا إلى مكتب العمل حسب النظام المعمول به فى الدولة التى تضمن وظيفة مناسبة لكل فرد حسب المؤهل الدراسى والخبرات التى حصل عليها دون التفرقة بين رجل وامرأة أو بين أبناء الحضر والريف، تقدمنا بمظروف الأوراق لمكتب العمل فى الإسماعيلية والسويس لأن تقديم الأوراق يتم جغرافيا ولهذا قررنا التنزه بمدينة الإسماعيلية الجميلة، جلسنا على أحد الكازينوهات المطلة على بحيرة التماسح نتبادل نظرات السعادة بالنجاح الذى حققناه وننظر بكل أمل لتحقيق باقى منظومة النجاح لتكوين أسرة والعيش معا أسفل سقف حجرة واحدة ولنبدأ فى إنجاب البنين والبنات، لقد احتفلت العائلتان بمناسبة الخطبة أثناء عطلة عيد الفطر الماضى والتى مضى عليها الشهران واستبدلت نسمة بالدبلة الفضة دبلة من الذهب بينما احتفظت أنا بالدبلة الفضة.

كان الوقت بعد العصر واقترب الغروب بينما نسمة تجلس أمامى على كرسي خيزران مزود بثلت من القطن مكسو بأكياس ملونة ما بين البنفسج والأزرق الفاتح، جلست نسمة وعادت بظهرها للخلف بينما كنت أمتع عيناى بخلق الله وإبداعه، أنظر إلى مفاتن جسدها التى تغطيه الملابس وأشعر بمساعدة أنها سلمتتى قلبها وعواطفها وحبها، ترتدى فستان قصير نميبا بألوان واضحة بين الموف والأبيض وشعرها الطويل يتطاير خلف ظهرها

من نعمات الهواء النقي القادم من جهة القناة، أشاهد ساقياها المتناسقتين  
وحذائها ذا الكعب القصير الذى يساعدها على السير متزنة لا تخشى  
عواقب الطريق من الحفر والانبعاجات التى نشاهدها دائما.

تتظر إلى من حين لآخر لكنها كانت مفتونة بمناظر البواخر الضخمة  
التي كانت تمخر عباب الماء بجوارنا قادمة من جهة بلدتى السويس متجهة  
إلى مدينة بورسعيد مرورا بموطن الحبيبة بالإسماعيلية، تنتبه نسمة لوجودى  
فتتظر ناحيتى بعيون ناعسه من أثر سقوط أشعة الشمس على عيونها  
فتظهر منها ابتسامة رقيقة تنبهها إلى ترتيب شعرها الذى تطاير خلف  
ظهرها، نهضت ووقفت واتجهت إلى شاطئ البحيرة محاولة الاقتراب من  
السفن العابرة لتستوضح الصورة ما دفع الهواء لأن يحرك زيل فستانها  
الواسع الفضفاض ليرتفع قليلا فيظهر بعضا من الجمال والسر المدفون  
والمخفى عن العيون أسفل فستانها، مما دفعها لمحاولة ستر نفسها بجذب  
زيل الفستان نحو ساقياها ويدها الأخرى تعيد تجميع خصلات شعرها  
السابح فى الهواء.

كانت أوقاتا جميلة ونحن فى عالم الخيال ولا نملك من الدنيا بعد  
حصولنا على شهادة بكالوريوس الهندسة سوى الحب الطاهر العفيف  
والنظرة إلى المستقبل المنشود، لا نشعر بالخوف من الزمان وتقلباته ولا  
نخشى الأزمات المالية لأننا اعتدنا نحن أبناء الموظفين على أن نفتصد ولا  
نغالى فيما نطلبه ونحيا بالقليل يساعدنا فى هذا الحب المتبادل بين الناس  
والمشاعر الصادقة فدائما بعد أن نتناول أى وجبة طعام اقتصادية دون

لحوم نحمد الله على نعمته وندعو فى سريرتنا بجملة طيبة : " نعمة .. اللهم إحفظها من الزوال " .

عُدت لمدينتى سعيداً فرحاً وكنت فى حالة من الانتظار والترقب لوصول خطاب التعيين، لم يمض علىّ وقت طويل إلا ووصلنى خطاب من مكتب العمل يفيد بتعيينى بوظيفة مهندس بقسم الإسكان بحى الأربعين نظراً لتخصصى المدنى وهو التخصص المكلف بالإنشاءات والمباني وما علىّ سوى التوجه إلى المكتب المذكور وتسليم الخطاب وتقلد الوظيفة المحددة.

وفى اليوم التالى توجهت إلى الإسماعيلية كى أزف البشرى إلى حبيبتى الصغيرة نسمة، بعد أن جلست معها بعض الوقت وقدمت تهنئتها لى بالتعيين أخبرتني بأن خطاب تكليفها بالعمل وصلها منذ يومين وسوف تتسلم عملها بشركة قناة السويس للمعدات نظراً لتخصصها بقسم الميكانيكا والمحركات.

غمرتنا السعادة، فنحن الاثنان وقفنا الله فى الحصول على العمل كل منا بموطنه الأصلى ومن أجل هذا قررت التقدم بطلب لنقلى للعمل بمدينة الإسماعيلية لكن نسمة طلبت منى تأجيل هذا إلى ما بعد عقد القران كى استند فى تقديم طلب النقل لوثيقة الزواج لجمع شمل الأسرة وبالأخص حينما يعلمون أن الزوجة تعمل بالإسماعيلية ولهذا اقتنعت برأيها وقررت التحمل ثلاثة أشهر أخرى كما أخبرنى بهذا عم يونس والداها وقبل نهاية العام سيتم عقد القران وبعدها نحتفل بالزفاف وخلال هذا أتقدم بطلب نقلى لموطن زوجتى.

كنت سعيداً فرحاً وأشعر بأن كل ما يحيط بي من البشر فى الشارع يشاطرنى سعادتى وأفراحى، كنت أشعر بهذا أثناء سيرى من موقع العمل بحى الأربعين إلى منزل أسرتى بمدينة بورتوفيق، كان الجميع يحتفل بى ويغنى معى وكل من يلقانى فى الشارع يرسل لى بتحيته مع دعواته بالتوفيق، قطع على خيالى وعالم السحر والمتعة والمستقبل المنشود شخص يرتدى بالطو كاكى اللون بدين الجسد خاطبنى قائلاً :

- " المهندس عادل زكى خاطر ؟ "

- " أيوه أنا عادل زكى خاطر .. أى خدمة ؟ "

- " بكره بمشيئة الله تقدم نفسك لمنطقة تجنيد التل الكبير، مطلوب تجنيدك "

- " على طول كده .. أنا لسه متخرج بقالى شهرين ؟ "

- " أيوه .. الجامعة بتاعتك بعنت اسمك لهم وعرفوا أنك تخرجت وسقط عنك الإعفاء المؤقت .. متساشي .. بكره تروح عدل على التجنيد والتأخير ح يخلى المباحث تاخذ أمر ضبط وإحضار من النيابة وتقبض عليك "

- " حاضر يا حضرة الصول .. مددت يدي فى جيبي وأخرجت ورقة مالية من فئة الربع جنيهه وناولتها له فأخذها شاكراً وسار يتأبط مجموعة من الأوراق وبقوارها عصا خيزران لا أعلم السبب فى تسلحه بها "

اليوم التالى أخبرت رئيسى فى العمل بطلبى للتجنيد فأكد على حتمية تنفيذ هذا الطلب ومنحنى أجازة يومين مأمورية للتقدم لمنطقة التجنيد موسمياً لى بأنهما يومان أعود بعدها إليهم، مضيفاً بأنه لن يتم تجنيدك لأنك مؤهل

عال والجيش لا يحتاج لأمثالك بل يحتاج إلى أبناء الصعيد والفلاحين لزوم الأعمال الشاقة.

اليوم التالى توجهت لمنطقة التجنيد بالتل الكبير والتي تقع فى حزام محافظة الإسماعيلية على الطريق الواصل لمحافظة الشرقية وهالنى الأعداد الغفيرة الموجودة هناك وأسلوب التعامل الفج والعنيف مع هؤلاء؛ كان واضحاً وظاهراً للعيان أن أغلب المتواجدين من أبناء الفلاحين كما أخبرنى رئيسى فى العمل سلمت الخطاب الذى أحضره لى المخبر (الصول) من مكتب تجنيد السويس حيث قرأ الشاويش الاسم واللقب وعظم من قدرى وأبعدنى عن الباقيين بقوله :

- " الباشمهندز يتفضل جوه فى الإستراحة " .. بعد هذا بدقائق سمعت صوته هادراً سياباً وتعنيفاً كما استخدم العصا الطويلة التى يحملها وطاح بها على ظهور ورقاب المساكين الفلاحين مع استمرار المسباب الوضع الذى اعتبره من أدنى مستوى فى التعامل الإنسانى، كتمت غيظى وحلقى وقررت قضاء اليوم والعودة للإسماعيلية ثم العودة صباحاً لإستكمال الكشف لليوم التالى، وصلنى يقين بأنه لن يتم تجنيدى لأننى شاهدت نوعية المطلوبين للتجنيد.

تحملت أسلوب إجراءات الكشف الطبى سواء من قلة ذوق الأطباء الذين يحتقرون كل واحد أمامهم أو عنف الجنود المساعدين لهم، ظهر هذا اليوم غادرت التل الكبير ومازال يطن فى أذنى تحذير الصول (فاروق) : " مافيش واحد من ولاد الكلب الأنجاس إالى كشف النهاردة وناوى يعيب المعسكر يتأخر عن بكره الصبح وإلا ليلة أمه حتبقى كويبا .. كمان

المقاطيع ولاد الجزم إلی ح یباتوا هنا كل واحد منهم یستلم رغیف جرایة یاكله والحنفیه وراكم والصحرا واسعه ودى بیت الراحة بتاعكم ومحدش منكم یتأمر علینا لأن كلکم متربیین مع البهائم فی الزرایب ."

غادرت المعسكر وكنت من الطائفة التی حصلت على لقب ولاد الجزم الأنجاس، الطریق من داخل المعسكر حتى طریق المعاهدة التی تسیر علیه السیارات لا یقل عن ثلاثة کیلومترات یقطعها الشباب أسفل أشعة الشمس الحارقة ولا یجب علیك السیر أسفل الأشجار الضخمة التی على الأجناب والتی وضعت علیها حراسة تمنع الشباب من التمتع بتلك الرفاهیه والسیر بالظل، لهذا وصلنا إلی طریق السیارات والعرق الغزیر قد بلل ملابسنا بالإضافة إلی درجة الحرارة المرتفعة، وإجراءات الكشف الطبى التی زادت من إرهاقنا مع صدی صوت الوصول الذی ظل یطن بإذن كل واحد منا بعد أن علمنا منه من نحن وماهی أصولنا وقیمتنا فی المجتمع.

الیوم التالی صباحا وقبل السابعة والنصف كنت مع جموع الشباب نقف كى تطل علینا هیئة حضرة الوصول ویطانته من ضباط الصف والجنود والتی تبین لنا أنهم من أبناء الصعید والذین لا یقدرون أبناء الفلاحین ویعتبرونهم أقل منهم رجولة وخشونة، ولهذا فقد كالوا لنا من قاموس الشتائم والسباب ما یكفی لملاً أحد المعاجم القذرة المناسبة لمستواهم.

مُح لمن حضر مبكراً بالدخول وأغلقت الأبواب وشاهدنا من حضر بعد ذلك وكیف أنهال علیهم بعض الجنود بالقواش التی بها قطعة حدید، كادت أن تنفد بصر البعض منهم وسببت الجروح والكدمات للعید والتی

أذلت كرامة الشباب المسكين الذى دفع بعضهم إلى البكاء كالأطفال، انتهى اليوم التالى وحمدت الله ووقفت مع جموع الواقفين كى أتسلم شهادة المعافاة من التجنيد كما أخبرنى رئيسى ويسمى وبعض من رجال منطقة التجنيد هنا، تم توزيع شهادت الإغفاء دون ذكر اسمى ثم نودى على الأسلحة ووجدت نفسى محول إلى كلية الضباط الاحتياط.

ظللت واقفا ولم أنتبه إلا بعد أن حصلت على دفعه قوية من الصول فاروق الذى نبهنى قائلاً: " على الضباط الاحتياط .. واجف ليه .. خلاص ملكش عوزه حدانا " تركته سائرا مثل طفل صغير مات والده وحضر الجنازة وظل بجوار القبر واستفاق من سكرة الحزن بأنه أصبح يتيما ولن يحميه أحد، ولم تعد الحياة جميلة فقد ضاع بكالوريوس الهندسة وضاعت حبيبتي نسمة ولم يعد هناك أمل فى الحياة الطيبة وبالأخص بعد أن شاهدت نوعية من سوف أعمل معهم.

شاهدت أحد الجنود قادماً فى اتجاهى يتسائل عن المدعو عادل زكى خاطر فأشرت بيدي له فجاء محاولاً إظهار احترامه قائلاً :

- " تفضل يا فندم باجى زمايلك مستنين فى الحلزونه (اللورى) " .

سرت برفقته وصعدت لأعلى اللورى وشاهدت بعض الشباب الجامعى وكان بادياً على الوجوه نظرة الحزن والأسى وكانت حالتهم النفسية تدل على البؤس والتعاسة، تحرك بنا اللورى البطيء والشمس مسلطة على الرؤوس وكان الصمت هو حالتنا، وصل بنا اللورى إلى معسكر فايد حيث مقر الكلية بعد أذان المغرب هناك غادرنا اللورى بصحبة بعض الضباط وضباط الصف وكان الاستقبال أرق وأحسن حالاً.

توجهوا بنا إلى صالة الطعام وأكلنا بعد جوع وشرينا بعد عطش ثم تسلمنا المهمات وأقيمت كل فئة إلى مكانها المحدد سلفا ووجدت نفسى بجوار سرير ودولاب صاج، والمرافق لنا قال هذا عنبرك وإلى لقاء فى الصباح الباكر توجهت مسرعاً لدورة المياه وقضيت حاجتى واغتسلت وعُدت إلى السرير ولم أقو على استبدال ملابسى بملابس النوم المسلمة لى وألقيت بجسدى المتهاك على الفور، فى الصباح الباكر استيقظت على صوت حاد يأمرنا باليقظة والانتباه سارت بنا الحياة لكن بمستوى أفضل وأرق مما حدث فى التجنيد.

قضيت عدة أشهر بكلية الضباط الإحتياط وخلال تلك الفترة حصلت على عدة أجازات لكن الأجازة الأولى لن أنساها لأننى حصلت عليها بعد مُضى خمسون يوماً وخلالها لم أعلم أين أعيش، فقد استطاع القائمون علينا أن يجعلونا فى حالة من التيه والنسيان لدرجة لم نتذكر عائلتنا وكما قال أحد زملائنا وهو متزوج ولديه طفلان :

- " حد فيكم يفكرنى باسم مراتى وعيالى الاتنين، نسميتهم " مما دفعنا للضحك".

كانت أجازتى الأولى مهمة لأننى لم أشاهد نسمة خلال تلك الفترة وبعد قضاء يوم مع أسرتى توجهت للإسماعيلية والتقيت مع نسمة وشملتنا الفرحة والسرور وأثت على هينتى ومدى ما أتمتع به من لياقة بدنية وتناسق لأبعاد الجسد مكررة قولها : " إنت بقيت رياضى " .. كما أشادت بى كرجل عسكري أوكلت له الدولة مهمة الدفاع عن الوطن وحمايته خلال فترة التجنيد، أخبرتها بأن التجنيد لفترة عام ميلادى لكن من الممكن أن أظل

عام أو عامين على قوة الاحتياط، كانت إجابتها : " ما الفرق بين عملك كضابط احتياط وعملك فى الإدارة الهندسية بحى الأربعين، فى الحالتين أنت المهندس عادل زكى خاطر حبيب نسمة " .. مما دفعنا للضحك المقرون بالسعادة.

انتهت المدة المقررة للتجنيد وتم تحويلى على قوة الاحتياط وبالتالى زاد راتبى حيث حصلت على راتبى كمهندس بالإضافة إلى بعض البدلات التى نحصل عليها من الجيش ولهذا لم يصيبنى الضيق أو الملل؛ بل شعرت أن الجيش له نظام صارم وكل إنسان يحصل على حقه ولا يجب عليه أن يجرى وراء حقه أو يقوم بدفع الإتاوات والرشاوى من أجل هذا الغرض، تم تعيينى بإحدى وحدات المهندسين العسكريين وبهذا أصبحت أعمل مع أبناء المهنة وبالتالى فمن يعملون حولى هم أكبر منى عمراً وأرفع منى خبرة، وكان الاحترام والتعاون بيننا سائدا كما ساد بيننا شعور عام بالراحة النفسية ولم أعد أشعر بأى شىء يُنغص على حياتى مثلما حدث فى بداية عهدى بالجندية.

أحد الأجازات وأثناء لقائى مع نسمة التى كانت سعيدة بعملها بهيئة قناة السويس القريب من منزلها وتعمل بجوار والدها عم يونس، ولهذا فقد أصبحت تحت رعايته وعطف زملائه كبار السن بأن ابنة زميلهم أصبحت تتقلد منصباً رفيعاً ككاتب مدير الإدارة الهندسية.

اتفقت أنا ونسمة على أن يُعقد القران نهاية شهر يونيو القادم فى ذكرى التخرج من الجامعة بعدها بعام يتم الزفاف كى نستطيع الإعداد له واستئجار شقة بأحد الأحياء الراقية بالإسماعيلية؛ سارت بنا الأمور هادئة

مستقرة : فجأة انقلب الحال منتصف عام ١٩٦٧ وحدثت معركة الخامس من شهر يونيو وتكبدت مصر هزيمة عسكرية ثقيلة وقُعد خلال تلك الحرب الخاطفة الآلاف من الشباب توهاناً وعطشاً وقتلاً فى صحراء سيناء الجافة. أصبحت القوات المسلحة فى صراع مع الزمن ودُفع بآلاف من الشباب الجامعى والتعليم المتوسط للخدمة فى الجيش ولم أعد أستقر فى مكان واحد وسرت أخبار بأنه لن تنتهى خدمة أى شاب إلا بعد قيام حرب أخرى يكالها الله للجيش المصرى بالانتصار ولهذا فقد فقدنا أنا ونسمة الأمل فى تنفيذ خطتنا للزواج والاستقرار وتراجعنا عنها وأصبح هناك اهتمام آخر ألا وهو عملية التهجير من مدن القناة الثلاث التى أصدرتها الحكومة حماية للمكان من القصف المتكرر لمدفعية القوات المعادية التى احتلت الشاطئ الشرقى لقناة السويس.

صدر أمر من القائد العام للجبهة لبعض الوحدات المعاونة بتقديم التسهيلات الكاملة لسكان مدن القناة لإجلائهم عن منازلهم وتوطينهم فى بعض المحافظات بالوجه البحرى، كانت وحدة المهندسين التى أنا أحد ضباطها فى مقدمة تلك الوحدات وأسرع الرجال الذين معى بحزم الأمتعه الخفيفة للسكان وتحميلها على لوراي تابعة للحكومة، وتم نقل العائلات إلى مدن وقرى محافظة الشرقية والبحيرة والقليوبية واشتركت فى تلك الملحمة وكان من نصيب وحدتى مدينة بورتوفيق لهذا توجهت إليها على رأس قوة مكونة من ثلاثين جندياً، وقمنا بواجبنا بكل رجولة ومن بين من قمت بترحيلهم أسرتى التى انتقلت إلى قرية تابعة لمدينة بركة السبع بمحافظة المنوفية.

ظلت عائلتي تقيم فى الإسماعيلية نظراً لاحتياج شركة القناة لمجهود والدى ولمجهودى أيضا ولم يتم نقل أى فرد من أسرتى لخارج المدينة سوى شقيقى محمود الذى غادرها بصحبة زوجته وطفله الصغيره، سارت الحياة بنا على وتيرتها الطبيعية الهادئة حيث أتوجه للعمل يوميا وعيونى الحزينة تشاهد المدينة الجميلة التى أصبحت مدينة أشباح بعد هجرة آلاف العائلات من جراء قصف المدفعية المعادى العشوائى، ورغم محاولات شقيقى محمود الدفع بى وبوالدى وأمى لمغادرة المدينة إلا أن والدى كان لديه من الشجاعة والوطنية الكثير للتمسك والبقاء فى المدينة ومساعدة رجال الجيش مضحياً بحياتنا جميعا.

فى أحد الأيام كنت أجلس بمكتبى الذى أصبح فارغا من العاملين به والذى تم إجلاء عائلاتهم من المدينة وتركوا العمل وألحقهم الحكومة بعمل آخر أشاهد قناة السويس هادئة ساكنة وأستعيد الأيام والشهور الماضية حينما كانت السفن تتحرك بها بالإضافة إلى اللنشآت التابعة للهيئة وكان النشاط الاقتصادى على أحسن ما يكون، أين هذا الآن مما سبق وكان، أين الصيادين الذين كانوا يعودون بقوارب الصيد وقد امتلأت بالأسماك الطازجة من مختلف الأصناف وخيرات البحر التى لا تنتهى، حينما كنت أسير فى شوارع المدينة أتلفت حولى ولا أشاهد سوى الجنود الشباب يسيرون فرادى أو مجموعات أو يستقلون لوارى الجيش الصفراء، أنظر إليهم وأتذكر حبيبي وخطيبي عادل، نفس الشكل والزى والعمر، أنظر لهؤلاء وأقول عليكم مسؤولية كبرى وهى تحرير الأرض، لقد أخطأ البعض فى السابق ومن أجل هذا فيجب على الشباب الصغير أن يقوم ويصلح

- خطأ الكبار؛ كنت أسير فى شارع الثلاثينى لشراء بعض الأغراض من بقالة عم أحمد، توقف أحد الجنود ونظر إلى:
- " نسمة .. " تبهت من خيالاتى الجامحه وأفكارى اللاحقه ونظرت إليه بضيق وشعر الجندى بهذا فأدرك.
- " أيوه يا نسمة .. أنا عبدالعزيز الأسويطى زميلك فى الكلية .. فكرانى ؟ "
- " عبدالعزيز .. أهلا ومرحبا .. جاى الإسماعيليه فى زيارة ؟ " .. أشاهده يضحك.
- " زيارة إيه يا نسمة، كل زميلك الشباب فى الكلية عساكر فى الجيش " .
- " زى عادل " .
- " عادل دخل الجيش ؟ "
- " من السنه إللى فاتت .. تعالى يا عبدالعزيز تشرب حاجه وأعرفك على بابا وماما " .
- " لا شكراً .. إمتى ح تجوزى أنت وعادل ؟ " .
- " باين عليها ما فيش جواز " .
- " ربنا معكم، إيه سبب وجودكم فى المدينة لحد دلوقتى، الناس كلها هاجرت؟ "
- " فى الهيئة طلبوا منى ومن بابا نفضل قى شغلنا " .
- " بلغى سلامى لعادل " .
- " مع السلامه يا عبدالعزيز .. وربنا يحميك أنت وكل شباب مصر " .
- " أمين " .

كنت أسير بعد لقاء المصادفة بزميل الكلية وأشعر بمساعدة بأن شباب الوطن أقبل كى يدافع عن وطنه، لك يا مصر السلامة وربنا ينصرنا على العدو.

\*\*\*

اهتمت جميع الوحدات بالتدريب العنيف والذى تمحور فى نقطتين هامتين الأولى التدريب على العبور والثانية الرماية بالذخيرة الحية وكان التدريب مكثفاً كنت فى دهشة لمرور هذا الوقت الطويل على وجود عم يونس وعائلته بالإسماعيلية، وكل زيارة أقوم بها تخبرنى نسمة بأن الأمور عادية وليس هناك خوف أو مخاطر من وجودهم رغم حزنها لشعورها بفراغ المدينة من قاطنيها.

أتساءل فى داخلى .. كيف تأمن نسمة ووالديها البقاء بالمدينة بينما شقيقها محمود فر هاربا بزوجته وطفلته وشعر بعدم الأمان من بعض فذائف مدفعية العدو التى أصابت المدينة، أتذكر غرق المدمرة الإسرائيلية إيلات ورد الفعل الفورى العنيف للإسرائيليين بشن العديد من الهجمات العنيفة بالطائرات القاذفة على معازل البترول بمنطقة الزيتية وبعض مبان المدينة، وكيف كانت قوات الجيش بمختلف أفرعها تعمل ما بين مضادات للطائرات وقوات أرضية تقذف قوات العدو الأرضية بالإضافة إلى وحدات الإطفاء والوقاية من الحرائق وسيارات الإسعاف لنجدة وإنقاذ المحتاج، بينما كنت أسرع مع جنودى مثل بعض الوحدات الصغيرة التى كُلفت بإجلاء السكان وكيف أننا واجهنا موقفاً صعباً لإحدى البنائيات.

لقد كانت عمارة مكونة من أربعة طوابق وتهدم السلم الخشبي بين الدور الأرضى والدور الثالث وحُوصِر السكان فى داخل الشقق وأصابهم الخوف والهلع من سقوط العمارة التى يدخل فى بنائها عنصر الخشب سواء من الأسقف أو من الأرضيات وإحتمال حدوث حرائق وكيف التصرف ولا يعقل القفز من نهاية السلم بالدور الثالث، أسرعنا لنجدتهم وكنت أشاهدهم ينظرون إلينا من الشرفات والبلكنات بهلع والبعض يصرخ والبعض يبكى وآخرون يتضرعون للسماء طالبين العون والنجدة.

أسرع رجالى بإحضار سقالات خشب قوية تتحمل الأحمال والانتقال وقام النجارون بسلاح المهندسين بإنشاء سلم خشبى مؤقت مزود بسور؛ لم يستغرق زمن إنشاء السلم أكثر من أربع ساعات بعدها صعد الرجال لإنقاذ سكان الدور العلوى، أشاهدهم يحملون البعض على ظهورهم من السكان العجائز من الرجال والنساء وذلك بأن يجلس الشخص على كرسى ويتم تثبيته وربطه به ثم تعد حمالة قوية من الحبال يحملها أحد الجنود الأتقياء على ظهره مثل ما يقوم أطفال المدارس بحمل حقيبة المدرسة، ويسير خلفه أحد الجنود للمعاونة وتأمين الشخص المراد إنقاذه وذلك لتشجيعه والعمل على طمأنته، بحيث يتم إنقاذ العجائز والأطفال والمرضى وهم جلوس على الكرسى الذى يحمله الجنود.

كنت أشاهد الجنود يتبارون لإسعاف وإنقاذ السكان بين الدعاء لهم من السكان بل وتقبيل بعضهم بعد وصولهم لنهر الشارع الذى تم إعداد أحد جوانبه كاستراحه محمية من أشعة الشمس بعد أن كساها الظل، وهناك يقوم أحد الجنود بتوزيع المياه والطعام الخفيف عليهم وكنت ألاحظ عودة الهدوء

لكل ساكن بعد إنقاذه ويزداد هدوءه وسكينته بعد أن يشاهد وصول باقى  
أسرته بجواره ويزداد سعادة حينما يتم إنقاذ باقى السكان.  
لقد كانت ملحمة عظيمة وخلالها لم أترك الجنود يعملون بمفردهم بل  
كنت أتولى عملية الإرشاد والتوجيه وفى بعض الحالات كنت أقدم يد  
المساعدة بحمل الأطفال ومساعدة بعض العجائز وتقديم الطعام لهم، بل إن  
أحد الجنود قام بفتح أحد الشقق الخالية كى يتم استخدام دورة المياه بها؛  
ظل هذا هو حالنا ومضى عام ١٩٦٧ بكل المساوىء والأحزان وأقبل العام  
التالى حيث كنا نتطلع فيه لمستقبل جديد؛ استمر التدريب وتقديم العون  
لأبناء مدن القناة بينما خطيبتى وحبيبتى نسمة مازالت مقيمة مع أسرتها  
بمنزلها بالإسماعيلية.



## انهيار الأمل

خلال هذا العام كنت أقوم بزيارة نسمة وأتساءل فى كل مرة قبل انتهاء الزيارة : ألم يحن موعد مغادرة المدينة ؟ وكانت الإجابة ابتسامة صافية وهدوء نفسى وكان باقى السكان الذين مازالوا يقيمون فى المدينة يشعرون براحة نفسية على أنغام انفجارات دانات مدفعية العدو أو قل إنهم أرادوا مشاطرة شباب مصر من الجنود الذين تحت السلاح بأن يظلوا بجوارهم فى هذه المدينة وقريباً من المواقع التى يحتلونها والتى يقامون العدو من خلالها.

خلال عام ١٩٦٨ عانت الطائرات المعادية الإسرائيلية فساداً وقذفاً لأهداف منتقاه بداخل الجمهورية، وأصبح تدمير أهداف بواسطة تلك الطائرات أمراً عادياً ومن أجل هذا كُفِّنا للقيام بأعمال أخرى حديثه الأفكار ولم يسبق لنا قبل هذا أن قمنا بها أودرسناها أو مشاهدتها من قبل والتي كان يطلق عليها اسم (الألغام الهوائية) أو (بالونات الهواء) هى عبارة عن بالونات ضخمة ممتلئة بغاز الهليوم ومربوطة بأسلاك قوية من الصلب كى تتحمل مقاومة البالونات تلك الصاعدة بالهواء، تلك البالونات كانت توضع قريبا من المواقع المهمة وبالأخص الأهوسة والقناطر الضخمة على نهر النيل مثل قناطر نجع حمادى وإسنا والقناطر الخيرية.

تلك البالونات كانت تجبر الطيران المعادى على الارتفاع لأعلى عن سطح الأرض فتقوم المدفعية المضادة للطائرات بقذفه بعد أن أصبح هدفاً سهلاً بالإضافة إلى أن ارتفاعه عن سطح الأرض بمائة متر يساعد الرادار

على كشف تلك الطائرات، تلك الفكرة أتت أكلها وكانت نتائجها عظيمة وأنقذت الأهوسة وقناطر النيل من التدمير والتي كان العدو يعمل على تدميرها بغرض إحداث فيضان بالنهر يعمل على اغراق القرى والمدن بالإضافة إلى إهدار المياه الموجودة خلف الأهوسة والقناطر والتي تقوم بدفع المياه لمسافات أطوال وأبعد بالترع والرياحات لتصل مياه الري إلى زمام أحواض الزراعات البعيدة.

كُلّفنا أيضاً بعمل سدادات عائمة من البراميل المتصلة قريبا من الكبارى الضخمة وتوضع فى اتجاه تيار الماء أى من اتجاه الجنوب لاتجاه الشمال، تلك العوامات كانت تمنع الألغام الطافية التى تسقطها الطائرات المعادية بأن تتفجر أسفل الكبارى بنظرية الخلية الضوئية حينما يحجب شعاع الشمس الساقط على القنبلة العائمة حين مرور تلك القنبلة أسفل الكوبرى فتفجر وتحدث تدميراً قوياً ورعباً للناس، قمنا بحماية العديد من تلك الكبارى مثل كوبرى إمبابة وكوبرى أبو العلا المعدنى وكوبرى قصر النيل وكوبرى الجامعة وكوبرى الجيزة وكوبرى المرزىق قريبا من حلوان وقامت وحدات مماثلة بعمل تلك العوامات الطافية على طول النيل على خط الصعيد وعلى فرعى دمياط ورشيد، وعلى جميع أفرع الرياحات الثلاث: الرياح البحرى والتوفيقي والمنوفى، وبالتالي تم إنقاذ مصر والمصريين من تدمير الكبارى وقطع طرق المواصلات التى كان يتقن العدو فى القيام بها لشل حركة الاقتصاد بالدولة ولمنع التحركات العسكرية من التوجه من مكان لآخر.

## نسمة :

بداية شهر مارس من عام ١٩٦٩ جاء أخى محمود لزيارتنا وكان غاضبا وطلب من أبى أن يستعد لتنفيذ قرار التهجير وسوف يتم تهجير الأسرة إلى منطقة شبراخيت بمحافظة البحيرة مثل باقى أبناء هذا الحى حيث قامت وزارة الشؤون الاجتماعية بتقسيم مدن القناة إلى مربعات تقوم بنقل سكانها إلى مناطق محددة، وهناك جمعيات رعاية المهجرين تقوم بتقديم يد المساعدة لهم سواء بالإيواء أو المعيشة بل وتقديم أوراق الطلاب إلى المدارس والكليات والمعاهد المناظرة تنفيذا لقرار رئيس الجمهورية، وأيضاً لإيجاد وظائف وأعمال بديلة ومثابهه لما كان يقوم به المهجرون بمنهم قبل التهجير .

حاول أبى أن يُماطل ولكن أخى محموداً لم يدع له الفرصة وفى اليوم التالى رافقتى محمود لمقر عملى وأخبر المدير المباشر بأنه سوف يقوم بتنفيذ قرار التهجير ولهذا قام المدير بتحرير خطاب بهذا كما أرفق به خطاب مُوجه إلى رئيس مجلس إدارة شركة الدلتا للصلب بمنطقة إبي زعبل بالعمل هناك كمهندسة وينفس الدرجة والراتب الذى كنت أحصل عليه، أخبره شقيقى بأن قرار مديرية الشؤون الاجتماعية بتهجير تلك المنطقة إلى شبراخيت بالبحيرة لكن المدير المباشر قال إلافى دوافع العمل والدراسة، ولهذا فخذ خطاب العمل الموجه لشركة الدلتا للصلب وأظهره لمديرية الشؤون الاجتماعية وسوف يستبدلون مكان التهجير بموقع آخر .

أثناء مغادرة موقع العمل وبعد وداع ما تبقى من العاملين والعمال والذى أثر فى نفسى ولهذا غلبتسى الدموع أثناء ترك المكان، كان أبى هو الآخر

يبلغ قيادته بنيته تنفيذ قرار التهجير والتفينا به وأخبرناه بأن منطقة أبى زعبل هى المنطقة التى سوف نستقر بها، وأبدى مسئول مديرية الشئون الإجتماعية عدم معارضته واستبدل خطاب التهجير إلى منطقة مسطرد حيث إنها الأقرب نسبيا من منطقة أبى زعبل والذى سوف يعمل بالورش الأميرية بإمبابة التابعة لوزارة الري والتى لها معدات بحرية تناسب خبرة أبى.

اقترح أبى أن نذهب لبيت عمى ونقيم معها لأنها بمفردها وكانت النصيحة فى محلها لكن تعليمات الشئون الإجتماعية أن تلك المنطقة ليس بها فرع للرعاية الإجتماعية، وبالتالي سوف تحرم الأسرة من المساعدات العينية والطبية التى ستقدم لنا بمنطقة مسطرد ومن أجل هذا صغر والذى لقرار التهجير لمنطقة المطرية بالقاهرة والقريبة من منطقة مسطرد على الطريق الواصل لمنطقة أبى زعبل ومن هناك توجد أتوبيسات تابعة للشركة سوف تتقلنى لمقر العمل، أما بخصوص أبى فسوف يستقل أتوبيس نقل عام من محطة مسطرد أو المظلات حتى إمبابه فى الذهاب والعودة.

تركنا أخى الذى سافر وأمهلنا عدة أيام يأتى بعدها بتاكسى كى يحملنا مع بعض أمتعتنا الخفيفة إلى المقر الجديد أو المنفى العائلى الجديد والذى تم باختيارنا ورغبتنا والبدل أن نظل فى المدينة تحت تهديد القصف والقتل والإصابة فى أى لحظة، فقد اشتعلت جبهة قناة السويس بالمعارك بين الجانبين حيث كانت تطيش بعض قنابل الأعداء سواء بعمد أو دون قصد لكن كانت نتائج تلك القذائف الطائشة قتل وفقد أرواح بريئة كثيرة تتحصر

فى السيدات العجائز والأطفال الذين لا تمكنهم قدراتهم الصحية والذهنية من العدو لمحاولة إنقاذ النفس.

عادل :

ازدادت الاشتبكات ضراوة مع العدو الإسرائيلى وبلغت أشدها يوم الثامن من شهر مارس من عام ١٩٦٩ ولهذا طلبت من قائدى أن يرحل أجازتى أسبوعا بغرض الاطمئنان على أسرتى فوافق على منحى أربعاً وعشرين ساعة فقط التزاما بمواعيد الأجازات الميدانية كما قررها القانون، أسرعت بملابس الميدان للإسماعيلية وقررت أن أقنع عائلة نسمة بالجلء عن المدينة؛ فقد أصبح الرعب هو المرافق للقصف وبدا أن العدو الإسرائيلى أصابته الكثير من الخسائر البشرية فرغب فى أن ينتقم من هذا بقذف وقتل أكبر عدد من المدنيين سواء بالقذف المباشر لمدن القناة أو بالقصف العشوائى بطائراته التى كانت تغير على بعض مناطق الجمهورية لسكان مدنيين عُزل من السلاح.

وصل بى القطار إلى محطة نفيشة للسكة الحديد فجر اليوم التالى الموافق التاسع من شهر مارس، ظللت فى انتظار أى وسيلة مواصلات تقلنى لداخل المدينة، فقد توقف الكثير من المواصلات عن دخول المدينة ومنها القطار الذى توقف عند منطقة نفيشة وهى ليست بمحطة سكة حديد لكن بها كشك تحويل القضبان سواء للإسماعيلية أو إلى طريق السويس ولأن هذا المكان آمن من قصف المدفعية لأنه أبعد مسافة من مدى مدفعية العدو.

شاهدت سيارة لورى تابعة للجيش متجهة لداخل المدينة، أشرت للجندى السائق فتوقف وطلبت منه أن يقلنى إلى شارع الثلاثينى لكنه اعتذر لأنه سوف يسلك طريق الترعَة الحلوة لأنه متجه لمعسكر عزالدين على الطريق الواصل بين الإسماعيلية وبورسعيد، ركبت معه إلى المكان الذى سوف يسلكه وكانت المسافة المتبقية إلى منطقة الثلاثينى أكثر من اثنين كيلومتر قطعتها سيراً على الأقدام وخلال هذا اقترب التوقيت من الساعة الثامنة من صباح هذا اليوم.

وصلت إلى شارع الثلاثينى والذى يُخيم عليه الهدوء والسكينة وقد خلا الشارع من المارة ولم أشاهد أى محلات تعمل أو قامت بفتح أبوابها بعد، فجميع المحلات مغلقة تنفيذاً لقرار التهجير، واصلت سيرى حتى دخلت الشارع الجانبى التى تقيم فيه حبيبتي الغالية نسمة وخلال تلك الدقائق كنت أمنى نفسى بقاء سعيد أستعيد خلاله قصة الحب التى نشأت بيننا منذ أكثر من سبعة أعوام أشاهد المنزل من مسافة لا تقل عن مائة متر بل أشاهد نسمة تقوم بنشر الغسيل فى البلكونة بالدور الرابع، أشير إليها لكنها لم تنتبه رغم أنى الوحيد فى الشارع فجأة دون إنذار سمعت صوت انفجار ضخم وشاهدت العمارة التى تقيم بها تتهاوى ويتصاعد منها الغبار الناتج من مواد البناء وتطاير بعض الأخشاب والمواد الخاصة بها، وقفت لحظتها صامتا وشعرت بإغماء مفاجئ.

تنبهت على صوت العديد من الرجال من حولى كنت أسمع بعض الصراخ وآخرون يكبرون : " الله أكبر .. يارب حوش عنا .. اللهم لطفك ورحمتك " وكثير من تلك الأدعية والاستغاثات، شاهدت نفسى أنام بجوار

أحد الحوائط أرضاً ولا أعلم أين أنا وماذا حدث ولماذا هؤلاء الناس يحدثون  
جلبة ؟ سمعت أحدهم يردد : " الله يرحمك يا عم يونس أنت وعيلتك ..  
راحوا فى شربة ميه .. لا حول ولا قوة إلا بالله .. الله يرحمهم " وآخر يردد  
: " ياما قلنا له هاجر يا عم يونس لكنه ركب دماغه " .. وآخر : " الطابط  
ده يا ولداه إللى خاطب بنته، كان ح يموت لما شاف العمارة بتنهيار قدامه  
.. ربنا معاه " .. وأحدهم : " ياالله يا جماعه نفواه .. مش معقول ح نسيبه  
نايم ع الأرض بالمنظر ده " .. وشخص آخر : " كلنا نايمين على بطونا  
من الخوف والشظايا .. وشخص ثالث : " الضرب وقف لأن مدفيعتنا  
نازله طحن فيهم " .

كل هذا حدث وسمعته أثناء حالة الإنهيار العصبى أو حالة الإغماء من  
الصدمة العصبية التى ألمت بى بسبب انهيار العمارة والشرفة التى كانت  
تقف فيها نسمة .. شعرت بحرق بجسدى وكاد قلبى ينفطر ولهذا نهضت  
مسرعاً فى اتجاه العمارة المنهارة وكنت أصرخ أحاول الحفر بيدائى وأسرع  
البعض نحوى لمنعى بأن هذا لن يأتى بنتيجة لأنهم أسفل الأنقاض ومضى  
على انهيار العمارة أكثر من ربع ساعة منعت عنهم الهواء بالإضافة إلى  
الأنقاض ثقيلة الوزن .

أحضر أحدهم كرسى وآخر تقدم بكوب من الشاى وجلست هائماً لا  
أستطيع التفكير وكل ما كان يجيش بخاطرى وبذاكرتى من الماضى الجميل  
وقصة الحب والكفاح التى كانت بيننا وكان الحلم والأمل قد اقترب وبأن  
يتوج كل هذا ونصبح زوجين ونحيا معاً ونكون أسرة وننجب البنين والبنات،  
تقدمت منى سيدة عجوز وتساءلت وهى تقدم لى الطعام :

- " أنت يا بنى مكنتش ولسه على لحم بطنك .. الساعة داخله على تسعه .. خد قوت نفسك " .. شكرتها وبدأت فى تناول الطعام ولم تمض دقائق إلا واشتعلت جبهة القناة بمعارك مدفعية كنت أشاهد بعض مباني المدينة تنهار سواء بالقرب منى أو من الشوارع الخلفية، وأصوات الاستغاثة تصل إلى أذنى وأشاهد البعض يعدو قادما من الشوارع الخلفية والهلع واضحا عليهم من حركاتهم واستغاثاتهم، بينما كنت أتبع سير بعض السكان الذين أرشدوننى لأحد المخابئ كى أحتمى بها من تلك القنابل الخطيرة، ظل هذا حالنا، كنت أجلس ومن حولى بعض السكان من المدنيين الذى يغلب عليهم أنهم من أصحاب الحرف أو المهن الخاصة بنشاط السكان وكانت العيون زائغة ومن حين لآخر يقترب القصف منا ويرتج المخبىء ويظهر بعض الغبار الناتج من تهدم أبنية بالخارج.

ظل حالنا على هذا الوضع ثم بدأت الانفجارات تقل وتسمع أصواتها متباعدة، فجأة سكن القصف وعم صمت القبور وغادر الناس الخندق وكل منا ينظر من حوله لنشاهد المزيد من خسائر الأبنية والتي تهدم جزء منها أو بعض الحوائط واشتعال النار ببعض الأغراض القابلة للاشتعال، كل هذا حدث ومازال المنظر الذى شاهدته صبيحة هذا اليوم لم يغادر ذاكرتى وظل عالقا بذهنى وتفرق الناس كل إلى ما يريد وظللت واقفاً أنظر إلى أنقاض العمارة التى ترقد أسفل حطامها جثمان الحبيبة نسمة ووالديها.

أقبل أحد الأشخاص وبدى لى أنه فى حالة صحية ونفسية سيئة وكان هذا باديا عليه من اهمال ملابسه وغير حليق اللحية وطلب منى المغادرة والتوجه لوحدتى العسكرية لأن ما يحدث هنا هو شىء مستمر وحينما

تساءلت هل من الممكن الكشف عن جثامين الضحايا حرك رأسه بأن هذا شيء صعب المنال لأن أجهزة المحافظة مشغولة بإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وأن من مات أسفل الأنقاض سوف نتركه لمدة لا تقل عن ستة أشهر حتى تتحلل الجثث وحينما تستعيد المحافظة إمكاناتها من المعدات والألات سوف تقوم بإستخراج الهياكل العظيمة وتعمل على دفنها فى مقابر ضحايا الحرب، ولهذا فإن انتظارك لا طائل من ورائه، وضع يده اليمنى على كتفى مهدئاً ومتيناً لى السلامة وطولة العمر وعلّى أن أقتص ممن تسبب فيما حدث لنسمة وعائلتها وباقى المصريين.

غادرت المكان مطأطأ الرأس بعد أن شاهدت بأم عيني مصرع حبيبتى ودفنها أسفل الأنقاض ولم أفعل سوى ما تقوم به النساء من النحيب والحويل كنت أسير ولا أعلم إلى أين اتجه إلى أن توقفت سيارة عسكرية بجوارى وتبين لى أنها تخص رجال الشرطة العسكرية، وتساءل الضابط الذى يجلس بداخلها عن أحوالى وهل أنا مصاب وحينما علم أننى سليم معاف عرض خدمته بأن تنقلنى السيارة إلى محطة القطار بمنطقة نفيشة، ركبت من خلف السيارة وجلست ساهما وعلمت أن هذا اليوم هو الأخير لى بمدينة الإسماعيلية التى لن أراها بعد اليوم، طفرت من عيني بعض دموع قليلة وسمعت الضابط يحدثنى: تفضل حضرة الضابط؛ لقد وصلنا لمكان القطار ودعائى لك بطريق الأمان والسلامة حتى تصل إلى وحدتك، غادر المكان بعدها عائداً من حيث أتى وشاهدت القطار قابعاً على القضبان لا حراك فيه فسوف يتحرك صباح الغد بعد صلاة الفجر حتى لا تقتنصه الطائرات المعادية وتفتك بالعديد من الجنود والضباط الذى يقوم بنقلهم إلى القاهرة.

بعد انتهاء رحلة القطار ركبت العبد من المواصلات حتى وصلت مساء اليوم التالى لوحدتى وبدا على هينتى ما أعانيه من حزن وبأس وفقدى لرفيقة حياة المستقبل، سمعت بعض الأسئلة التى تلقى علىّ ولم أستطع الإجابة على الكثير منها، لأننى لم أفهم تلك الأسئلة ولم يكن لدى الدافع للإجابة لأنها جميعاً تصب فى قالب الحزن والمأساة، توجه معى أحد الزملاء إلى مكان إعاشنى بملجأ الأفراد تحت الأرض للحماية من طائرات العدو المغيرة وعمل على إفاقتى بأن طلب من الجندى إحضار وجبة طعام أعقبها الدفع بى للحصول على حمام منعش واستبدال ملابسى بأخرى نظيفة، ثم ساعدنى بأن أجلسنى على السرير وأحضر لى كوباً من الشاي وفتح الراديو وكان الوقت موعد تلاوة قرآن السهرة بصوت الشيخ (محمد رفعت) الذى استقبلت صوته بروحانية عالية وسموت مع ترتيله وغبت عن الحياة، ولاحظت أن زميلى خفض من درجة إضاءة الفانوس وغادر المكان وأغلق الباب خلفه بهدوء وسمعته يلقى بتعليماته للجندى الخدمة بأن يكون قريباً من باب الملجأ لتقديم أى عون للضابط عادل.

صباح اليوم التالى نهضت أحسن حالا وتذكرت ما حدث بالأمس وفقدت حبيبتى ولهذا استجمعت شجاعتى ونهضت وبعد أن قمت بما يجب علىّ القيام به من شئونى الخاصة توجهت للقائد وجلست معه قليلاً وشكرته على ما قام به معى وأخبرته بأننى فى انتظار تعليماته، شد على يدى وقال سوف تتحرك مع فصيلتك لمحافظة الفيوم، هناك يتم إعداد قواعد للدفاع الجوى ويحتاجون لعون الفلاحين فى نقل الرمال وتكمية التجهيزات الهندسية الخرسانية لحمايتها من الهجمات الجوية وهناك سوف تعلم بما يجب عليك

القيام به .. حالفك التوفيق ثم أخبرنى بموجز عما حدث أمس من استشهاد  
العريق عبدالمنعم رياض بمنطقة نمره ٦ بالإسماعيلية وكنت وجميع زملائك  
نرثى لحالك من أثر الإشتباكات التى حدثت هناك؛ كانت إجابتى على  
حديثه بأننى لم أعلم بهذا إلا الآن نظراً لظروف عائلية أعمتتى عن سماع  
ومشاهدة أى شىء آخر، ثم نهضت متجهاً لجنودى استعداداً للتحرك إلى  
منطقة الفيوم.



## الهروب داخل الوطن

تتحرك بنا السيارة التى استأجرها شقيقى محمود بعد أن ودعنا مدينتنا الحبيبة صباح هذا اليوم، كنت فى حيرة من أمرنا حيث كان شقيقى يستبق الساعات والدقائق ولديه حاسة قوية بأن الإسرائيليين لن يسكتوا عما أصابهم بالأمس من الضربات القوية الشديدة التى كانت أصوات الانفجارات المدوية تُسمع طول الليل قادمة من شرق القناة، كانت لدى شقيقى عقيدة راسخة بأن العدو سقط لديه أعداد غفيرة ما بين مصاب وقتيل ومن أجل هذا أسرع بنا خارج المدينة ولم نستطع تناول طعامنا، ولهذا وعدنا بأنه سيتوقف بمدينة التل الكبير كى نتناول طعام الإفطار ونشرب شاي الصباح.

ها قد وصلنا إلى مدينة التل الكبير وتوقف بنا السائق أمام أحد المطاعم المتواضعة وتوجه أخى مع السائق لشراء الطعام وتذكرت حديث أم أحمد جارتنا التى نصحت والدتى بأن نقوم بنشر بعض الملابس القديمة فى حبل البلكونة كى يعتقد بعض أصحاب النفوس الضعيفة بأننا مازلنا نقيم فى المنزل فلا تسول له نفسه سرقة أغراضنا التى تركناها، بل إنها أعطت نصيحة أخرى بأن نقوم بلف سبت الأغراض - الذى ندليه للبقال كى يضع فيه ما نريد - ونعلقه ونكسوه بغطاء أسمر كى يعطى انطباعا بأن هناك سيدة تقف فى البلكونة، كنت أضحك من أفكار أم أحمد لكن أمى كانت مقتنعة بما تقول، وكل ما قمت به أننى تركت ورقة ولصقتها على باب الشقة كى أخبر عادل حينما يأتى لزيارتنا بما قمنا به وأين نمكن الآن وعنوان عملى الجديد الذى سوف أتسلمه.

أقبل أخى والسائق ولاحظنا أنهما فى حالة من الاضطراب كما لاحظنا أن بعض العامة يلتفون حول راديو القهوة البلدى المقامة على الطريق لسماع أخبار تخص الاشتباكات مع العدو، وزع علينا شقيقى الطعام ووقف مع السائق خارج السيارة يتناولان طعامهما ويعد أن انتهينا توجهنا للمقهى وأحضرا صينية عليها أكواب الشاي وبعض أكواب ممتلئة بالمياه، انتهينا من الطعام وشرب الماء والشاي وحمدنا الله وبدأ السائق فى قيادته للسيارة. توجهت أمى بسؤال إلى شقيقى محمود عما لاحظته سواء عليه أو على الأسطى السائق أو على ملامح بعض المارة من اهتمام بسماع أخبار الساعة العاشرة صباحاً، وهل هناك جديد حدث بين قواتنا والقوات المعادية، أوضح لنا محمود البيانات التى استقاها من الإذاعة بأن معارك رهيبة بالمدفعية تدور بين قواتنا والأعداء وأن القتلى والجرحى بين المصريين فى زيادة، كما أن الفريق عبدالمنعم رياض نال الشهادة لقصف العدو المعدي رقم ٦ شمال الإسماعيلية.

استقبلنا تلك الأخبار بتوتر بينما قالت أمى: " أنا حاسه إن الشارع بتاعنا حيضربه اليهود وأن بيتنا عليه الدور " حاول أخى أن يهدأ من روعها ويُعطيهما الأمان والاطمئنان بينما قال أبى أن الله أنقذنا من مذبحه اليوم وهذا بتوفيق منه ومن محمود ودعا الله له بدوام الصحة والعافية، مازالت السيارة تتحرك بنا على طريق القاهرة الإسماعيلية الزراعى ووجهتنا مدينة مسطرد التى تتبع محافظة القليوبية لأنها قريبة من مصنع أبى زعل.

عصر هذا اليوم وصلنا إلى منطقة مسطرد وتوجهنا إلى مكتب رعاية المهجرين التابع لوزارة الشؤون الاجتماعية وقام موظفو المكتب بتقديم كافة التسهيلات، فقد خصصوا لأسرتي فصلاً دراسياً بأحد المدارس التي أعدت لهذا كُنْتُ في حاجة لزيارة دورة المياه ورافقتني أمي وهالنا القذارة المتناهية عُدنا بعدها للحجرة والتي تم تأسيسها بائنان من الأسرة والمراتب المحشوة بقش الأرز والبطاطين الخشنة التي تُصرف لجنود الجيش، أقبل أحد الموظفين واصطحبنا للمطعم وحصلنا على وجبة طعام باردة سيئة المذاق ولا يمكن تناولها، خلدنا لنحصل على الراحة من عناء ما لقيناه من مشقة السفر، أثناء النوم فرعنا على أصوات سباب وشتائم سيئة للغاية وألغاز بذيئة ثم انتهت المعركة لتعود مرة أخرى وكان الواضح أنها تدور حول احتكاك بعض الرجال بالنساء والبنات أو التهجم على حجات بعض الأسر بغرض العرقة أو انتهاك الأعراض.

كان موعد تسليم نفسي لشركة الدلتا للصلب مازال أمامه أسبوع ونفس المهلة لأبي لأن الشخص المُهجر يُمنح أسبوعاً أجازة قبل أن يتسلم عمله الجديد حتى يتمكن من اعداد المكان الجديد الذى سيعيش فيه، اليوم التالى أخبرت أبى أنني فى ضيق من هذا المكان مما دفعه للضحك معلناً أن الناس تختلف أخلاقهم ولن نستطيع تهذيب سلوكيات الآخرين ويكفى أننا مبتعدون عن إقامة أى علاقة مع من حولنا، صغرت لرأى والدى وما باليد حيله وما الذى على أن أقوم به لإصلاح أخلاق وسلوكيات الآخرين.

هذا يوم لن أنساه، استيقظت مبكراً للذهاب لدورة المياه قبل أن ينهض الجميع ويحدث ازحام لا يراع فيه أحد أبسط قواعد الأدب والأخلاق، مجرد

دخولى لدورة المياه هاجم أحدهم الباب ويدفعة قوية فتحة على مصراعية وشاهدت الرجل دون ملابسه الداخلية وعورته واضحة وتقدم منى راغباً فى صرخت عدة صرخات وقيل أن ينهض الآخرون لإنقاذى أمسكت بغطاء صندوق الطرد الحديد وضربته به على رأسه فسقط مضرجا فى دمائه وفى تلك اللحظة أقبل الكثير من الناس وشاهدوه دون ملابسه وشاهدوا حالة الرعب التى كانت واضحة علىّ سواء من هجومه علىّ أو من صرخته واندفاع الدماء من رأسه.

أقبلت زوجة المعتدى وحاولت الاعتداء علىّ وتناولت على شخصى بحديث لا يمت للقيم والأخلاق بأى صلة ويأتنى فتاة ضالة أغويت زوجها لكن العديد من المهجرين أكدوا أن هذا الرجل فاسق وسبق له أن تعرض للكثير من النساء والبنات وأن تلك الفتاة أخذت بثأر كل من تعرض إليهن. انتهت تلك الواقعة بطرد تلك الأسرة من مكان تجميع المهجرين وأقبلت قوات الأمن للتحقيق معه كما قرر والدى الفرار من هذا المكان اللعين إلى منزل عمى بحى بولاق والتى كانت سعادتها لا توصف حينما أخبرها أبى بقبول دعوتها للإقامة معها، كما أن هذا الحى وذاك المكان هو الذى أمضيت فيه خمسة أعوام كاملة أعتبرها من أحسن الأعوام التى قضيتها فى حياتى، ولأول مرة خلدنا فى نومنا بعد أن سيطرت علينا حالة من الإطمئنان والسكينة؛ كما استفاد أبى من هذا المكان حيث يستقل أتوبيس خط رقم ١٨ من أمام كوبرى أبوالعلا، وبالتالي يمكن له أن يصل إلى عمله خلال خمسة عشرة دقيقة ومن حُسن حظى أيضاً أن هناك خط أتوبيس لمصنع شركة الدلتا للصلب الكائن بأبى زعبل يمر بتلك المنطقة

يقول إثنين من المهندسين من قاطنى حى الزمالك، ولهذا أصبحت الحياة أكثر استقراراً والعمل أقل إجهاداً وخطوره بالإضافة إلى حنان وحب عمى وأهل الحى من أبناء البلد التى تظلمهم الشهامة والمروءة.

عادل :

مازالت عائلتى تقيم بإحدى قرى محافظة المنوفية التابعة لمدينة بركة السبع، كنت أقوم بزيارتهم من حين لآخر، فلم يعد لدى أى خيار أتجه إليه سوى والداى وأخى الأكبر وأسرتيه، لم أستطع خلال شهر منذ فراق نسمة وانتقالها مع أسرتها إلى جوار ربها من التخلص من ذكريات الماضى الجميل والدراسة فى جامعة القاهرة الجميلة ربيعة الإنشاءات ذات المستوى العلمى الرفيع وبصحبة لفيف من الطلبة والطلبات وعلى رأسهم الحبيبة الراحلة نسمة، كنا مثل الطيور المغردة التى تنتهى من عملها فتغرد طائرة فى السماء، كنا نقضى أوقاتنا طيبة فى حديقة الأورمان أو البديل لها حديقة الحيوان، ونقف ملياً أمام أقفاص العصافير الملونة الرائعة المغردة نشعر بها وبأنها شاكرة الله تسبح بحمده ونعمته.

بعض الأوقات كنا نتجراً ونبتعد قليلاً ونتجه إلى حديقة الأسماك بمنطقة الزمالك الراقية الهادئة، نظل نتجول فيها ونشاهد قدرة الله فى خلقه وتلك الكائنات البحرية مختلفة الأحجام والأشكال والألوان، يتخلل تلك اللقاءات نغمات موسيقية وبعض كلمات من جمل غنائية تصل إلى آذاننا الرقيقة الرطبة البريئة لملحنين ومطربى هذا الزمن الرائع فى حياة مصر والمصريين، لم نكن نخشى من المجهول، لأن كل شيء مُبهج فى الحياة، الدولة قوية برئيس أو زعيم محبوب من شعبه، لا نخشى التهديد أو العوز

وكل شيء للحياة متوافر والدولة تحقق إنجازات كل يوم فى جميع المجالات كما قرر الرئيس أن يصبح التعليم الجامعى بالمجان ولم يعد هناك إرهاب مادى لأسرة أى شاب يرغب فى التعلم بالجامعة كما سيجد أن فرصته من العمل أو الوظيفة فى إنتظاره بعد التخرج وسوف تقوم وزارة القوى العاملة بتوفير الوظيفة القريبة من منزلك ويقدر الإمكان متناسقة مع مؤهلك الدراسى، ثم تعد نفسك لإقامة حياة اجتماعية بالزواج والإنجاب، ولهذا فالمساكن الشعبية سوف توفر لك شقة تملك بقسط زهيد دون مقدم يُدفع ولكى تؤسس شقتك أمامك شركات القطاع العام مثل عمر أفندى وبيع المصنوعات التى سوف توفر كل احتياجاتك بالقسط المريح.

كما توفر لك الدولة العلاج المجانى فى المستشفيات ومن الممكن قضاء عطلة الصيف بسعر زهيد مع الجمعيات التى تتبع الوزارات والمصالح الحكومية وشركات القطاع العام المدعومة من الدولة، ولهذا فيمكن أن تصحب أسرتك لتلك المصايف بوسيلة مواصلات جماعية وتتجه لبعض مناطق الجمهورية، كما يمكن لأى فرد من الشعب التمتع بشاطئ النيل وقضاء أمسيات جميلة على أجنابه بالكورنيش الذى أقيم بالقاهرة والجيزة وسار على نفس المنوال بعض المحافظات وبالتالي ساهم كل هذا فى استقطاب العائلات لقضاء وقت طيب دون إسراف أو الجلوس فى المنزل دون ملل، كانت المواصلات العامة متوفرة وبسعر معقول فيمكنك أن تركب الترام أو المترو أو الترولى باس أو الأتوبيس العادى أو قطارات السكك الحديدية، كما يقوم الطلبة والموظفون البسطاء بعمل اشتراك فى وسائل النقل الحكومية لتخفيض النفقات.

كل تلك الوسائل ساعدت الشعب على الحياة بيسر وسهولة وظللت تلك الخطط والتسهيلات للشعب بمظلة جميلة ورائعة من الموسيقى مع حفلات أم كلثوم الشهيرة وفرق الرقص التعبيري والأعمال المسرحية الهادفة سواء للتسلية أو لتثقيف الناس، كما راجت طباعة الكتب والروايات العالمية بطبعات شعبية بأسعار رمزية دفعت الشباب إلى تثقيف أنفسهم بمبالغ زهيدة مما دفع بالحياة للتقدم، وانعكس هذا على سلوك الناس وأصبح هناك احترام وتقدير لكبار السن وأيضاً عدم خدش حياة النساء والوقوف لكبار السن والنساء فى المركبات العامة كى يُفصح لهم مكانا للجلوس، وبالتالي حدث نوع من الرقة والعذوبة فى التعامل بين الناس كما قلل هذا من المشاحنات وأصبح من المألوف عقد اجتماعات الصلح بين المتخاصمين دون اللجوء للقضاء.

كنت أتذكر تلك الحياة الجميلة ولم أكن مُكلفا بأى شىء سوى الذهاب للكلية والذاكرة، أين الماضى السعيد مع هذا الحاضر الجاف الحزين ؟ لقد أصبحت سائحاً فى بلدى ألف وأدور أثناء أجازاتي فأقوم بزيارة أسرتي فى المنوفية وبعد يومين يصيبني الملل وأتركهم متوجها لزيارة شقيقتى بروض الفرج فيصيبني الملل، أتوجه بعدها لزيارة صديق لى لم يتم تجنيده لأنه الوحيد لوالديه ويعمل فى القاهرة ويستأجر شقة يقيم فيها ولم يتزوج بعد فأقيم معه يوماً نتجول خلالها فى شوارع القاهرة؛ كنت دائماً ما أردد أغنية سواح للمطرب عبدالحليم حافظ :

سواح وماشي في البلاد سواح \*\*\* والخطوة بيني وبين حبيبي براح

مشوار بعيد وأنا فيه غريب \*\*\* والليل يقرب والنهار رواح

لا أنا عارف أرتاح وأنا تايه سواح

نسمة :

مضى على وجودنا بضيافة عمى أكثر من شهر تمتعنا خلالها بالهدوء والراحة والمكينة التي شملت عمى وكان هذا باديا عليها حيث تحسنت حالتها الصحية، وبدأت فى السير معتمدة على ساقها تتأبط نراع أمى يتوجهان معاً للسوق القريب لشراء احتياجات المنزل، ويقفان معا فى المطبخ تتعاونان على إعداد الطعام وتتبادلان عملية غسل ونشر الملابس وكيها ونظافة الشقة وأصبح الجو العام فى الشقة مريحاً وكان شقيقى محمود يأتى لزيارتنا من حين لآخر برفقة زوجته وابنته الصغيرة، كما اطمأنت بنات عمى اللاتى يعملن بإحدى الدول العربية بأن أمهن تحيا بكنف الخال يونس وأسرته مما أضفى عليهن المكينة والاطمئنان على حالها.

سارت أمورى فى العمل كما ينبغي مسترشدة بتوجيهات ونصائح الأكثر منى أقدمية وخبرة ونظراً لأن طبيعة العمل هنا تختلف عنها فى هيئة قناة السويس رغم هذا لم أشعر بضيق وتبرم لنصائحهم الغالية والتي أفادنتى حتى الآن وجعلتتى أقوم بعملى بطريقة مرضية، ولدئى شعور عام أنه بعد مضى عدة أشهر سوف أحقق نجاحاً ملحوظاً كما تنبأ بهذا أحد الزملاء فى القسم.

لم يكن يضايقتنى ويثير انفعالى سوى تجاهل عادل لى والذى لم يأت لزيارتنا بمنطقة مسطرده ومن المؤكد أنه علم أننا استبدلنا مكان الإعاشة من مسطرده إلى بولاق الجديد حينما توجه إلى هناك، فقد تركنا العنوان الجديد لدى إدارة مكتب رعاية المهجرين لتزويد من يرغب من الأقارب أو الأصدقاء للتعرف على مكان إقامتنا الأخير ورغم هذا لم يأت عادل وتحيرت وتوترت؛ هل حدث له مكروه وهو ضابط فى الجيش ويعمل فى منطقة السويس وفى سلاح المهندسين.

روادتنى الظنون السيئة بأن عادل تناسى قصة حبنا وعلاقتنا التى تعدت الثمانية أعوام حتى الآن، هل وراء هذا فتاة أخرى، وأين تعرف على تلك الفتاة؟ من المحتمل فى أماكن التهجير بالقرى ومدن الوجه البحرى التى انتشرت فيها العائلات المهجرة، سوف أظل فى حالة من الترقب بعدها أقوم بزيارة لمدينة بركة السبع وهناك فى مكتب رعاية المهجرين بالشئون الاجتماعية أستفسر عن محل تهجير الحاج زكى خاطر والد عادل وأستفسر منهم عما حدث لهم وأسباب تغيب عادل عنى وعدم زيارته لى حتى الآن.

عادل :

حصلت على أول إجازة ميدانية بعد عملية تدمير عمارة نسمة بالإسماعيلية كانت مدتها خمسة أيام وتحيرت أين أبقى أجازتى تلك، فقد جف نبع الحب والرومانسية بفقد الحبيبة والخطيبة وزوجة المستقبل أمام عينائى منذ عدة أسابيع كما أننى فى شوق للجلوس مع أمى وسماع صوتها وتقبيل يدها

الحنون، فقد مضت ذكرى عيد الأم منذ ثلاثة أسابيع ومن الواجب على أن أقوم بزيارتها وتقديم كل تقديس واحترام لها ولوالدى.

قررت البدء بزيارة ضريح الحبيبة نسمة، توجهت للإسماعيلية والتقيت هناك بعم أحمد البقال الذى تعرف على وسألته هل من جديد؟ نظر إلى وأشار إلى العديد من الأبنية المهدمة، دعوت الله بالرحمة لكل من لقي نحبه فى تلك الكارثة، سألته مباشرة هل مازالت محافظة الإسماعيلية لم تقم برفع الأنقاض واستخراج الجثث، إننى أشاهد آثار دمار المنزل مازالت على حاله مما يدل على أن أحداً لم يكلف نفسه مشقة البحث عن رفات المفقودين.

ابتسم الرجل وأجابنى بهدوء الذى دفعته الأحداث إلى التمسك به حيث يشاهد يوميا الأرواح التى تزهبها قنابل الأعداء، أفادنى بأن العديد من الأبنية تم تدميرها والمحافظة لا تقوى إمكانياتها على القيام بمثل هذا العمل، بالإضافة إلى أن استخراج الجثث قبل مضى ستة أشهر غير محبب ومكروه لأن تلك الجثث لم تنته من حالة التحلل والتعفن ومن أجل هذا ما عليك سوى استعواض ريك فى الذى فات وانظر إلى المستقبل بعين فرحة والله سوف يهديك ويمنحك الصبر.

غادرت الإسماعيلية منشرح الصدر، فقد سرت بجوار قبر العزيزة والحبيبة نسمة وقرأت الفاتحة على روحها الطاهرة وترحمت عليها وعلى والديها بنفس المشاعر والأحاسيس، كنت فى طريقى إلى مدينة بركة السبع ومنها إلى إحدى القرى التى تقيم بها عائلتى.

فى الطريق إلى محطة القطار المؤقتة بنقطة نفيشه التقيت بزيملى  
ودفعتى فى كلية الهندسة (أحمد العزازى) الذى رجب بى وكان يرتدى  
الملابس العسكرية، فقد تم تجنيده العام الماضى وأصبح أحد الجنود  
المصريين بوحدة هندسية مخصصة لإنتاج المياه، كان فى طريقه لأسرته  
وبلدته بكفر العزازى القريبة من مدينة الزقازيق، كان اللقاء دافئاً بيننا وخلال  
علم منى بالمسبب الرئيسى لزيارة مدينة الإسماعيلية ولهذا تقدم بمواساته فى  
الراحة التى كان يعرفها حق المعرفة.

شدد صديقى أحمد على أن أرافقه أثناء زيارته لقريته ونتناول طعام  
الغداء معاً، لم أمانع فأنا لست مرتبطاً ولا أعلم كيف أقضى إجازتى  
الميدانية، ركبنا القطار حتى مدينة الزقازيق ثم انتقلنا لمحطة قريبة وركبنا  
سيارة أجرة إلى قريته كانت السيارة من الموديلات القديمة وقام المسائق  
بحشر الركاب بها حشراً وغالبيتهم من الفلاحين البسطاء الذين لا يتذمرون  
ولا يشتكون، كنت وصديقى أحمد نضحك مما يحدث حيث قال لى إن هذه  
هى حياتهم اليومية.

الحمد لله، قلنتها بعد مغادرة سيارة الأجرة العتيقة، واصلنا سيرنا إلى  
منزله أو داره كما يقول، أثناء سيرنا بالحوارى المتربة كنا نلتقى بأشخاص  
من أبناء ونساء القرية يلقون علينا بالتحية يعقبها ترحيب خاص بالباش  
مهندز أحمد، بالطبع نالنى الكثير من التقدير لأننى أرتدى ملابس الضباط  
وأضع رتبة ملازم أول شاهدتنا أم أحمد من فوق سطح دارها فأطلقت العديد  
من الزغاريد التى نبهت الجيران وكان غالبيتهم من النساء والفتيات اللاتى  
أسرعن بالقدوم للترحيب بابن بلدتهم، كان الاستقبال مختلطاً بين المصافحة

باليد والأحضان الدافئة وكل هذا تم بناء على درجة القرابة والمعرفة  
بصديقى أحمد.

كنت سعيداً وأنا أشاهد هذا الإستقبال الحار والدافئ الذى حُرمت منه  
نالى الكثير من الترحيب وفى الغالب الأعم كان من على بُعد نظراً لأننى  
غريب عنهم، بداخل الدار أقبل والد أحمد وتلاه بعضاً من شقيقاته  
المتزوجات خلال هذا كنت أشم رائحة دخان القرن وبدا لى أن هناك  
استعداد لإعداد وليمة الغذاء، لم يمضى علينا وقت طويل إلا وقُدمت إلينا  
المشروبات المتنوعة سواء من اللبن الحليب الساخن المُحلى بالسكر أو  
شراب الورد الأحمر أو تناول مشروب الشاي أو الحلبة الصفراء المغلية.

إستبدل أحمد ملابسه بجلباب بلدى مثل أبناء الريف وأقبل نحوى  
بجلباب آخر وبعد جهد استطاع إقناعى بارتداء الجلباب مثله، بعد هذا  
غادرنا الدار فى جولة بداخل حوارى وأذقة القرية حتى وصلنا إلى مبنى  
جميل مشيد بالطوب الأحمر والمخالف لباقى مبانى القرية المبنية بالطوب  
اللبن، كان يحيط بهذا المبنى أشجار وزهور جميلة ومزود بباب حديدى،  
سمعته ينادى ويردد كلمة يا ساتر.

بعد قليل ظهر من داخل المبنى رجل يميل إلى البدانة وصافحه أحمد

ليعرفنى به ويعرفه بى:

- "أبويا عباس".

- "أهلا عم عباس".

- "أهلا يا ابنى".

- " ده زميلى الباشمهندس عادل ومعايا فى الجيش بس هوه ظابط وأنا أمباشى "

- " أهلا بيك "

- " منور البلد ومنور الدار .. م أجوم أعرّفهم إنك وصلت بالسلامة "

بعد أن غادر الحاج عباس المكان اقترب منى أحمد وأسر فى أننى بأن خطيبته فواكه سوف تأتى بعد قليل للترحيب بنا، لم يمض بنا وقت طويل إلا وحضرت فتاة جميلة ترتدى جلباباً طويلاً مزركشاً وتضع شالاً على كتفها وتغطي نصف شعرها الطويل، صافحتنى وصافحت أحمد وجلست بجواره تحادثه وتضع طرف الشال على ثغرها أثناء تحدثها معه.

كانت فواكه تتميز بجمال طبيعى ساحر، ذا بشرة بيضاء اللون وعيون واسعة سوداء وفم صغير وشفاه صغيرة حمراء وخدودها البيضاء مخضبة بلون أحمر خفيف، أقبل والد الفتاة وجلس معنا بعض الوقت وأشار لى صديقى بما يعنى أنه سوف يرافق خطيبته إلى داخل الدار .

قضينا حوالى الساعة فى ضيافة الحاج عباس والد خطيبة أحمد، غادرنا الدار أو القله (الفيلا) كما يطلقون عليها هذا الاسم الذى يُذكرنى حين النطق بقلّة الزجاجاة، أثناء سيرنا أخبرنى أحمد بأن خطيبته فواكه سوف تلحق بنا عند رأس الحقل (الغيط) الخاص بهم حيث يتم الرى اليوم والمساقية تعمل وسعفان المزارع هناك وسوف نخبره بأن يقوم بفتح حجرة الاستراحة فى الحقل لأن فواكه سوف ترافقها صديقته جواهر .

وصلنا إلى بداية الحقل أو رأس الغيط فشاهدت شجرة ضخمة تتبعث منها رائحة طيبة يطلقون عليها اسم (شجرة السنط) وتلك الشجرة يُستخرج

منها الصمغ الذى يُضاف له قليل من الماء ويصبح سائل ثقيل لزج يعمل على لصق الأوراق.

استقبلنا المزارع الذى يعمل لديهم حيث كان يرتدى ملابس خفيفة قصيرة يطلقون عليها اسم (القميص) وهى عبارة عن جلباب قصير توفيرا للقماش وهو نوع من القماش (الدمّور) رخيص الثمن، كانت الساقية تعمل حيث تقوم البقرة التى رُبّطت بها وتدور دورة دائرية بعد أن وضعوا غمامة على عينيها كى لا تصاب بالدوار، حين عمل الساقية تدور وبالتالي تقوم بتدوير العلبة الصاج المثبته عموديا عليها، تلك العلبة كبيرة الحجم يصل قطرها إلى ما لا يقل عن أربعة أمتار، بها علب صغيرة تغطس فى بئر ممتلئ بالماء القادم من ترعة الرى وحينما تصعد تلك العلبة لأعلى ممثلة بالماء تفرغ الماء بحوض مجاور يندفع إلى القناة الصغيرة التى تروى الأرض.

تلك الساقية من موروثات العهود القديمة وقد تعدى زمن عملها مئات الأعوام منذ اختراعها لكنها تعمل بكفاءة وبيبىء وتقوم الدواب من الأبقار أو الجاموس وفى بعض الحالات الجمال أو الخيل بتلك العملية، إنها آلة طبيعية بديلاً عن الماكينات.

أسرع سعفان الفلاح الذى يقوم برعاية وزراعة أرض صديقى أحمد العزازى إلى حجرة الاستراحة ولحقت به زوجته وعادا بعد قليل وأثار الإجهاد والغفرة بادية عليهما، لكن البسمة والسعادة ظهرت واضحة رغم حالتهم التى تدل على الإرهاق والمجهود الذى بُذل، تحدث صديقى وهو يشير إلى سعفان المزارع ويخبرنى بأن ابنه الأكبر مجند بقطاع الجيش

الثالث بسلاح المهندسين ويطلب منك أن تقوم بالتوصية عليه، وافقت على هذا وأقبل الرجل على زميلي أحمد العزازي بورقة وقلم كى يكتب بيانات ابنه لى، شاهدت أحمد يكتب اسم الجندى (محمد العادل سغان) أمسكت بيده وقلت له إن هذا الجندى يعمل بفصيلتى مما دفع أحمد العزازي للضحك ونهض يطمئن سغان على ابنه بأنه يعمل تحت قيادة حضرة الضابط عادل مما أسعده لهذه الصدفة الطيبة.

بعد قليل شاهدت صديقى أحمد تنفرج أساريره حيث كان مسلطاً نظره جهة القادمين من القرية وكان وقتها يجلس أرضاً مستنداً بظهره على جزع شجرة السنط، نهض واقفاً واقترب منى وقال:

- "حظك حلو، فواكه لجت جريبتها جواهر وهما جايين هناك"، إبتسمت لحديثه وتمائلت:

- "طيب .. إيه دخلى فى الحكاية دية؟".

- "شوف يمكن جواهر تلد عليك (تعجبك) وتشعرك بالراحة والمعادة بعد وفاة المرحومة نسمة".

- "لا يا أحمد .. محدش يقدر يحل محل نسمة".

- "ما يجراش حاجه، هما بنات يجعدوا يتحددوا مع بعض وأنا وأنت نتكلم لحد ما الوكل يخلصوه .. ومزت سغان (إمرأة سغان) تجيبه لنا هنا، أهو يوم تجضيه وسط الزرع والخضرة وكمان الحسان".

ضحكت على حديث أحمد ابن الشرقية الهمام الذى تركنى جالساً وتوجه للقاء الفتاتين وعاد بصحبتهما يتضحكون ثلاثتهم حتى اقتربا منى فوقفت احتراما لهم وقام أحمد بعملية التعارف، وظهر مليا مدى ما تتمتع به جواهر

من جمال ورقة وفتنة مما دفعنى لأن ابتعد بنظراتى عنها خشية اقتضاح امرى أو شعورها بالضيق وقد يُسبب هذا نوعاً من الحرج لصديقى وخطيبته. كل تلك الأفكار والأوهام لم تكن إلا فى خيالى وسرعان ما انفرد أحمد بخطيبته وجلسا بعيداً عنا وتركنى أحداث جواهر التى كانت تتحدث بثقة دون خوف أو خجل، وكأننى أعرفها منذ سنوات وتعاملت معى ببساطة مثل تعاملها مع أحمد.

كان الحديث الذى يدور بيننا حول الحرب والجيش ثم تطور للأغاني المحببة لكل منا، علمت أنها زميلة فواكه لكنها تستكمل تعليمها فى المعهد العالى التجارى فى مدينة الزقازيق، كان واضحاً أن الدراسة فى الجامعة أعطتها الثقة فى نفسها لأن تتحدث مع الجنس الآخر بنفس الندية دون خوف أو خجل كانت الفتاة رقيقة الحديث وكنت أنظر إليها كثيراً حتى أنها لاحظت ذلك وتسانلت إن كنت أشبه عليها أو أنتى معجب بها وبجمالها. كان السؤال مبالغتاً ولم أكن أتوقع طرحه فاستبدلت الإجابة الشفهية بالإبتسام والتحدث عن جمال الطبيعة والهدوء الذى يسود المكان، أثناء هذا نزعتم المشبب التى ترتديه ووضعت ساقىها بجدول الماء مما أضفى جمالا على الجزء الظاهر منه مما دفع بفواكه لأن تحذو حذوها وظلت الفتاتان تلهوان بالماء وتتضحكان وكل واحدة تتمايل على الأخرى ضاحكة معلقة بحديث صامت تعبر عنه نظرات العيون الثاقبة.

أقبلت تفيدة زوجة سعفان تحمل على رأسها صينية كبيرة من النحاس ومغطاة بقطعة قماش بيضاء ورافق حضورها رائحة شهية للحوم المحمرة والخضروات الطازجة، أسرعتم الفتيات للحاق بها ودخلن إلى الحجرة وبعد

قليل أقبلت فواكه تطلب منا بذوق رفيع وأدب جم النهوض واللاحاق بها  
لداخل الحجرة لتناول الطعام.

لا أستطيع وصف مائدة الطعام الشهية التى احتوتها الصينية وبداخل  
محيطها، شاهدت أشهى أنواع اللحوم سواء من البط أو الحمام أو لحوم  
الأرناب بالإضافة إلى شربة اللحوم وصينية فته بالثوم وسلاطة طماطم  
والليمون المخلل لم يقم أحد بالحديث حيث كان تناول الطعام أشهى وأجود  
من أى حديث، شعرت بالامتلاء ورغبة قوية فى الاستمرار وما بين الاثنين  
توقفت المعدة عن استقبال أى وافد جديد لها ولهذا امتنعت عن الطعام  
والحديث أيضاً والتصق ظهري بحائط الحجرة محاولاً التنفس على راحتى  
حيث ضغط الطعام على الحجاب الحاجز.

مازال ثلاثتهم يلتهمون الطعام وتبين لى فيما بعد أنهم اعتادوا على تلك  
النوعية من الأطعمة الدسمة الفاخرة لأن كل ما قدم لنا هو من إنتاج  
الأرض والدار، ولم يقم أحد بشراء أى شىء من خارج الدار حتى الخبز  
الفلاحى الكبير ذو الرائحة الطيبة تم إعداده فى داخل الدار، كنت أشاهد  
الفتاتين وقد لمعت الشفاه الجميلة بدسامة الطعام كما توردت الخدود الناعمة  
الجميلة من مجهود الطعام، بالإضافة إلى السعادة التى تملأ الجوارح لكل  
منهن لهذا اللقاء الشبابى الهادئ فى هذا المكان الطبيعى الخلاب.

انتهينا من تناول الطعام وحملت زوجة سعفان الصينية وبعد قليل  
شاهدتها مع زوجها يجلسان أسفل شجرة السنط يتناولان بقايا الطعام بعد أن  
حرر سعفان البقرة من رباطها بالساقية وأزال الغطاء عن عينيها ووضع  
أمامها بعضاً من نبات البرسيم ويجوارها جدول الماء الممتلىء، لقد شارك

الإنسانَ الحيوانَ فى تناول الطعام والحصول على الراحة بعد عناء العمل الشاق وقد انتصف اليوم بعد أن تمركزت الشمس فى وسط السماء .

جلسنا معا نتحدث ونتضحك وكان واضحاً مدى البراءة التى تلقنا نحن الأربعة رغم فتنة وجمال كل من فواكه وجواهر، تناولنا الشاي ثم طلبت من أحمد أن نعود للدار كى أستبدل ملابسى وأتوجه لبركة السبع كى أستكمل المهمة التى كنت أبحث عنها، وهى البحث عن مكان استقرار عائلتى بعد التهجير القسى.

حاول صديقى أن يقنعنى بأن أظل فى رفقته تلك الليلة لكنى اعتذرت له مُعرباً عن رغبتى فى أن أبحث عن مقر أسرتى مما دفع بجواهر لأن تتحدث : " بأن حضرة الضابط عادل مستريحشى فى البلد وعشان كده عايز يفر منا " .. نفيت هذا وقدمت شكرى لهم جميعاً فابتسمت جواهر وتساءلت هل هذا يعنى أنك سوف تعاود زيارتنا مرة أخرى ؟ فأيدت هذا فتدخلت فواكه لتؤكد بأن الهوى جه سوا وضحكنا نحن الأربعة، انتهزت فرصة تحدث أحمد مع خطيبته فواكه على انفراد واقتربت من صديقتها جواهر وقلت لها أهديك أغنية يا أبو عيون جريئة مما نفعها للضحك والهزلة خلف صديقتها وهى تشير لى من وراء ظهر صديقتها فواكه بإشارة الوداع.

افترقنا أثناء العودة حيث سارت الفتاتان بمفردهما متوجهتين لمنزل جواهر بينما رافقتى أحمد لمنزله وهناك التقيت بأسرته وقدمت شكرى لهم وأعربت عن سعادتى لما لاقيته من حفاوة اليوم، وشكرت سيدة الدار لجودة طهيها وللأنواع الكثيرة التى قُدمت لنا، شكرتلى لهذا الإطراء وأخبرتلى أنها

تشعر بالسعادة والفرح وأنها على أتم الاستعداد لأى زيارة أقوم بها مع ابنها أحمد لأن تقدم لنا المزيد من الطعام الشهى.

هكذا غادرت القرية وظل أحمد برفقتى حتى اطمأن على ركوبى سيارة الأجرة وأوصى السائق بأن يقوم بتوصيلى حتى محطة القطارات بل أنه قام بدفع الأجرة مقدما للسائق، سارت بنا السيارة بينما كنت أشاهد أحمد يلوح لى، لقد تأثرت من كرمه ومروءته هو وأسرته، لم يمضى على وقت طويل إلا ووصلت سيارة الأجرة إلى مدينة الزقازيق عاصمة محافظة الشرقية وبدا الغروب يقبل فأسرعت للمحطة وعلمت أن القطار المتجه للمنوفيه سوف يتحرك بعد عشر دقائق فتوجهت إلى الرصيف القابع عليه بعد أن اشتريت تذكرة القطار.

جلست فى داخل القطار أستعيد الساعات الماضية والتي اعتبرها لحظات طيبة جميلة روت لى كثير من جفاف الغربة والحنان وقهر الأعداء للوطن وضياع الحبيبة مع أسرتها، تأكد لى أن فواكه تخيرت جواهر وكأنها ترشحها لى كزوجة، كان هذا واضحاً من تصرفات الاثنتين، ولم تقم فواكه بهذا التصرف من تلقاء نفسها بل بإيعاز من خطيبها وصديقى أحمد بعد أن علم أن نهر الحب قد جف بفقد نسمة، ولهذا فكر فى أنه من الأنسب أن يُسرع باستعواض خسارة العاطفة والحب بأخرى من بنات حواء.

لقد كانت جواهر على درجة عالية من الجمال وخفة الظل بل إن قدها المياد آثار شوقى ولهفتى كى أدقق النظر إلى ما بدا لى من ساقها أثناء وضعها فى الماء ورغم أن فواكه حذت حذوها إلا أن ساقى جواهر كانتا أرق وأحلى من صديقتها، كان واضحاً ان فواكه نبهت جواهر للغرض من

هذا اللقاء ولهذا فلم تضيع جواهر وقتا بل دخلت مباشرة فى صلب الموضوع ببعض أسئلة تدل على اهتمامها ورغبتها فى الدخول فى علاقة شرعية مثل الفاتحة والشبكة لكن بطريق ملتف ومستتر.

الحمد لله، وصلت إلى مدينة بركة السبع وسوف أستقل أى مواصلة للقرية أو السير لأن تلك القرية تتبع المدينة ولا تبعد عنها سوى مائتى متر تقريبا ولهذا قررت السير نظراً لظلمة الليل التى بددت ضوء الشمس الذى كان ساطعاً منيراً للحياة أثناء لقاء الأصدقاء الثلاثة فى القرية، سألت أحد المارة الذى أفادنى بأن هناك أحد الرجال من مُهجري السويس يجلس أمام داره فتوجهت إليه.

هناك التقيت بعم فؤاد الغران جارنا فى بورتوفيق الذى رحب بى وقدم شكره وامتنانه لى لأننى تذكرته وجئت لزيارته، استأذنت منه كى أقوم بزيارة عائلتى فنظر الرجل إلى بدھشة متسائلاً :

- " إنت متعرفشى إنهم عزلوا من عشرين يوم ؟ "
- " عزلوا !! ليه يا عم فؤاد ؟ "
- " أبوك وأمك الناموس بهدلهم وكمان لساعات البراغيت مرحمتهمشى قاموا جريوا وراحوا يعيشوا عند أختك فى روض الفرج . "
- " الله يبشرك بالخير .. كده أقدر أزور أمى وأبويا وأختى كمان .. لكن مصطفى أخويا ومراته وابنه فين ؟ "
- " كلهم راحوا عند أختك . "
- " شكرا يا عم فؤاد وربنا يصبركم . "
- " أمين . "

غادرت القرية مسرعاً إلى القاهرة ووجهتني حتى روض الفرج الذي قضيت فيه خمسة أعوام جميلة كلها ذكريات عذبة أثناء الدراسة وأيضاً قصة حبي مع الراحلة نسمة، لم أتوجه لمنزل شقيقتي مباشرة بل توجهت لمرمى الأتوبيس النهري على شاطئ النيل، بعد قليل أقبل الأتوبيس النهري ونظرت إليه وأعتقد أنني سألتها: هل تتذكر حبيبتي نسمة التي كنت نلقاها نحن الاثنين إلى كوبري الجامعة لفترة خمس سنوات؟ هل تتذكر بعينها الرقيقة ورائحتها المحببة وصوتها العذب حين الحديث؟.

لا تبخل على حالي وجاوب عن سؤالتي فأنا أحتاج كل ثانية من ماضي الذكريات البهيج السعيد، أنا أعلم أنك جماد لا تتحدث وأيضاً لا تكذب، اصدقني القول وتحدث مرة واحدة، سمعت صوت الأتوبيس النهري يجيب عن سؤالتي ويطيب خاطري بضحكة طيبة أثارت أشجاني فابتسمت ورفعت يدي سعيداً شاكرًا له حُسن الإجابة، أقبل على أحد الركاب الذي كان يقف قريباً مني متسائلاً عما دفعني للضحك والسرور ورفع يدي للتهليل وأنت ضابطة ترتدي ملابسك العسكرية؟ هل سمعت نبأ سار عن القتال مع العدو؟

نظرت إليه وشدت على يديه سعيداً فرحاً مردداً: " تصور .. جاوب عن سؤالتي وطمني على حالي " .

- يتسائل بدهشة : " هوه مين يا سعادة البيه ؟ "

- " أردد .. الأتوبيس .. أيوه الأتوبيس النهري .. إيه مش مصدقني .. طيب .. تعالى ما أقولك إيه إल्ली حصل " .

أشاهد الرجل يتعد عنى مذعوراً ويضرب كفيه بعضهما ببعض مردداً : " الله يخرب الحرب وسنينها، الحرب لحست عقل الظابط " .

تركت المكان متجهاً لبيت شقيقتي مديحة والسعادة والفرحة تلازمني ولم أهتم بملاحظات الرجل الذي كنت أتحدث معه، إنه يختلف عنى وأنا أختلف عنه، أنا أحب وأعشق نسمة وهذا الأتوبيس ركبناه آلاف المرات، إن هذا الرجل يستخدمه ضيقاً وتبرماً للتوجه لعمله بينما نركبه أنا ونسمة فى سعادة وبهجة ونحن متوجهين للدراسة فى الكلية ترافقنا أحلام المستقبل المنشود وتضىء عيوننا نظرات الحب الموعود.

توقفت عن السير بعد أن قطعت عدة خطوات على نداء الرجل الذى كنت أتحدث معه، سمعت نداءه لى :

- " يا بيه .. يا حضرة الظابط " ..

- " أيوه يا عم .. هو بالمناسبة اسمك إيه ؟ " .

- " خدامك منصور " .

- " أيوه يا عم منصور .. طلباتك ؟ " .

- " أنا مليش طلبات لكن عايز أمتقصر منك عن حاجه " .

- " حاجه ! حاجه إيه ؟ " .

- " يعنى لو فيها قلة ذوق .. أنت كنت بتكلم نفسك .. مش معقول يا بنى

تقول أن الأتوبيس النهري كان بيضحك وبيجاوب على سؤالك " .

- إختصرت فيما رغبت أن أقوله لعم منصور عن حالى وما حدث

لخطيبتى نسمة قائلاً : " حينما سمعت صافرة الأتوبيس النهري حولتها إلى

ضحكة، وعندما سمعت هدير أصوات الماكينات حولتها لأحاديث عذبة طيبة " .

وقف الرجل أمامي وظهرت الدموع في عينيه مهدداً على كفتي معتزلاً سوء اعتقاده في فكري راجياً من الله أن يلطف بي لفقدى تلك الإنسانة العزيزة، وسار باكياً مغادراً يضرب كفاً بكف ويردد المثل الشعبي : " لو كنت تعلم حالى لامتنعت عن سؤالى !! " .

بداخل شقة شقيقتى إستقبلنى كل من أبى وأمى بالفرحة والسعادة والقبلات والأحضان الدافئة فرحين بعودتى مجبور خاطر كما كانوا يرددون، كما تلقيت تحية شقيقتى الغالية وعلمت منهم أن أخى مصطفى استأجر شقة صغيرة بأحد شوارع حى السبتية القريب، أخبرتهم أننى توجهت لبركة السبع والتقيت بعم فؤاد الفران الذى أخبرنى عن مكان سكنكم مع شقيقتى مديحة.

قضيت وقتاً ممتعاً معهم، كل يوم كنت اتجه لمرسى الأتوبيس النهري أناجيه بخيالى، هذا الخيال الذى كنت أشعر أنه يطير كى يؤسس لى حياة فى عالم اللامعقول، وأننى أتأبط ذراع نسمة ونهبط الدرج الذى يصلنا لمرسى الأتوبيس كى نستقله متجهين للكلية، فى إحدى تلك المرات تحول الخيال والوقوف والتأمل إلى حقيقة حيث هبطت الدرج وركبت الأتوبيس حتى كوبرى الجامعة، وطوال تلك المسافة لم تتبعد عيناى عن الباب المؤدى لداخل الأتوبيس لعل نسمة تقبل وأشهد خيالها وروحها الهائمة لكن لم يحدث هذا.

غادرت الأتوبيس ووقفت أمام المرسى منتظرا خروج نسمة من الداخل ومراقبتها ومتابعتها حتى لا تفقد فردة حذاءها مرة أخرى كما حدث فى السابق لكن كل هذا لم يحدث، وشعرت أنني أشاهد سرايا لأمال وأحلام يجب أن أوقف زحفها على عقلى لأن الواقع والمؤكد أن نسمة أصبحت بجوار ربهما وأن كل نفس ذائقة الموت الذى لا مفر منه.

تتبع أثر خطانا التى كنا نقطعها فى الماضى بطول الطريق المؤدى للجامعة بدءا من تمثال نهضة مصر حتى أبواب كلية الهندسة، شاهدت الطلبة والطالبات يسعون للعمل وظهرت الفرحة على وجوههم الشابة والنظر للمستقبل بالأمل المنشود، سمعت اسمى يتردد على لسان أحد الشباب خلفى فالتفت فشاهدت زميلى وصديقى جورج باسيلي وهو أحد الطلبة الموهوبين فى دفعتنا إلتقينا بحفاوة وحب جارف واصطحبني إلى المكتب المخصص للمعيدين نظراً لأنه من أوائل دفعتنا أثناء التخرج.

جالسنا بعض الوقت نتحدث فى أمور شتى كان الغالب عليها الأحداث الجارية وحينما علم بأننى ضابط احتياط فى سلاح المهندسين تسائل عن الكثير من زملائنا الذين تم تجنيدهم حيث علم هذا من بعض الزملاء أو الجيران لهؤلاء الزملاء، توقف فجأة متسائلاً عن أخبار نسمة وما تم من إجراءات الزواج توقفت الإجابة فى حلقى وأصبحت عادة حينما يوجه لى سؤالاً بخصوص هذا وبدلاً من الإجابة لمعت عيناى بدموع الحزن مما دفعه لأن يربت على كتفى مواسياً: "بالأ أغضب وهذا هو حال الدنيا ورننا ح يعوضك والبنات الحلوه ماليه مصر " ثم ودعنى متوجها لأحد الأبنية الذى يقوم بالتدريس فيها.

## المواقف الإنسانية للمصريين

تذكرت موعد إجازة صديقى أحمد العزازى ابن الشرقية ولهذا لم أتردد فى التوجه إلى قريته وبالمسؤال عنه وجدته يستمتع بإجازته التى حصل عليها من وحدته منذ أمس، أقبل على مسرعاً للترحيب بى محاولاً العثور على السبب الرئيسى الذى دفعنى لزيارته فقد كنت فى زيارته الشهر الفائت وضحك واقترب منى وهو يهمس :

- " يظهر إن السنارة غمزت يا عادل ؟ "

ضحكت لسؤاله رغم أن السنارة لم تغمز ولكن حبى للحياة فى الريف دفعنى للزيارة وأيضاً فقدى للأنيس وكيفية العثور على طريقة لقضاء الإجازة وحين تذكرت موعد إجازته دفعنى هذا للقيام بزيارته، وما حدث فى الزيارة السابقة تكرر فى تلك الزيارة وزاد عليه أن عم سعفان الفلاح وزوجته تقيدة قدموا الشكر الجزيل لشخصى لأننى تحدثت مع ابنهم محمد العادل وعرضت عليه تسهيل أى مشكلة يتعرض لها مما أسعده وعلّموا منه هذا فى إجازته التى انتهت منذ عشرة أيام.

انتهت الزيارة وتأكد لى أن كل من أحمد العزازى وفواكه تأكد لديهما أننى راغب فى الارتباط بجواهر ولهذا اقتربت الفتاتان منى وشعرت بأننى أصبحت فى نفس منزلة زميلى أحمد العزازى، عصر اليوم غادرت القرية متوجهاً إلى محطة قطارات الزقازيق انتظاركاً لوصول القطار الذى سوف ينقلنى للقاهرة، كان موعد القطار فى السابعة إلا الربع مساءً، أقبل القطار فى الموعد وكان رصيف المحطة قد شغل بالكثير من المسافرين المنتظرين

سواء من جنود الجيش أو من بعض العائلات، استطعت اختراق الصفوف والزحام بصعوبة وساعدنى على هذا ملابسى العسكرية.

وصلت لأحد الدواوين وظللت واقفاً فلا توجد أماكن شاغرة كى أستطيع الجلوس ولن يغامر أحد بالوقوف من أجلي خاطرى، شاهدت على رصيف المحطة رجل أشيب الشعر ويبدو عليه الوقار ويرفته ابنتاه على ما أعتقد، كان ينظر لداخل الديوان كأنه يبحث عن شىء ما، شعرت من نظراته لركاب القطار كأنهم نجوا بأنفسهم من كارثة، بعد تردد اقترب من شباك القطار مشيراً نحوى أسرع نحو الشباك فتحدث معى بكلمات سريعة وفى صورة رجاء إن لم يكن توصل:

- " ممكن تساعدنى أركب بناتى، مش عارفين ندخل عربية القطار، الناس واقفه على الباب والزحام شديد " .

نظرت لمن حولى سواء الجالسين أو الواقفين فأسرع أحدهم بقوله:

- " يا الله يا رجاله نساعدهم يركبوا من الشباك " .

كان هذا هو الحل الوحيد، إحدى الفتاتين تعدى عمرها العشرين عاماً أما الأخرى فلم يزيد عمرها عن العشرة أعوام وكانت نحيفة القوام تنظر إلينا بخوف ورهبة وبعض دموع ساكنه فى عيونها المترتبة لأى شىء خطير، ولهذا كانت تحتضن شقيقتها الكبرى وتقف بجوارها ولم يتعدى طولها نصف طول شقيقتها نبتت فى رأسى فكرة سبق وأن قمت بتنفيذها مع جنودى أثناء عملية إجلاء سكان مدينة بورتوفيق، ملخص تلك الفكرة التى تعتمد على نظرية الحمل، أى لف الشخص مثل السجادة، وهذا ما سبق وأن قمت به مع جنودى لإتقاذ بعض أبناء بورتوفيق والذى تهدم مسلم العمارة ولم

يستطيعوا النزول فكنا نقوم بلف السيدة أو الرجل العجوز ويحمله ثلاثة جنود ويهبطوا به، أخبرت الرجل بتلك الفكرة التي لم يكن أمامه من شيء سوى قبولها، حاول رفع إحداهن لكنه لم يستطع فعاونه بعض الشباب الواقفين على رصيف المحطة والذين فشلوا في اختراق الزحام وركوب القطار.

كان منظرًا فريداً ومثيراً للشفقة والحزن والشهامة في آن واحد، كل فتاة أثناء حملها ورفعها كنت تضم ساقها بشدة لبعضهما البعض وأيضا من يقدمون يد المساعدة يقومون بحملها من الأكتاف أو المناطق التي لا تمس الحياء بداخل القطار تلتفتها أيادي كثيرة رحيمة طيبة وشعر كل شاب بأن مَنْ تُدفع من الشباك هي شقيقته أو خطيبته أو جارتها، نهض الجالسون وأجلسوا الفتيات اللاتي وصلن بالتوالي ثم تبعهن والدهن، أصيبت الفتيات بحالة من الفزع والخوف حينما تأخر وصول الأب من الشباك وبالأخص حينما شعرن بأن القطار بدأ في التحرك، هاجمتهم حالة من الخوف بأن الحماية والعطف قد ولى وأدبر وأنهن أصبحن بمفردهن في هذا العالم الموحش المخيف، استطاع الشباب مساعدة الأب في ركوب القطار من خلال الشباك وجلوسه بينهن، ثم توالى وصول الحقيبتين مما أشاع بينهن حالة من السعادة والبهجة.

مازال القطار يتحرك وازدادت سرعته، نظر إلينا الأب الطيب وكان يردد بعض الأدعية لكل من قام بالمساعدة وأن يفهمهم الله شر العوز أو الإحراج أعقب هذا بعض دموع ساخنة هبطت من مقلتيه بين مواساة البعض وتقبيل البعض لرأسه مع حنان ابنتيه بلمس خديه برقة وكل واحدة منهن كانت تهدد على صدغ والدها مما دفع بابنته الصغرى لتقبيله وترك

مكان جلوسها لتجلس على فخذي، طلب منها أحد الشباب في كياسة وأدب بأن تعود وتجلس في مكانها ثانية لأن ثقل وزنها لا يتحملة والدها المسن، انصاعت الصغيرة والتي لم يتعد عمرها العاشرة.

كانت الفتاة الكبيرة تجلس ساكنة وقد اعتراها خجل وحياء مع عدم النظر إلى كل مَنْ تقدم لمساعدتها، انهمك الركاب في الأحاديث المتبادلة بينهم وظل الجميع وقوفاً احتراماً للأب وابنتيه، على مشارف مدينة منيا القمح خلا المكان المجاور للفتاة الكبرى بنزول أحد الركاب الذي أشار إلى بأن أجلس مكانه فجلست على حافة المقعد، تحدثت معي الأب عبر الفاصل الذي يفرق بيني وبين ابنته ومن حين لآخر يربت على ركبتي شاكراً ما قمت به مع الشباب من أجل مساعدته في ركوب ابنتيه القطار.

كنت أشعر بالسعادة أن استطعت مع الشباب المصري الشجاع صاحب المبادئ والقيم أن نقدم كل عون لأي إنسان في احتياج، في نفس الوقت كنت في حالة من الحزن الكامن في داخل قلبي بأن أجد هذا الأب يهرب بابنتيه من داخل جحيم المعارك بمدينة الإسماعيلية، لقد هرب الرجل حفاظاً على حياة ابنتيه وعلى شرفهن.

وصل بنا القطار إلى محطة مصر وقمت بحمل الحقيبتين نيابة عن الأب وغادرنا عربة القطار حتى وصلنا إلى الباب الرئيسي الذي يفضى إلى ميدان المحطة، شكرني الأب وطلب مني وضع الحقائق أرضاً، حاولت مواصلة حمل الحقائق لكنه صمم على طلبه وأنه يرغب في أن يحدثني على انفراد، شعرت بأنه في احتياج إلى عون مادي وقررت في داخلي بأن أهبه كل ما معي من نقود ولن أبقى معي سوى خمسة قروش كي أستقل

وسيلة مواصلات لبیت شقیقتی فی روض الفرج، إبتعدنا عن مكان وقوف  
ابنتیه قليلاً ثم همس بالقرب من أذنی :

- " أنا حبيبتك زى ابنى إلی رينا مكرمينش بأنى أجيب ولد، حكايتی صعبة  
جدا، أنا مدير فرع بنك مصر فى الإسماعيلية، مرتبى كبير والحمد لله، ولما  
سكن وظيفى تبع الشغل لكن الحرب دمرت كل حاجه، مراتى رينا افكرها  
من أسبوع، غارة جوية وجرينا كلنا للمخبىء لكن مدفعية العدو كانت  
بتقصف مبانى الإسماعيلية، جه نصيبها فى شطية أنهت حياتها فى الحال،  
ولاد الحلال ساعدونا أننا نكفنها ونقلناها لبلدها قريب من مدينة السنبلوين  
بالمنصورة اندفنت فى مدافن العيلة حسب وصيتها وهيا بتطلع فى الروح.

أخوها منصور صمم إننا نقعد عنده، كنت بأفكر : ح أروح ببنايتى  
الاثنين فىن، بعد يومين جه خال البنات وقال يا مصطفى يا خويا نخطب  
رجاء بنتك لابنى زينهم، سكت .. لأن الوقت مش مناسب والظروف كمان  
مش طبيعية عرضت الأمر على رجاء إلی رفضت وماوفاقتشى، منصور  
خال البنات زعل وقال يا مصطفى من بكره تشوفك مكان تانى، قلت آجى  
مصر وأسكن فيها أعرف ساعى كان عندى فى البنك وكنت كلمته من  
أسبوعين يشوفلى شقة وعرفنى أن فيه شقة مش قد المقام، كانت مخزن  
لمصنع جزم قلت أخذها .. ح أسيبك دلوقتى وأروح أقابله، هوه قريب من  
هنا فى درب البرابرة " .. كنت أستمع لحديث الأب الحزين وأنا راغب فى  
أن أصرخ فى وجهه بأن يتوقف عن حديثه لقد كادت أعصابى أن تنهار  
وأنا أشاهد الفتاتين تنظران لنا بوجل وبالأخص الصغيرة التى كانت تتشيس

بملايس شقيقتها والتي كانت تحتضنها وتربت على ظهرها ومن حين لآخر تتحنى عليها تقبلها، أكمل الأب حديثه:

- " شوف يا ابني .. رجاء بنتى جميلة إزاي وحلوه وخلصت دراستها فى الجامعة من سنة ونص، لو شفت عريس يناسبها عرفنى وملناش طلبات، ياخدها بهدومها عشان أفضل أراعى الصغيرة إالى لسه بتدرس فى سنة أولى إعدادى لكن الظروف مش مساعده، مش ح أوصيك وكله فى ميزان حسناك ولو مكنتش مرتبط أنت أولى بيها " .

عند هذا الحد وضعت رأسى على كتفه مواسياً باكياً من شدة التأثر مما دفع بعض المسافرين للنظر إلينا وسمعت أحدهم يخاطب صديقه بأن العائلة أقبلت تودع ابنها الضابط بالجيش قبل ركوبه قطار الإسماعيلية، حملت الحقيبتين وأشرت لهم أن يتبعونى، فى داخل الميدان أشرت لتاكسى فتوقف وطلبت منهم الركوب، ركبت بجوار السائق وطلبت من الأب أن يخبر السائق بالعنوان وصلنا إلى درب البرابرة وتوقف بنا السائق ودفعت أجره وانصرف، على أول الشارع الذى لم يكن سوى حارة ضيقة ومخالفة لما سبق وأخبر به الساعى مديره والد الفتاتين .

حملت الحقائب وسرت مع الأب الطيب والفتاتان يسرن خلفنا مباشرة قمنا بالسؤال عن الساعى الذى كان يعمل لديه فى الإسماعيلية وبعد قليل حضر الرجل مهرولاً وحمل الحقائب عنى وسرت برفقتهم حتى باب الشقة أو المخزن عندما شاهدت الفتاتان المكان اندفعتا فى البكاء ورفضتا أن تبيتا فيه، كان المنزل أو المخزن تتبعث منه روائح سيئة نظرا لعدم

دخول أشعة الشمس به وأيضا لانخفاضه عن مستوى سطح الأرض بأكثر من نصف متر.

حملت الحقايب ثانية وشكرنا الساعى الذى كان فى وضع حرج وأخذنا سيارة تاكسى إلى روض الفرج، تعدت الساعة الثانية عشرة ليلاً والبرودة شديدة شعرت أن الفتيات فى احتياج للحمام، وصلنا إلى هناك وصعدنا لمنزل مديحة شقيقتى التى استقبلتهم بالترحاب وأقبل فى عقيبتها كل من والدى ووالدى والحاج عوض زوجها، اختفت مديحة بالبناات بينما جلس والد البننتين مع أبى وأمى أشرت للمعلم عوض بأن يتبعنى واختصرت فى وصف حالة تلك الأسرة مما دفعه للبكاء، جفف دموعه وطلب منى الانتظار مشدداً علىّ بالألا أترك تلك العائلة تغادر المنزل حتى يأتى من مشوار مهم، خلال هذا كانت شقيقتى تتابع حالة البننتين وعلمنا فيما بعد أن البننتين كانتا فى احتياج لاستخدام المراض منذ ظهر اليوم لدرجة أن الصغيرة بالت على ملابسها أثناء انتظار القطار فى محطة الزقازيق، وقد تألمت الفتاتان من لدغات البراغيث التى لحقت بهما سواء فى منزل الخال أو منزل حسن العريان وزوجته سميحة الذى استضافهم ليلة بعد أن طردهم الخال من منزل العائلة أى منزل الجد والجدة ولهم ميراث به.

قامت شقيقتى بكل ما يجب القيام به بل وصممت على حصول البننتين على حمام ساخن ووفرت لهن ملابس خاصة بالنساء من ملابسها المتوفرة، ثم أعقب هذا قيام الأب بزيارة الحمام بعدها أقبل منشرح الصدر فشهد فتاتيه تضحكان وتتحدثان مع شقيقتى مديحة مما انعكس على حالته النفسية وانفرجت كل مظاهر العبوس التى كانت واضحة على وجهه، بعد

قليل أحضرت مديحة مائدة عامرة من الأطعمة الشهية المنعشة وجلست بين الفتاتين تدفعهما لتناول المزيد من الطعام مما دفعهن للضحك.

انتهت الفتيات من طعامهن ولحقن بشقيقتي في داخل الشقة ودار بينهما حديث طيب سمعت خلاله بعض الضحكات التي أنارت الشفاء المظلمة الحزينة، مضى على اختفاء الحاج عوض ما يزيد عن الساعة أقبل بعدها منشرح الصدر وطلب منى ومن عم مصطفى والد البنيتين مرافقته، سار بنا حتى آخر الشارع ثم توقف أمام باب عمارة حديثة الإنشاء وصعدنا معه للدور الثاني، وأخرج من جيبه مفتاح وفتح به باب الشقة وأضاء أنوارها، هتفت ومعى الأب الحزين لروعة وجمال الشقة وأثاثها، نظر المعلم عوض للأب متسائلاً :

- " الشجة تعجبك يا بيه ؟ "

- " بس مش ح أقدر أدفع إيجارها "

- " حد طلب منك إيجار، المهم الشجة تعجبك ؟ "

بكى الأب وألقى بصدره على صدر المعلم عوض الذى بكى بدوره وتبعته ثم عدنا إلى منزل شقيقتي وحملنا الحقائب وعدنا للشقة التي أعجبت الفتيات وهتفن حين مشاهدتها، سلم المعلم عوض مفتاح الشقة للأب قائلاً:

- " الشجة واللى فيها تحت أمرك لحد ما الأحوال تتحسن وترجع بلدك، وعلى فكرة كل الخضار والفاكهة ح توصلكم مع حد من عمالي، ليلتكم ورد .. " ثم صافح الأب وعدنا فى طريقنا لمنزل شقيقتي، أثناء الطريق أخبرنى المعلم عوض بأن تلك الشقة كانت معروضه عليه للبيع منذ فترة ومن أجل

هذا تركنا وتوجه لصاحبها وقام بشرائها وسوف يجعلها صدقة جارية لتلك الأسرة حتى تتحسن الظروف والأحوال ويعودون لحالتهم الطيبة.  
رجاء :

أصبحنا بمفردنا بعد أن غادر عادل والحاج عوض الشقة، وقفت أنظر لكل شيء من حولي ولا أستطيع التحدث أو التصرف، تجمد كل شيء أمام عظمة ورقة تصرف الحاج عوض وقبله هذا الشاب الوسيم عادل، رغم ما كان يحيط بنا من مواقف وأحوال سيئة منذ عدة ساعات لكن لقاءنا بعادل رطب علينا حرارة قسوة البشر وسوء الأخلاق والنظرة الشرهه التي كنت أشاهدها فى عيون بعض الرجال وهم يسلطون نظراتهم الجارحة نحوى للدرجة التي كنت أشعر معها بالحرع وبأنهم شاهدوا نوعية وألوان ملابسى الداخلية.

كان عادل مخالفاً للجميع، فهو يخشى النظر نحوى مما دفنى للتعجب والدهشة، فأنا أعلم مقدار أنوثتى وجمالى سواء أثناء الدراسة فى الجامعة أو بعد التخرج وأثناء تنزهى فى الإسماعيلية والنظرات المتلاحقة التى كنت أشاهدها بل وأشعر بأنها تلاحقنى بعد أن يتعدى بصر المراقبين وجودى أثناء سيرى، ولهذا كنت فى حيرة من أمرى ودهشة رغم أننى شاهدته يرتدى دبلة من الفضة وحينما سأله والدى أنه مرتبط صمت قليلاً ونفى هذا بهزة رأس خفيفة، ولهذا إعتقدت أنه يرتدى تلك الدبلة كنوع من البركة أو أن أحد أقربائه عاد من الحج وأهداه تلك الدبلة.

كان أسوأ شيء جرح مشاعرى نحو عادل ما قام به أبى من عرضى عليه للزواج بى أو لأى أحد آخر يثق به، أنا أعلم نية والدى الحبيب بأنه

يرغب فى أن أستقر وأن يسلمنى لشاب يتزوجنى ويقوم على حمايتى ولكن ليس بتلك الطريقة تحل وتعالج هذه الأمور لكن الأحداث الدامية التى تعرضنا لها ونحن معه وأيضاً سوء أخلاق وتصرفات خالى منصور وزوجته رتيبة وابنه زينهم كان له الأثر الفعال على نفسية أبى، وبالتالى على تصرفه فى بعض الأحيان ولن أنسى ليلة العذاب من لدغات البراغيث فى دار حسن العريان وزوجته سميحة الجميلة، ورغم كرم هؤلاء إلا أننا كنا فى حالة من التشنت والحزن والألم.

كنت أراقب أبى وأسمع حديثه مع عادل بعد أن هبطنا من القطار اللعين الذى كان به بعض الملائكة من البشر أسهموا فى الترحيب بنا وتقديم يد المساعدة ولولا تلك المساعدة ما كنا قد وصلنا إلى ما نحن فيه الآن، لن أنسى مديحة شقيقة عادل الرقيقة التى حنت علىّ وعلى شقيقتى الصغيرة هناء ولا أنسى أنها دفعت بنا للحصول على حمام منعش كى نتخلص من أقدار تعدت الأسبوع منذ وفاة والدتى، لقد قامت بنفسها بإعطاء هناء حماماً دافئاً أعقبه استبدال ملابسنا التى تملوها القذارة والأتربة والتحفظ عليها كى تقوم بغسلها صباح الغد، كما كان لمائدة الطعام الرائعة التى أعدتها من أثر فعال علينا مما دفع بشقيقتى هناء إلى أن تنعم بالنوم على ساق أم عادل بعد أن شعرت بالأمان وملأت البطون وحصلت على النظافة الشخصية التى كانت تؤلم بشرتها الرقيقة الناعمة.

منذ دقائق وأبى مشغول فى الحصول على حمام منعش ثم سمعت صوته بعد أن انتهى من حمامه يخبرنى بأنه متعب وسوف يدخل لينا على السرير فى الحجرة الصغيرة وليترك لى ولهناء الحجرة الكبيرة التى يزينها

الأثاث الفخم الذى صنع بمدينة دمياط، كان الأثاث من الفخامة والأبهة كما توقعت لرقته وجودة صناعته، اختفى أبى بحجرة النوم وفى الصالة شاهدت صغيرتى تنام جالسة فحملتها إلى السرير واستبدلت ملابسها بملابس النوم وفردت جسدها ونمت بجوارها يقطرة، فما حدث منذ ساعتين لن ولم أصدقه حتى الآن مقارنة بتعامل الأهل من أواصر الرحم، كانت الهوة واسعة كبيرة بين الاثنين خالى منصور والمعلم عوض.

كنت أداعب خصلات شعر هناء الناعم المستمرل مما دفعها أثناء نومها إلى أن تخرج زفيرا قويا حصيلة أيام الكره والعنف وسوء التعامل معنا مما أشعرنا بأننا مطاردون مضطهدون، قبلت هناء ونهضت واستبدلت ملابسى وجلست على أحد الكراسى الفوتيه الرقيقة الجميلة والتي تعطى المعنى على الفخامة والأبهة سرحت بخيالى فى الشاب الذى أوقعه القدر فى طريقنا كى يسهل علينا مصاعب وقسوة البشر ويساعد فى ترتيب حياتنا التى هى فى الأصل من عند الخالق، بأن يدفع ببعض البشر إلى أن يكونوا الوسيلة لدرأ الهم والغم عن بعض عباده المقهورين من أمثالنا لدرجة أن هذا القهر وتلك القسوة أتمتنا الحزن الذى يجب أن يكون على فقد أمننا الغالية.

كنت فى حالة من الخجل والتوتر بأن تمتد أيادى شباب ورجال لتحملنى وكيف يحدث هذا، لم يحدث لى هذا منذ مرحلة البلوغ ولم أعد الطفلة التى تلهو مع أباه وتجلس على ساقيه تداعب شعيرات نقه التى نسى حلاقتها والتخلص منها مثلما تفعل هناء الآن، لقد كانت تلك نصيحة أمى إالىّ ولهذا اتبعت تلك النصيحة لكن جاء الوقت الذى تمتد فيه أيادى كثيرة غريبة على وتحسس جمدى، ورغم هذا شعرت بأن تلك الأيادى طاهرة حنونة كأنها

أيادي نساء قريبات تشعرني بكل حنية، وبعد أن انتهوا من دخولي عربة القطار أتبعوها لشقيقتي الصغيرة التي شاهدت نفسها تجلس بجوارى فسكتت وابتعدت عن الصراخ والبكاء واحتضنتني بكل قوة وأثناء هذا شاهدنا أبي أمامنا، ونهض مَنْ كان يجلس مجاوراً لي كي يعرض عليه الجلوس بكل احترام وأدب يشعرك بالخجل ويأن أمثال هؤلاء الشباب يجب أن تُقبل أيادهم الرحيمة.

بعد أن تبتهت مما حدث وشاهدت عادل يسرع لشباك عربة القطار ويتلقى الحقيبتين الخاصتين بنا ويعاونه بعض الشباب بوضعهما فوق حمالة الحقائب بالعربة، بعد أن جلس عادل بجوارنا ظل والدي يتحدث معه بسعادة وتقدير وأصبحت رؤوسنا نحن الأربعة متجاورة أثناء ذلك.

قبل وصولنا إلى محطة مصر كنت أشعر بنوع من الألفة مع هذا الشاب وكأني أعرفه منذ فترة طويلة وأنه ليس غريباً عنيّ وكأني سبق وشاهدته قبل هذا، كان عادل أليفاً لي وقريباً من أحاسيسي والتي لم يحدث لي مثل الحادث من قبل حيث لم أكن أعير تعليقات الشباب الذين يحاولون لفت نظر الفتيات إليهن أي اهتمام، لكن في تلك الليلة كان عادل محط اهتمامي لدرجة أنني كنت أشعر بحالة من الحزن القادم حين أتذكر أنه سوف يغادر محطة القطار بعد دقائق ويتركنا، كنت أود أن يظل واقفاً يتحدث مع أبي.

من شدة لهفتي على بقائه سواء من حالة الاطمئنان التي شعرنا بها منذ لحظة تقديم يد المساعدة لنا حتى الآن أو من حالة الانفعال الداخلي والذي شعرت بلمسات من الرومانسية الحاملة وقتها لدرجة أشعرتني بأنني

أبتسم فى بعض اللحظات على عكس ما حدث منذ أكثر من أسبوع منذ وفاة أمى الحبيبة وقد لفت هذا نظر أبى حيث علق أثناء سيرنا على رصيف المحطة خلف عادل الذى كان يتقدمنا حاملا الحقيبتين الكبيرتين بأنه يلاحظ أن وجهى (منور) وضحك لهذا وربت على يدى الفارغة من حماية ورعاية هناء.

فى فناء محطة مصر وأثناء حديث أبى مع عادل تذكرت الموقف الذى تعرضت له ابنتا شعيب عليه السلام ووقوف النبى موسى بجوارهما وسقاية الأغنام، تلك القصة التى كنت أسمعها خلال تلاوة القرآن الكريم فى فترة السهرة فى الساعة الثامنة من إذاعة القاهرة وسيطرت على عقلى، كدت أشير إلى أبى وأطلب منه أن يحصل على عنوان هذا الشاب الذى لم أكن أعرف اسمه حتى الآن، كنت فى حاجه إلى هذا الشاب القوى الأمين، القوى لأنه حملنى مع بعض الشباب وأيضا يحمل حقيبتين من الأوزان الثقيلة والأمين لأنه كان أمينا ومحافظاً على وعلى هناء أثناء جلوسنا وكان يتفادى بقدر ما يستطيع النظر المباشر لى أو لساقى أثناء الجلوس، ونحن الأربعة ملتصقين معا لأننا كنا نجلس مكان ثلاثة ركاب ولهذا أصبح مكان جلوسنا ضيقاً.

أصابتنى الحيرة وأعقبتها الخجل حينما سمعت صوت أبى الباكي يطلب من هذا الشاب أن يبحث لى عن زوج ولن يطالبه بشبكة أو مهر، كل ما عليه أن يقوم بحمايتى والحفاظ على حتى يتفرغ لشقيقتى هناء، زاد هذا من جزعى وخشيتى بل إزداد الأمر سوءا حينما عرض عليه أبى نفس العرض وأنه أولى من الغريب، شعرت وقتها بأننى مرفوضه وغير مقبولة حتى من

أعز الناس لى وهذا الشاب دمس الخلق الشهم الذى لا أعرف أى شىء  
عنه سوى اسمه فقط عندما نكر اسمه أمام أبى، حينما بكى الشاب على  
كتف أبى شعرت بأن قلبى يبكى وكادت الدموع تفر من عيني ولم يوقف  
تلك المشاعر والأحاسيس من الظهور إلا حين مشاهدتى وسماعى لبعض  
الركاب المسافرين وهم يرددون:

- " لا حول الله، شوف الراجل الكبير جاى يودع ابنه الطابط وخايف عليه  
وكمان جايب إخواته البنات، شايف الناس بتحب بعضهم إزاي ؟ ! "

- " لكن أنا مش شايف أمهم معاهم !! "

- " يمكن مريضه وإلا ربنا افتكرها وريحها من الغلب إللى الناس عايشه فيه  
اليومين دول . "

- " بس الأب غلطان، إزاي ينزل بناته فى الوجت ده عشان يودعوا أخوهم،  
شايف البنات حلوين إزاي وباين عليهم إنهم بنات أصل . "

- " الحب يا خويا ميفرجش فى الحاجات دى، عايزين يشوفوا أخوهم لآخر  
لحظه، يمكن يروح وميرجعشى وده الوحيد بتاعهم، باين عليه كده، ومين ح  
ياخد باله من البننتين دول، دول حلوين خالص ولا الحلوة الطحينية . "

- " ربنا معاهم ويحمى لهم أخوهم وأبوهم . "

هكذا سمعت وشاهدت هذا التعليق من بعض البسطاء الذين توجهوا  
لركوب القطار، لقد دخل حديثهم قلبى وشعرت بأننا أسرة واحدة، وما المانع  
أن يصبح لنا أخ يحبنا ونحبه ونعتمد عليه حين الحاجه، هذا يكفى يا ابنة  
شعيب ولا داعى للزواج، وليكن لنا أخ أفضل من أى شىء آخر.

عادل :

عُدت بصحبة المعلم عوض إلى شقتنا وتبين لنا أن أبى وأمى خلدا فى نومهما بينما ظلت شقيقى تنتظر عودتنا، استقبلتنا بابتسامة مصطنعة متسائلة عن أحوال تلك العائلة المسكينة، لم يستطع المعلم عوض أن يجيب وأسرع بالدخول لحجرته بينما جلست مديحة بجوارى فى الصلاة وطلبت منى أن أطمئنها على الأب وابنتيه، تحدثت معها مشيداً بما قام به زوجها وشعرت بمدى السعادة والفرحة التى طفت على وجهها الصبوح ورفعت يديها تتاجى ربهما بأن ينولها هى وزوجها الطيب الخلفة التى يتمناها كل منهم، ولد أو بنت فهما راضيين وقانعين بما يقمه ويقسمه الله.

تخلصت من ملابسى وأسعدت إلى الحمام كى أحصل على حمام يزيل عنى عناء عشرين ساعة منذ غادرت وحدثى فى الصباح الباكر ثم زيارة صديقى المهندس أحمد العزازى، وقضاء بعض الوقت الممتع ومشاهدتى لبنات الريف اللائى يتميزن بالجمال الطبيعى الهادئ، ثم ركوب قطار الزقازيق القاهرة المزدهم ولقاء عم مصطفى الخطيب وابنتيه وتأثرى بما حدث لهن.

أنهيت حمامى وجلست هادئاً فى السرير بعد أن فردت اللحاف على جسدى وظلت أفكارى عالقة بتلك الأسرة، كنت أسترجع شريط ما حدث لهم وكأنه شىء من الخيال، سرعان ما تحول هذا الشريط وتلك الذكريات إلى نوع من الإعجاب بركة وجمال رجاء، كانت تتمتع بمواصفات جمالية رائعة، كلما نظرت نحوها أثناء حديثها أتذكر الراحلة نسمة، لقد تقاسمت مع نسمة الجمال والرقة لكن نسمة تزداد عنها شجاعة وجرأة ووضوحاً معى وأعتقد أن هذا ناتج من طول فترة العلاقة بيننا، لكن رجاء وفى تلك الأوقات العصبية

كانت حالتها النفسية سيئة هي وأسرتهما لما تعرضوا له من سوء التصرف والقول سواء من الخال وقبلها وفاة الأم، ثم أعقب هذا بعض ملوك أبناء الريف المتمثل في عجرفة القول وشدة الكلمات القاسية التي لا تراعى الذوق ومشاعر الإنسان الحزين.

خلدت في السرير هادئ البال وشعرت برغبة قوية في النوم من عناء ما حدث، استيقظت صبيحة اليوم التالي وبعد أن انتهيت من الوضوء وتأدية صلاة الفجر عُدت ثانية للمرير وجلست أستمع للراديو الصغير، وتذكرت حلم الأمس والذي شاهدت خلاله رجل أنيق تعدى الخمسين من عمره يرافق ابنتيه ويحتاج العون، لقد كانت الابنة الكبرى لهذا الرجل رائعة الجمال ورقيقة المشاعر والأحاسيس، تمنيت أن تعاودنى تلك الرؤيا كي أستعيد مشاهدة تلك الحورية.

انهمكت في سماع الراديو حتى وصل إلى صوت أمي ينادى عليّ بأن ألحق بها في الصلاة كي نتناول الطعام معا لأن الحاج عوض نهض مبكراً وتوجه للوكالة، جلست مع والديّ وشقيقتي وفجأة سمعت أمي تحدث شقيقتي عما حدث بالأمس وقدم تلك العائلة المسكينة برفقتي وزادت في تعليقها وترحمت على الأم وطلبت من الله أن يصبرهم على ما حدث لهم ثم أشادت بجمال وروعة رجاء ونظرت نحوي تطلب الرأي فيما تقول.

كان حديث أمي مفاجئاً لي، لقد تبين لي أن الرؤيا التي كنت أعتقد أنني شاهدتها في المنام ما هي إلا حقيقة واقعة وأن رجاء الجميلة تحيا وتعيش بالقرب منا بفارق شارعين، أي من الممكن أن أراها في أي وقت ولو مصادفة، لم أعلق على حديث أمي حيث تدخلت في المناقشة شقيقتي

وأفضت إليها ببعض معلومات لم نعرفها والتي استقتها من زوجها المعلم عوض وأنه دفع مبلغاً كبيراً من المال لشراء تلك الشقة بأثاثها لأنها تخص ابنة صاحب العمارة وزوجها الذين سافرا للخارج، وكانا في إحتياج لثمنها مما اضطر والدها لعرضها للبيع بثمن بخس وظلت معروضة لفترة طويلة، وكان الجميع زاهداً في الشراء لحالة الحرب التي يعيش فيها الوطن لكن وصول تلك العائلة دفع بالمعلم عوض للمجازفة بشرائها مردداً : "كانت محجوزه لهم يا مديحة .. ربنا عايز كده وده جدر وربنا يكافىء الجميع ويسعدهم " .



## غريب الدار

كنت دائما ما أقارن حالتي النفسية تلك بحالتي النفسية فى السابق منذ وفاة خطيبتي نسمة والأثر السىء الذى تركه هذا الحادث على مشاعرى وحياتى حيث كنت أحصل على الأجازة وأنا أشعر بأننى إنسان غريب فى وطنه، لقد تركت موطنى بالسويس ثم غادرت حبيبتي الحياة بالإسماعيلية ولم يتبق أمامى إلا منزل شقيقتى بروض الفرج والتي يقيم معها كل أفراد عائلتى بما فيهم مصطفى شقيقى الأكبر وزوجته والذى أصبح مصدر إزعاج لزوج شقيقتى مما دفع أبى لأن يسأجر له شقة قريبة من شقة شقيقتى وينتقل إليها كى يبتعد بمشاكله عن شقيقتى وبيتها.

فى كل زيارة كنت أقوم بها والتي كانت تستغرق خمسة أيام كنت أفكر فى كيفية قضاء تلك الأجازة ولا أعرف الأسلوب السليم لاستهلاكها، فأنا لست من هواة الجلوس على المقاهى ولا أنا من هواة تكوين صداقة مع فتاة فى عمرى فقد أغلق باب العاطفة الذى دخلت منه نسمة دون شريك أو مناسف، ولهذا كانت أيام الأجازة الشهرية نوعا من العذاب وعدم الراحة وكنت أنتظر انتهائها كى أعود لجنودى وزملائى الضباط نضحك ونسعد معاً، وكل يوم نقيم حجر بناء فى أحد الأماكن كى نستعد لليوم الموعود وهو العبور للشاطئ الشرقى للقناة ومحاربة العدو الإسرائيلى.

فى تلك الأجازة قادتتى قدامى لكالية الهندسة كى أستعيد السنوات والشهور التى قضيتها مع الزميلة والحببية نسمة ولفترة خمسة أعوام من البهجة والمرح والسعادة وتحقيق نجاح وانتصارات لكيلنا خلال فترة التعلم

فى الكلية؁ كانت سعادتى كبرىة عندما غادرت منزل شقيقتى والذى كنت أشعر براحه فى داخله بعيداً عن الثقة التى يقيم فيها شقيقى مصطفى مع زوجته.

هذا صباح يوم جميل وفيه شعرت بلسعة البرد لفصل الشتاء؁ تقدمت سيراً على الأقدام فى اتجاه مرسى الأتوبيس النهري ووقفت مع جموع المنتظرين وكان من بينهم طلبة وطالبات؁ تفحصت وجوه الجميع وتأكدتلى أن جميع الشباب هم عادل وجميع الفتيات هن نسمة؁ أشعرتنى هذا بالسعادة والتفاؤل بأن أشعر بأن هؤلاء جميعاً من أبناء مصر ويجمع الكفاح والحب والتعاون بين الجميع؁ أقبل الأتوبيس وتزاحمت مع جموع الطلبة والطالبات. ووقت بداخل الأتوبيس وتذكرت أول يوم التقيت فيه بنسمة وكيف أشرت إليها بأن تحضر وتجلس بجوارى بعد أن فرغ المكان من شاغله؁ كنت أتمنى بأن تكون نسمة على قيد الحياة وفى الوضع المعاكس وتشير إلى بأنه يوجد مكان شاغر بجوارها؁ ابتسمت لتلك الأفكار والخزصلات وأثناء وقوفى هكذا شاهدتها؁ فتاة رقيقة جميلة تشير إلى بأن أذهب للجلوس بجوارها؁ اعتقدت فى بادىء الأمر أننى لست المقصود لكنها كررت إشارتها وبالطبع أشرت بإصبعى نحو صدرى متسائلاً بصوت خفيض :

- " أنا! "

- " أبوه أنت .. تعالى اقعد هنا يا عادل "

تحركت فى الاتجاه التى تجلس فيه وجلست بجوارها بعد أن ألقىت عليها تحية الصباح وردت بمثلها والبسمة تنير شففتيها الرقيقتين؁ مازلنا نتبادل

النظرات وشعرت بأن الفتاة قد كسى وجهها حمرة الخجل فابتعدت بنظري عنها لداخل الأتوبيس لكنها تحدثت ثانية تعيد ذكر اسمي :

- " إزيك يا عادل .. يا ترى عامل إيه ؟ "

- " بخير والحمد لله .. وأنتى عامله إيه ؟ "

- " تعبانه من المذاكرة ومطلوب منى أقدم مشروع التخرج الشهر الجاى "

- " أنتى بتدرسى فين ؟ "

- " جرى إيه يا عادل .. مش فاكرنى ؟ "

- " لا والله .. يا ترى أنتى مين ؟ "

- " أنا كريمان "

- " كريمان !! .. والله ناسى الاسم ده أو طار من بالى "

- " أنا كريمان وإللى بأدرس فى كلية الهندسة وكنت فى السنة الثانية وأنت

ونسمة فى البكالوريوس "

- " آه .. أهلاً كريمان "

- " وكمان أنا جارة أختك فى روض الفرج ويأركب الأتوبيس النهري من

هناك دايما .. وكنت بأشوفك وأنت ونسمة ماشيين وسعداء "

- " ربنا يكرمك يا كريمان .. طيب إيه إللى أقدر أقدمه لكى بخصوص

مشروع التخرج "

- " مش عارفه يا عادل .. لكن الدكتور بيقول عايزين مشروع غير نمطى

.. يعنى فيه حاجه جديده وبتتنفذ ويأريت حاجه تواكب ظروف الحرب إللى

البلد فيها، أنا مش عارفه الفكرة إللى بيكلم عنها "

- " طيب يا كريمان، شوفى ح تخلصى إمتى ووقت فراغك ونقعد نبدأ فى المشروع .. إيه رأيك ؟ "

- " شكرا يا عادل .. أنا مبسوطه إنى ألقى مهندس سبقنى وناوى يقدم يد المساعدة "

- " لا شكر ولا حاجه .. كلها كام شهر وتبقى زميلة لنا وأكد ح تقدمى يد المساعدة للمحتاج "

- " طيب أنا قدامى النهاردة محاضرة مدتها ساعة ونص .. يعنى على الساعة حذاش أكون خارجه من الكلية .. يوافقك الوقت ده ؟ "

- " أنا فى أجازة وح أستاكى على كافتيريا الكلية ونقعد مع بعض نشوف حكاية مشروع التخرج .. قومى يا كريمان الأتوبيس وصل لمحطة كوبرى الجامعة "

\*\*\*

غادرنا الأتوبيس النهري وسرنا معا من كوبرى الجامعة حتى كلية الهندسة المجاورة لحديقة الحيوان، عادت بى الذاكرة لأكثر من ثمانية أعوام مضت فى أول لقاء مع نسمة، كانت نفس وسيلة المواصلات ثم التعارف بعد الجلوس معاً ومغادرة الأتوبيس النهري والحمد لله فلم يسقط حذاء كريمان فى الليل، ولو حدث ما كنت أستطيع التصرف كما سبق فقد أصبحت مهندسا فى الجيش المصرى ودرجة الحرارة منخفضة تدفع بالقشعريرة لكل نسمة هواء قادمة.

رغم أن كريمان لا تشبه نسمة شكلاً لكنها فتاة وأنثى صوتا وتضاريس وحركة وإيماءات وابتسامة صافية عذبة وأثناء سيرنا لم تكف كريمان عن

الحديث ثم توقفت فجأة وسألتني عن نسمة، شعرت أن دموعي سوف تغادر عيوني وظللت ساكنة لفترة وشعرت بأن حمرة الضيق والأسى كست وجهي مما أريك الفتاة فاضطرت إلى أن تعتذر لي وأنها لم تعلم أن هناك مشاكل حدثت بيننا أفضت إلى توقف مشروع الحب والزواج.

وصلنا إلى الكلية وأسرعت كريمان كي تلحق بالمحاضرة وهي تنتظر إلى باسمه وتشير بيدها إشارة تحية الفراق اللحظي مرددة:  
- " مش ح أتأخر "

سرت في أرجاء الكلية أنظر لأحجارها ومعاملها وأردد بأن هذا الجمد شاهد نسمة ويعلم كم أنا أحبها ولكن القدر صعب وشديد على مشاعر الناس، توقفت قليلاً متسائلاً :

- " لو توجهت لمنزل عمه نسمة بحى بولاق كي أستقر عن حادث وقاتها مع أسرتها، هل يسبب هذا السؤال ضيقاً ونفوراً ؟ " توقفت قليلاً عن التفكير ثم تأكد لي أن مثل ذلك التصرف غير لائق لأنني سوف أعيد إلى عمتها ذكرى حزينة بمصرع شقيقها وزوجته وابنته ومن المحتمل أن شقيقها محمود وزوجته لحقوا بهم، يجب على الحذر وعدم الاندفاع نحو العاطفة المتأججة التي تثير مشاعري، سوف أكمل جولتي بمبان الكلية، أسمع صوتاً لأحد الرجال يردد اسمي ولهذا توقفت ونظرت فشهدت أحد الزملاء باسماً:

- " عادل .. حمد لله بالسلامة .. من يوم ما تخرجت محدش شافك " .  
- " إنت عارف ظروف الحرب، أنا إجندت ودخلت ضباط إحتياط وعمال ألف على جبهة القناة من الجيش الثانى للجيش الثالث " .

- " ربنا معاك يا عادل أنت وباقي الشباب، مفضلشى من الشباب غير المعيدين وفيه فكره أنهم يروحوا التجنيد سنه وبعدين يرجعوا الجامعة، المساواة مطلوبة فى الأيام دية ".  
 - " تنور يا نشأت .. وأخبار الكلية إيه ؟ ".  
 - " والله الكلية مشغولة وفيه ظباط كبار من المهندسين العمكرين بيعملوا اجتماعات هنا مع بعض التخصصات، تعاون بينهم ".  
 - " أخبار الزملا إيه وباقى الدفعة ؟ ".  
 - " كل إللى أعرفه أن الولاد تجندوا والبنات اشتغلوا وبعضهم إجوز، أكثر من كده مافيش، المهم عملت إيه أنت ونسمة " .. تكرر ما حدث مع كريمان من الصمت والضيق مما دفع الزميل لأن يقدم إعتذاره مردداً : " آسف يا عادل للسؤال .. عندى مكشن دلوقتى وأشوقك بعد ساعة ونص لو كنت موجود ".

سارت بى قدمى حتى منطقة المخازن والتى يرتادها العمال والفنيون الذين يعملون فى الورش المتخصصة، جلست على كرسى خشبى متهالك ولم يكن أحد فى المكان فالجميع مشغول بالمحاضرات والسكاثن العملية، نمى إلى سمعى صوت راديو قادم من داخل أحد الأبنية التى أعدها العاملون كأنها بوفيه، بعد قليل سمعت أغنية فتأثرت لسماعها ودفعت بالحزن والتموع لأن تجرى فى عيونى :

غريب الدار على زمانى \*\*\* قاسى وظلمنى  
 مشيت سواح مسا وصباح \*\*\* أدور ع إللى راح منى  
 أنا إللى الدهر عادانى \*\*\* ويعنى وإشترى فىا

وخذ أحبابي وإداني بدلهم \*\*\* فكر وأسوية  
ومين شاف إلی أنا شفته \*\*\* ومين قاسی إلی قاسيته

ظللت جالسا إلی أن انتهت الأغنية وخلال فترة إذاعتها تأكد لی أنني أصبحت غربياً فی بلدي ووطني، فقد هجرت مدينتنا بسبب الحرب وكل عائلة تعيش فی مكان ولم يعد لی أصحاب ولا جيران وفقدت حبيبتی وخطيبتی أمام عيني دون أن أستطيع أن أفعل شيئاً سوى النحيب والبكاء مثل النساء، لقد كرهت الحياة وأطلب من الله ألا يطول عمري بعد مأساة نسمة.

انتهت الأغنية وشعرت بأن نهر الدموع قد جف، فأزلت ما تبقى من قطرات دمع لأمعة وجلست أستعيد أنفاسی ونهضت أستكمل خطای فی داخل هذا المبنى العريق ونبذت فكرة الموت وأن الحياة ماضية، بل إن الأطفال الصغار الرضع يموت بعض أمهاتهم ويظلون على قيد الحياة ويكبرون ويستكملون سنة الله فی أرضه ولا يجب على أن أضعف أمام اليأس والله سوف يعوضنا جميعا عما نقاسيه، يجب على الآن التوجه للكافتيريا وانتظار كريمان كي لا تعتقد أنني تخليت عنها.

أشاهدها تقف أمام الكافتيريا تتلفت يمينا ويساراً، لقد مضى بي الوقت وظللت لأكثر من ساعة ونصف مع تلك الأغنية وهذه الذكريات ورغم وفاة الحبيبة إلا أنها ذكريات جميلة تبعث على الحياة، أشاهد كريمان تعدو نحوي باسمه فرحة وأبادرها بالحديث:  
- " آسف يا كريمان تأخرت عليكى ."

- " ولا يهملك .. أنا قلت أكيد شفت حد من زمائلك المعيين وبتسترجعوا أيام الدراسة ".  
- " ده إللى حصل، إيه خطتك ؟ "

- " الكافتيريا دوشة ، تعالى نروح مكان هادى نقعد فيه عشان تسمعنى وأنا بأكلم ونفكر سوا ح نعمل إيه ".  
- " طيب، فين بقى المكان الهادى، الدنيا برد، لازم نروح مكان مغلق ".  
- " صحيح .. إيه رأيك فى دار الشاى الهندى الموجود فى وسط البلد ؟ ".  
- " فكرة كويسه، تعالى نكمل مشى لشارع مراد وقدام جنينة الحيوانات ناخذ ترولى ١٥ ".  
- " تفكر الترولى باس بيروح هناك ؟ ".  
- " ايوه .. خط العتبة الهرم .. ننزل فى شارع ٢٦ يوليو ونمشى شويه فى طلعت حرب نوصل عند دار الشاى الهندى ".  
- " خلاص .. يالله بينا ".  
هكذا تحركنا إلى وسط البلد كما يقال وكانت المدينة هادئة جداً والنظافة واضحة عليها لبرودة الطقس وأيضاً لحالة الحرب التى يعيشها الشعب المصرى، فجميع الشباب فى الجيش وأيضاً الدراسة جادة ولم يكن هناك تسكع للشباب من الجنسين.  
بعد سير استمر قرابة النصف ساعة فى وسط القاهرة نهراً وصلنا إلى دار الشاى الهندى فرحب بنا أحد الجرسونات وطلبت منه مائدة متطرفة لأننا سوف ننتشل بعمل ما ولا نريد إزعاجاً، بالفعل لبي الشاب رغبتنا نظراً

لأن المكان لم يكن مزدحماً لأن هذا التوقيت توقيت عمل والجميع مشغول كل بوظيفته.

جلست فى مواجهة كريمان التى ناولتتى دوسيه كبير الحجم وفضضت محتوياته وركزت على ورق المشروع الذى تزيد مساحة صفحته عن المتر المربع، كنت من حين لآخر أسترق نظرات خاطفة جهة كريمان ولاحظت أنها لم ترفع عينها عنى فكانت تتلاقى نظراتنا مما كان يسبب لى إرباكاً، بعد مضى فترة اعتدت على هذا وشجعتنى على ذلك حالة الهدوء التى كانت تلبس الفتاة والبسمة الواضحة الهادئة على شفثيها.

أحضر لنا الجرسون ما طلبناه من شراب وغادرنا وتبين من تصرفه أنه شعر بأننا فى حالة من العمل والجدية لكثرة الأوراق التى كانت أمامى مما دفعنى لأن أطلب من كريمان تزويدى ببعض الأقلام كى أخطط وأراجع بعض الخطوط التى وضعتها والتى يجب أن تعدل أو تلغى لأنها لم تكن صحيحة.

انهيت حوالى ٢٠% من رسومات مشروع التخرج وشعرت بالإرهاق والتعب ونظرت فى ساعة يدى فتبين لى أن الوقت سرقنا فى أكثر من ساعتين، ولهذا طلبت ورقة الحساب وقمت بالدفع مع بعض قروش منحة للشباب كبقشيش أسعدته، وغادرنا المحل أحمل حقيبة أوراق المشروع نيابة عن كريمان والذى كنت أشعر بأنها فى حالة نفسية طيبة لعثورها على من يقدم لها يد المساعدة.

عرضت عليها تناول الطعام بأحد محلات حى الحسين فأسعدها هذا فأشرت إلى سيارة تاكسى والتى أقلتنا إلى الغناء المواجه لمسجد سيدنا

الحسين رضى الله عنه وأرضاه، وفوجئت بأن سائق التاكسى طلب سبعة قروش تكلفة نقلنا من شارع طلعت حرب حتى مسجد الحسين وكان من الممكن أن يوفر هذا البلغ ونستقل الترام ولا ندفع سوى قرشان فقط، لكن الإنسان فى بعض الأوقات يندفع ويقلد الأثرياء.

دلفنا لأحد المحلات وتم استقبالنا استقبالاً طيباً وأقبل أحد الجرسونات الذى كان على أتم الاستعداد لتلبية ما نطلبه من أنواع الأطعمة، حينما سأل كريمان عما ترغب تناوله تحدث معها قائلاً : " والعروسة تحب تاكل ايه ؟ " مما دفعها للابتسام والانشراح الذى ظهر على وجهها الجميل الهادئ وبعد أن غادرنا المكان أثنت على العاملين وبالأخص على الجرسون وعلى كلماته الطيبة وأنهت تعليقها بكلمة (بشرة خير).

افترقنا بعد أن عم ظلام الليل والذى لم تبدده أضواء القاهرة الساحرة ليلاً، اتفقنا على اللقاء بعد باكر نظراً لأن كريمان مشغولة فى هذا اليوم ببعض المحاضرات والورش العملى بالكلية، صافحتها بعد أن رافقتها إلى منطقة المنيل لأنها ستقوم بزيارة جدتها لأمها، بعد هذا عُدت أدراجى إلى شقة شقيقتى كى أحصل على راحتى بعيداً عن مناقشة صراع أخى وزوجته التى تسيطر على الأسرة.

ظلمت يقظاً جالساً فى السرير وعينائى مفتوحتان فى ظلام الحجرة والتى تعمدت عدم إضاءة أنوارها كى أستعيد أحداث اليوم ومشاهداتى واستنتاج ما وراء هذا اللقاء الذى شعرت بأنه لن يتوقف على طلب المساعدة والمساعدة لمشروع التخرج التى طلبته منى كريمان، شعرت بوخز الضمير وبأننى شاب لا أمان له وكان مبعث هذا أن كريمان كانت صادقة معى

وراغبة فى أن أقدم لها يد المساعدة ورغم ما قمت به لتحقيق رغبتها تلك إلا  
أننى شعرت بأننى عابث وفكرت فى إقامة علاقة عاطفية معها.

ورغم أن الوقت فر من بين أيدينا كما تهرب المياه فى رمال الصحراء  
الجافة إلا أننى شعرت بسعادة أثناء تواجدها معاً بل حينما كنت أمسك بيدها  
موجهاً لها بأن تجلس بجوارى بالتروللى باس أو الترام أو التاكسى، بل زاد  
هذا الشعور حينما وصلنا إلى لحظة الوداع فقد تشابكت أكف أيدينا وكأنها  
التصقت بلاصق قوى ووقفنا لفترة ليست بالقصيرة وقد قبض كل فرد منا  
على كف صديقه دون حديث أو إشارة إلا من بسمة رقيقة على الشفاة لا  
تستطيع من خلالها مشاهدة صفى الأسنان.

دخلت فى نومى بعد أن تشتت فكري وحالى وكان هناك سؤال دائم يرن  
فى أذنى : " هل لو كان الوضع معكوساً ولقيت ربي مثل ما حدث مع  
نسمة وظلت هى على قيد الحياة، هل كانت ستظل وفيه لذكرى حُبنا  
وخطبتنا وترفض أى قادم لها رغباً فى الإرتباط بها ؟ " .. كان السؤال  
معقولاً ورغم هذا لم أعر على إجابة له ولم أستطع الوصول لما سوف  
يكون عليه حاله، لهذا فكرت فى أنه فى لقائى القادم بكريمان بعد باكر  
سوف أوجه لها هذا السؤال كفتاة لأعلم منها الإجابة التى تسيطر على عقل  
حواء فى مثل تلك الظروف والأحوال.



## قسوة العدو

تمادى العدو فى ضرباته الانتقامية، كان سلاح الطيران المعادى يصل إلى كل مكان فى أرض مصر ينشر الخراب والدمار والقتل دون تفرقة بين المقاتل أو الطفل أو الشيخ أو النساء، كانت القوات المسلحة تعمل كل ما فى وسعها لتقليل نتائج هجمات العدو الجوية وفى نفس الوقت توجه له الضربات القوية بواسطة نيران المدفعية وعمليات الإغارة والكمائن التى كانت تقوم بها قوات الصاعقة وقوات المشاة.

فى تلك الفترة كنت أعمل فى المنطقة القريبة من مدينة الفيوم، كان العمل يتسم بالبساطة رغم الخطورة الشديدة التى تحيق به أثناء التنفيذ، كانت قوات من الشرطة تتوجه للقرى القريبة من المواقع المختارة التى سوف يتم إنشاء قاعدة للدفاع الجوى فيها وتأتى بالعمال من الجنسين وفى الغالب كان الذكور أكبر سناً لأن الشباب مجند ويعمل مع وحدات الجيش المختلفة.

كانت الوحدات الخرسانية سابقة التجهيز تأتى من مصانع الشركة القومية للأسمنت المسلح مُعدة إعداداً جيداً كوحدات منفصلة لسهولة النقل على ترتيبات ضخمة من التى تنقل الدبابات، فى الموقع المختار تقوم الأوناش بنقل تلك الوحدات لأماكن التركيب التى قامت وحدات الحفر العميق من البلدوزارات الضخمة بإعدادها، تنقل تلك الوحدات لتوضع بجوار بعضها البعض بطريقة هندسية حسب ترتيب تلك الوحدات والتى وضع على كل وحدة منها رقم بحيث يسهل عملية التركيب.

بعد نقل الوحدات بجوار بعضها البعض يتم تثبيت كل وحدة بالأخرى بمسامير قوية وتربط جيداً لتصبح فى النهاية وحدة واحدة متكاملة حسب التشكيل الهندسى لأماكن إدارة النيران والتوجيه والحاسبات والرادار ، بعد أن يُصبح الموقع مُعد هندسياً ويتأكد الخبراء من هذا تبدأ المرحلة التالية والتي تُعتبر من أصعب المراحل وهى مرحلة التكسية بالرمال باستخدام الرجال والنساء .

قبل غروب شمس هذا النهار بساعتين شاهدت سيارات لنقل الأفراد التابعة للجيش قادمة وعلى ظهرها العشرات من النساء والرجال من أبناء الريف بملابسهم الواضحة وابتسامتهم المعبرة، توقفت اللواري قريباً منى وهبط منها أحد ضباط الصف الذى كان بدرجة رقيب أول وأدى التحية العسكرية وبصوت واضح:

- " تمام يا أفندم .. الأنفار وصلوا عشان تكسية الموقع " .

أشرت له بأن يقوم بتوزيع القادمين على العمل كما أمرت المساعد (الصول) بأن يقوم بتوزيع الجنود الملحقين علينا من بعض وحدات كتائب المشاة على الموقع والمزودين بالأسلحة الرشاشة ولديهم الأوامر الواضحة والصريحة لما يجب عليهم القيام به؛ تلك الأوامر هى حماية القائمين على العمل من هجمات قوات كوماندرز معادية أو الغارات الجوية التى سوف تستهدف الموقع ويجب عليهم حين سماع صوت الصفارة أو رنالة الإنذار يتوقف الجميع عن العمل وبعد نهاية الغارة يتجه كل جندى وضابط صف إلى مكان عمله الذى سبق وأن قام به قبل الغارة كما يُعاد توجيه الفلاحين كى يستكملوا الأعمال المكلفين بها .

\*الرتالة"فكرة بدائية تقوم على جهاز مصنوع من الخشب وله يد ويجب على القائم عليه لف الذراع الخشبي بسرعة والذي بدوره يدفع قطعة الخشب للدوران والمزود ببكرة مشرطية تعمل على احتكاك قطعة الخشب الصغيرة بالبكرة المثبتة فتحدث صوتا يدفع الجنود للاختباء عن أعين الطائرات المعادية وبعد انتهاء الغارة الجوية وترك الطائرات المعادية سماء المنطقة تعيد الرتالة عملها فيتوقف الصوت الخارج منها بعد أن يصدر قائد الموقع الأمر : (انتهت الغارة) .

مضت الليلة الأولى على مايرام ولم يصل لموقعنا أى إنذار بغارة جوية وظل الفلاحون من أبناء القرى المجاورة يعملون حتى اقترب موعد آذان المغرب، بعد الغروب يتم العمل تحت الأضواء الكاشفة التى تنبعث من مولدات خاصة تابعة لقوات الجيش، قام قائد الموقع بأخذ تمام من المساعد له (الصول) الذى أثبت أن العاملين الذين قدموا سوف يغادرون الموقع بنفس العدد دون خسائر أو تخلف أحد منهم، تم اصطفاقهم فى طاير من منظم توجهوا بعدها لركوب لوارى الجيش وهم سعداء مثلما كانوا يعملون كما يتحدث البعض منهم والبعض يصدح صوته بأغان من التراث الشعبى .

الليلة التالية وبعد مضى ثلاث ساعات على بدأ العمل بين سعادة العاملين وغنائهم وتبادل القهقهات فيما بينهم والتى يتخللها الضحكات سواء ضحكات النساء المائعة الناعمة والتى تدل على السعادة جاء الإنذار بغارة جوية عن طريق جهاز التليفون الأرضى الموجود فى الموقع، بسرعة أصدرت أوامرى للجندى حامل الرتالة صائحا : (غارة جوية) أسرع الجندى يحرك الرتالة التى كانت تصدر أصواتا مثل الكركرة، أو حينما يضع شابا

ورقة كرتون بالعجلة التى يركبها ويجعل طرفها يصل لأسلاك العجل فتحدث صوتا ينبه السائرين لقدم شىء من خلفه.

فى الوقت الذى صدر به الأمر غارة جوية وبدأ عمل الرتالة قام الجندى المسؤل عن مولد الكهرباء بإبطال عمل المولد وخيم الظلام الدامس وسكت الجميع إلا من أصوات بعض الفلاحين كل واحد ينادى على قريب أو صديق بأن يتوجه معه لمكان اختباء يجمعهما، كان جنود الجيش يوجهون الفلاحين بالعدو بسرعة وعدم إحداث أصوات ومنع إشعال الثقاب وتدخين السجائر.

أقبلت الطائرات تلقى بالقنابل على المنطقة التى يشملها الظلام وارتجت الأرض من شدة القنابل ثقيلة الوزن وتخلل هذا أصوات ارتطام أثقال بالأرض وبالطبع كنا نعلم من خبرات السابقين بأنها قنابل انفجارية موقوته، بعد عشر دقائق من مغادرة الطائرات المعادية سماء المنطقة صدر الأمر بانتهاء الغارة الجوية فسمع الجميع صوت الرتالة فى جوف الليل الساكن مما دفع بالجندى الذى يقوم بتشغيل المولد الكهربائى للعمل وانتشر الضوء الواضح على المنطقة تبعه تحرك الجنود والضباط لاستكمال أعمالهم.

شاهد أحد الضباط بعض الفلاحين يندفعون نحو قنبلة كبيرة الحجم تركتها طائرات العدو وهى من القنابل الزمنية والتى تعمل فى أوقات مختلفة ورغم أن الجميع يعلم هذا وسبق التحذير من هذا السلوك إلا أن الفلاحين يصبح لهم رأى آخر مما دفع بعضهم للتشاجر بأنه أول من شاهد القنبلة وهو أولى بالحصول عليها وبما فيها من حديد خردة ونحاس وآخر يدعى

بأنه أول من شاهدها وتقدم فى اتجاهها، وثالث يقسم بالشيخ أبو اليسر بأن القنبلة سقطت بجواره وهو أولى الناس بها، بينما رابع ترك النقاش وقفز جهة القنبلة ورفعها بصعوبة عن الأرض راغبا فى إخفائها والاحتفاظ بها. كان هذا اللغظ هو الدائر بين الجميع فى عدة أمكنة مما دفع الضباط الى الصراخ والوعيد والتهديد لهؤلاء الذين لم يرضخوا لكل هذا التهديد وبالأخص أن كل مجموعة تساندها مجموعة من النسوة وعلا الصراخ وارتبك الوضع مما دفع بعض الضباط إلى مهاجمة هؤلاء الفلاحين بالضرب المبرح والعدو خلفهم ومطاردتهم كى يعودوا لصوابهم حتى ارتدع الجميع وبدأ العمل من جديد.

فجأة دوى صوت انفجار ضخم صاحبه أصوات صراخ واستغاثة وأسرع الضباط ومعاونيهم ناحية هذا الصوت، وتبين لنا أن أربعة أشخاص من الفلاحين وثلاث نساء استغلوا حالة الهرج والمرج التى أعقبت انتهاء الغارة وشاهدوا إحدى القنابل التى سقطت واستقرت بين الحشائش والأحراش القريبة من مكان عملهم، فأسرعوا بحملها بعيداً وتركوا واحداً منهم يقوم بتفريغ معدن النحاس التى تحتويه بداخل القنبلة مما أدى لإنفجارها من كثرة الطرق عليها فقضت على الفلاح البائس فى الحال وأصبح جسده أشلاء متناثرة كما أدى لإصابة رجل وامرأة بالقرب منه.

كان هذا هو الحال المتكرر يومياً أثناء العمل بقواعد الصواريخ بنقل الرمال وتغطية التجهيزات الأسمنية التى تكون هيكل القاعدة الخرسانى مما حملنى أنا وزملائى من الضباط عبء كبير ومجهود فوق العادة يُضاف إلى التوتر الناشئ من تكرار الغارات الجوية، لكن الخطر الدايم علينا

وضع وتأكد من تصرفات الفلاحين ومن الجهل المُطبق وعدم الاكتراس من خطورة الاقتراب من القنابل الزمنية التي لم تنفجر بعد والتي تزن كل واحدة منها حوالى خمسمائة رطل من المواد المتفجرة.

كنت أنظر لتلك الأجساد النحيلة التي تعمل بكل جهد وإخلاص لصالح مصر وسمعت هذا بنفسى عندما أقبل المشرف عليهم وهو بالطبع من نفس القرية ينادى على أحد الأشخاص:

- " عبده أبواسماعيلين ."

- " جاى جوام يا حاج عبدالجوى .. نعمين .. عبده خدامك ."

- " إيه ياواد يا عبده .. لحد دلوجتى مقبضتش الكام الملطوش بتوعك ؟ ."

- " وماله يا عم الحاج .. كله فدا البلد .. حدايا ولدين فى الديش والتالت لسه صغير وأنا والوليه بنشتغل هنا، فيه حاجة أحلى وأحسن من إنك تعمل حدا الديش إللى بيحمى البلد ."

- " بطل دوشه وغلبه وتعال إيضم جدام اسمك .. لا .. اسمك أهه .. أبوه .. خد بجى الميه خمسة وسبعين صاغ نصيبك .. عملتهم فى أسبوع يا مجرم .. لو كنت بشتغل فى الغطان بالبلد مكنتش عملت نصهم ."

- " ربنا يخليك يا عم الحاج ويخلى الديش .. أميبك بجى لأن الوكل بتاع الديش وصل .. يا سلام على الحلاوة الطحينية وشربة العدس .. بتخلى النفر فينا زى الوابور الإكس ."

\*\*\*

كان العمل يسير كما يقال زى الساعة حيث تتوجه لوارى الجيش الكبيرة إلى القرى، يتوجه لكل قرية أربعة من جنود الجيش المسلحين وبقرفة

كل فريق من هؤلاء لورى أو أكثر، فى مكان سوق القرية الأسبوعى يكون فى انتظارهم عمدة القرية وشيخ الخفر ومعه أحد أفراد الشرطة المعمول عن المنطقة، يتم مراجعة الأسماء والأعداد قبل التحرك ونفس الشيء بعد العودة.

عادة ما يحمل كل لورى حوالى عشرين رجل وامرأة من نفس القرية ولا يزيد العدد عن هذا كى لا يتزاحم الناس فى صندوق اللورى المكشوف دون غطاء كما يلتزم العمدة ومن معه بعدم إرسال نساء من القرية دون مرافقة بعض الرجال من الأقارب أو الجيران لدواعى الأمان والمحافظة عليهن وحمايتهن من أى شيء، كما يعطى هذا التصرف إحساس طيب للنساء حتى لا يتقول عليهن أحد من أبناء القرية بكلام سيء كما هى عادة أصحاب النفوس الضعيفة والألسنة الزالفة.

يظل العاملون القرويون طيلة الطريق من القرية حتى موقع العمل فى الحديث والضحك وفى بعض الأحيان تقوم فتاة بالرقص وسط صندوق السيارة مما يدفعهم للضحك والانبساط، فيتوجهون للعمل بنفس راضية دون خوف أو وجل بالإضافة إلى أن المسؤولين الإداريين بالقاعدة كانوا يوفرون للعاملين وجبة عشاء خفيفة تشمل شوربة العدس والجبن الأبيض والحلاوة وبعد ساعتين يقدم لهم كوب من الشاي خلال فترة الراحة من العمل تقدر بحوالى نصف الساعة نهاية الأسبوع يتسلم كل عامل منهم راتبه بناء على يوميات الحضور والغياب والكفاءة فى العمل، وفى الغالب كان الجميع يأتى للعمل ويعمل بكل جد وإخلاص حيث يحصل العامل على ثلاثين قرشاً

يومياً، وفي نهاية الأسبوع يتسلم راتبه وقدره مائة وخمسة وسبعون قرشا بعد خصم خمسة قروش ضرائب.

كان جزء من الفلاحين يعمل أثناء الفترة الصباحية لكن هذا أثبت خطورة على حياتهم كما أنه يكشف مواقع قواعد صواريخ الدفاع الجوى التى لم تكتفى بعمل قواعد الصواريخ الأساسية، بل تم عمل قواعد صواريخ تبادلية تنتقل إليها بطاريات الصواريخ للمناورة ولتضليل طائرات العدو، كما تم إنشاء قواعد صواريخ هيكلية لا توضع بها بطاريات صواريخ بل يتم تزويدها بعدد من الجنود كى تعطى انطباعاً لعناصر الاستطلاع الجوى للعدو بأنها قواعد حقيقية وليست قواعد للخداع، لأنهم سوف يقومون بتصوير تلك القواعد من الطائرات المخصصة لهذا وحين فحص الصور سوف يكتشفون أن بها جنوداً يتحركون ويجلسون ويحرسون منشآت القاعدة. لم يكن الجنود الذين يتولون الحراسة فى تلك القواعد يعلمون أنها قواعد هيكلية ولن تستخدم حتى تعطى الانطباع الجاد لها، ومن أجل هذا كان القادة يقومون بزيارة تلك القواعد والتفتيش عليها وسؤال الجنود عن مهامهم التى كانت تنحصر فى حراسة القاعدة والتى كانت تجهيزاتها بسيطة وغير معقدة، كى لا تكلف الدولة نفقات كثيرة نظراً لأن القواعد الأساسية لأى قاعدة كانت تقام من الخرسانة المسلحة سابقة التجهيز كى تتحمل كميات الردم ثقيلة الوزن من الرمال والأتربة لحماية العاملين بالقاعدة وأجهزة الرادار والحاسبات من شظايا قنابل الطائرات المعادية المتوقع سقوطها على تلك القواعد.

## لو كنت يوم أنساك

عادل :

كنت أشعر بسعادة بالغة أثناء فترة وجودى فى المعسكر أو بين المواقع التى كنت أنتقل للعمل بها، لم يكن لى مكان ثابت كى أعمل به باستمرار أصبحت مثل الجوكر أنتقل للعمل من مكان لآخر مصطحباً معى جنودى الأوفياء وكان واضحاً عليهم مدى ما يتمتعون به من وطنية والتزام، كان الحب المتبادل بيننا وروح الفريق والتكاتف والمؤازرة من أهم عوامل نجاحنا فى الأعمال التى كانت تُؤكل إلينا وهى أعمال مختلفة وغير متخصصة لما تدرينا عليه لكنها فى النهاية تصب فى صالح القوات المسلحة وجبهة القتال مع العدو.

لقد أفادنا العمل المتنوع فى لقاء الكثير من القادة والضباط ومعرفة الكثير عن المواقع المختلفة لجميع أسلحة القوات البرية بل والقوات الجوية حتى وصل بنا الحال إلى المعاونة فى مساعدة القوات البحرية وتقديم الدعم الكامل لها، كل هذا كان يعطينى سعادة وراحة تامة ومازالت حرب الاستنزاف تدور راحاها بين الجيش المصرى وجيش الدفاع الإسرائيلى المعادى الذى لم يكن يهدأ أبداً وظل يقوم بشن الغارات الجوية على أماكن كثيرة من الوطن بالإضافة إلى الاشتباكات الدموية بين قواتنا وقواته على شاطئ قناة السويس.

أصبحت مثل باقى الزملاء الذين ينتظرون موعد إجازتهم بفارغ الصبر لقد تبدل حالى من الضيق من الإجازة والتفكير فى كيفية قضائها إلى انتظار موعدها، كنت أطوف بخيالى إلى شقة رجاء ومشاهدتها مع

شقيقتها الصغرى وعطفها وحنانها عليها، بل كنت أستعيد الذكريات التي حدثت في الإجازة الماضية بينى وبين كريمان، لقد تبين لى أن الحب المخلص العفيف لا يعلوه أى تأثير متميز فى العلاقات الإنسانية.  
نسمة :

فى هذا اليوم العاصف والتي تلبدت فيه السماء الصافية بسحب داكنة تعطى دلالة على توقع سقوط أمطار غزيرة، ولهذا أسرع بالعودة من العمل إلى بيت عمى بحى بولاق مثل كل يوم وهناك التقيت بالحب والعطف والحنان النابع من أمومة السيدتين أمى وعمى، فأسرعت لحجرتى واستبدلت ملابسى ووضعته فوقها الروب كى يدخل الدفء إلى جسدى لمقاومة برودة الشتاء الزاحفة، شاهدت عمى قادمة من جهة المطبخ تحمل صينية نحاس صغيرة وعليها ثلاث أكواب من الشاي والدخان يتصاعد من كل كوب دليلاً على سخونة ما به من شراب.

كنا نجلس فى الصالة على الكنب البلدى والأرضية مغطاة بكلمة صوف من وير الجمال بديعة الألوان بالإضافة إلى الرسومات الفنية التى عليها، كنا فى انتظار عودة أبى من عمله كى نتناول الطعام معاً، دار الحديث بيننا نحن الثلاثة وفجأة سمعت عمى تحدثنى عن خطيبى الذى لم يأتى للزيارة منذ حضورنا لبيتها منذ أكثر من عدة أشهر بعد عملية التهجير.

كان حديث عمى مفاجأة لى رغم أن أمى لا يمر أسبوع إلا وتفتح لى هذا الموضوع متسائلة إذا كان عادل قد عدل عن رأيه فهذا حقه وأيضاً من حقنا أن ننظر لمصلحتنا، فى إحدى الأيام أخبرتنى أمى بأن يوسف بن

السيدة دومة المقيمة فى الشقة المقابلة لنا يرغب فى التقدّم لخطبتك، ووجود ديلة عادل بيدك تمنع أى شاب للتقدّم إليك.

أثارنى هذا التصرف وشعرت بأننى للبيع وأن الشاب الذى يمكنه الحضور أولاً يتمكن من حجزى له وأصبحت مثل الثلاجة أو أى سلعة معمرة والتي كانت تتهافت الناس على حجزها من محلات القطاع العام، نظرت إلى أمى نظرة حزينة أعقبها دمة فرت من عينى فضحت مشاعرى وما كنت أؤاسيه بسبب تجاهل عادل لى، لقد أشعرنى هذا بالضألة والعجز. إذا لم يكن عادل يريدنى فهذا شأنه ورغم أننى أحببته ورغم تصرفه السىء هذا فمازلت أحبه وأشتاق لرؤياه، هو يعرف أين بيت عمى إذا كان قد توجه لمكان التهجير الذى كتبت بياناته على الورقة التى لصقتها على باب الشقة، ولا أعتقد أن أحداً نزع تلك الورقة من مكانها لأن المنزل فارغ من جميع السكان وعائلتنا كانت آخر من غادره.

شعرت عمى بضيق صدرى وبدا هذا واضحاً على معالم وجهى مما دفعنى للهبوض وتزك عمى وأمى وعففت عن تناول الشاى واختبأت فى حجرتى كائننى ارتكبت جُرمًا، شعرت بالضيق والحنق من جديد على تصرف هذا الأهوج عادل الذى كان يطاردنى كى تتم الخطبة، الحمد لله أننا لم نتزوج فهذا الإنسان مذبذب العواطف والمشاعر ولا أمان له، جلست على السرير وضممت ساقى إلى بعضهما البعض وتشابكت يداى من أمام الساقين أسفل الركبة وانحنيت بجسدى للأمام أنظر إلى أصابع قدمائى أفكر إلى أين ستقودنى تلك القتمين، أقبلت روائح طهى الطعام من شباك حجرتى المجاور لشقة الخالة أم دومة ورافق تلك الرائحة الجميلة صوت المطرب

عبدالحليم حافظ يصدح بإحدى أغانيه والتي نخلت قلبي وأحاسيسي وطرت  
معها إلى عالم آخر لا أعلم ماهو لكننى شعرت أن كل أحاسيسي ومشاعرى  
طارت مع عالم الخيال والأحلام مع الأغنية :

لو كنت يوم أنساك .. أيه أفكر تانى

بالي وخيالى معاك .. وكل وجـداني

الحب اللي في قلبى .. والدمع اللي في عينى

والنار اللي في جنبى .. والشوق اللي كاوينى

سكنت مع سكون صوت المطرب وهذأت أعصابى وفكرت مليا فى  
عادل وهاج بى الشوق ولهذا قررت أن أقوم بزيارة الكلية صباح الغد نظراً  
لأن الغد إجازة لقسم المعادن بالشركة، سوف أقتفى أثر الحبيب وأعود ثانية  
لذكريات الخمسة أعوام أثناء الدراسة، لقد كانت أياماً سعيدة جميلة رائعة  
أرجو أن تعود ثانية كى نتمتع برومانسية وأحلام تلك الأيام.

فى الموعد التى سبق وأن إعتدت عليه أثناء الدراسة توجهت لمرسى  
الأتوبيس النهري المواجه لمبنى الإذاعة والتليفزيون، وبعد قليل أقبل  
الأتوبيس وكدت ألا أستقله بسبب امتلاء جميع المقاعد وهذا هو نظام  
تشغيله بالأى يستقل الأتوبيس أعداد زائدة عن العدد المقرر وأن يكون العدد  
المثالى مساو لعدد المقاعد فقد تؤدى الأعداد الزائدة عن المعدل إلى عطل

به أو تعرضه للغرق ومن حُسن حظى أن أسرع أحد الركاب بالمغادرة وبالتالي سمح لى الكمسارى بالركوب اعتقاداً منه بأنى طالبة فى الجامعة.

فى داخل الأتوبيس سمعت من ينادى علىّ فأسرعت أتلفت فشاهدت فتاة جميلة تجلس وتشير إلىّ بالتوجه لها وبالفعل أسرع فى التحرك نحوها فنهض من يجلس بجوارها كى أجلس بالمقعد المجاور لمقعد الفتاة حينما شعر برغبتها بأن تجلس معاء، قدمت شكرى لها فابتسمت وربتت على ركبتي مرودة:

- " أبدا يا نسمة .. أنا سعيدة أنى شفتك بعد المدة الطويلة دية " .

- " أنتِ على كده تعرفينى ؟ " .

- " طبعا، أنا بأدرس فى نفس الكلية إالى تخرجتى منها لكن أحدث منك بتلات سنين " .

- " أهلا بتعارفى بك .. اسمك إيه ؟ " .

- " كريمان .. كريمان قناوى " .

- " أهلا كريمان " .

- " ياترى رايحه الكلية النهاردة يانسمة ؟ " .

- " آه .. عندى أجازة قلت أروح أعيد ذكريات أيام زمان ."

- " لكى حق .. الحرب أثرت على مصر كلها وخصوصا الشباب ."

- " صحيح .. دا إحنا وصلنا خلاص .. أنا ح أسيبك تمشى يا كريمان عشان أنا حتمشى على مهلى ومش ورايا حاجه ورينا يوقتك ."

- " سعيدة بقاءك يا نسمة .. مع السلامة ."

غادرتى كريمان حيث كانت تجد فى خطواتها بينما كنت أسير  
بخطى هائلة تسيطر عليها مشاعر الحنين للماضى الذى لم  
أستطع التخلص من آثاره الجميلة والرقيقة التى كانت تدغدغ  
مشاعرى وأحاسيسى من حين لآخر، ودائما حينما أنفرد بنفسى  
أسرع بالغوص فى هذا الحلم الجميل والذى لم يكن له نهاية  
سعيدة، لكن سعادتى فى تذكر أحداث هذا الحلم الذى كان واقعاً  
مؤكداً وملموساً ولم يتحقق النجاح له لأسباب خارجة عن إرادتى  
ولا أعلم هل عادل هو الآخر يواجه نفس ما أواجهه.

على باب الكلية الخارجى كدت أصطدم بسيارة ملاكى  
صغيرة ماركة فيات كانت مغادرة باب الكلية الرئيسى، توقفت  
الآنسة التى تقود السيارة وقدمت لى اعتذارها ولم أتبين من تكون  
لأن عيونها كانت تختفى خلف نظارة شمس ذات العدسات

الدائرية الكبيرة والتي أخفت جزءاً كبيراً من وجهها الجميل إلا أنها  
صرخت وهي تردد اسمي :

- " نسمة .. نسمة الحلوة الجميلة حبيبتى " .. أعقب هذا  
مغادرتها السيارة وصافحتى وأخذتني على صدرها تهدد على  
ظهري مثلما يفعل الشباب حين اللقاء بعد غربة وافتراق.

- " أهلا .. مين يا ترى الحلوة إللى عارفانى وأنا تايهه عن اسمها  
" .. رفعت نظارة الشمس لأعلى ووضعتها على مقدمة الرأس  
فهتقت :

- " سوزان .. سوزان حبيبتى بنت الشرقية " .. سمعنا كلاكس  
سيارة فأسرعت سوزان تحرك سيارتها التى أغلقت بوابة الكلية  
وركبتها على جانب السور الأيمن وعادت متلهفة لاستكمال  
الحديث معي :

- " فينك يا نسمة، ياه .. الدنيا أخذتنا ودوختنا وكل واحد راح فى مكان " .

- " صحيح يا سوزان .. نعمل إيه لظروف الحرب والتهجير " .

- " سيبك من الوقفة دية .. تعالى نروح نقعد فى مكان هادى  
ونكلم، أنا كان ورايا مشوار صغير لكنى ح أجله عشان خاطر  
عيونك يا حلوه " .

هكذا تسلمتني سوزان المعيدة بالكلية والتي كانت من أوائل دفعتنا طيلة سنوات الدراسة وهى من بنات الشرقية ووالدها مدير الزراعة بتلك المحافظة وأعلم أنها ميسورة الحال، سارت بنا الميارة التى كانت تقودها ببراعة نظراً لأن شوارع القاهرة هادئة فالجميع فى العمل أو بالدراسة توقفت بعد عبور كوبرى الجامعة بحى المنيل، وتوقفنا أمام عمارة ضخمة فتنبه حارسها الذى وقف يرحب بنا ويخبرها بأن والدها أرسل إليها ببعض الأغراض من البلد وسوف يحملها ويلحق بنا.

ركبنا المصعد الذى توقف بنا فى الدور الخامس، غادرناه وقامت بفتح باب شقة أنيق بمفتاحها وخلال هذا لم تهدأ وكانت تضحك وتبتسم منذ بداية اللقاء وكنت أستقصر منها إلى أين المقصد أثناء سيرنا وهى تبتسم وتردد :

- " مفاجأة يا نعمة " .. دخلنا إلى الشقة الفارهة والمزودة بأثاث مرتفع الثمن ويغلب عليه الرقة والفخامة ثم نظرت إلى وقالت :

- " العمارة دية بتاعتنا .. بابا خلص بنايتها من سنتين وطلب منى أختار الشقة اللى أنا عيضاها قبل إخواتى الأولاد .. بعد كده وزع الشقق عليهم كلهم .. ما فيش سكان فى العمارة لأن لجنة تأجير الإيجارات بتخفس حقوق الملاك عشان كده بابا قال بلاش إيجار وخليها للعيلة .. كمان فيه شقة جاهزة فوق شقتى على

طول بتاعة بابا وماما ومفروشه .. بعد شوية حتلاقي مرات عم عبدالصمد شايمة الزيارة إللى جت النهارده .. بابا إتلاقيه كان فى مهمة لوزارة الزراعة وبعد ما وصل بعث سواق عربية الشغل بهديته ليا ."

- " زيارة جاية لك من الشرقية ؟ "

- " أيوه .. طبعا .. مش عارفه خديجة مرات عم عبدالصمد راحت فين؟ أكيد راحت السوق تشتري حاجة .. من المحتمل أنها بتحاول تفتح باب الشقة .. ح تشوفها .. ست شرقاوية جميلة جداً وصغيرة فى السن قريب منا ومجوزه عم عبدالصمد .. على فكرة عم عبدالصمد ده قريب بابا ومن نفس البلد .. وظروفه كانت صعبة وتعب من فلاحه الأرض عشان كده بابا فكر أنه يجيبه هو وأولاده ياخذ باله من العمارة وهو أولى من الغريب وكلنا بنتعامل معاه كأنه عم لنا لأنه يبقى ابن عم بابا .. يعنى أبوه يبقى أخو جدى ."

- " ياه يا سوزان .. أنتم ناس طبييين وبتحبوا بعض ومافيش فرق بين غنى وفقير ."

- " غنى إيه وفقير إيه .. عم عبدالصمد عنده خمس فدادين ملك  
ومأجرهم لأخوات مراته .. ده من أصحاب الأملاك بس صحته  
تعبانه شويه ."

- " تعرفى إحنا نفس الحال .. عايشه مع بابا وماما عند عمتى  
فى بولاق .. بقت لوحدها لأن أولادها كلهم بيشتغلوا خارج مصر  
.. بقينا ونس ومع بعض ."

- " الحمد لله .. خديجة .. خديجة ."

- " أيوه يا ست سوزان، الله مين الجمر إالى حداك دية، أكيد  
باش مهندزه زيك ؟ ."

- " صحيح .. عايزين ناطر وبعدين ناخذ الشاى فى البلكونة ."

- " من عينايا الاتنين ."

هكذا تم بيننا هذا اللقاء دون ترتيب مع زميلتى وحبيبتى  
سوزان وتوجهنا للجلوس ببلكونة الشقة التى تطل على نهر النيل  
العظيم وصفحته الفضية اللامعة، بعد قليل أحضرت خديجة  
صينية دائرية الشكل مرصوص عليها أنواع من الطعام وعرفت  
أنواعه قبل أن أشاهده من رائحته الخلابة التى غزت الأنوف قبل  
أن تغزو الأمعاء، لقد كان الطعام من النوع الطبيعى الريفى بكل

المقاييس، الفطير المشلتت والقشدة والجبن الأبيض خالى الدسم واللبن الرايب وعسل النحل بالشمع وهذا نادر تواجده بالمحلات، كانت سعادتنا غامرة، أقبلنا على الطعام بنهم وأشارت سوزان لخادمتها خديجة بأن تحضر راديو صغير الحجم وأدارته صديقتى بأصابعها الرقيقة وينعومة خالصة لتخرج لنا أغنية " همسة حائرة للمطرب العظيم محمد عبدالوهاب " والتي كانت تتماشى مع وضعنا الجغرافى حينما يقول: " هل تذكرين بشط النيل مجلسنا" .

شعرت بحالة من التخدير، أشاهد وجه سوزان الجميل وقسمات وجهها الطيب الرقيق ويسمها الندية وأصابعها الرقيقة وهى تنقل الطعام إلى فمها الرقيق وضحكاتها وسعادتها تتمايل طريا مع أغنية عبدالوهاب وتدفعنى لتناول مزيد من الطعام الشهى بأن تأخذ قطعة من الفطير وتغمسها بالقشدة وتضعها فى فمى مرودة بالهنا والشفاء يعروس الإسماعيلية الجميلة.

مازلت أصداء الأغنية تضرب بأذنى وشعرت بأن سوزان نهضت لتعد شيئا ما وتركتنى مع أحلامى البريئة وأنا أستعيد كل لقاء مع عادل وفى كثير من الأحيان كانت تلك الأغنية تصدح قريبا منا فترفع من مشاعرنا إلى عنان السماء .. وبالذات هذا المقطع:

" وحولنا الليل يطوى فى غائله .. وتحت أعصافه .. نشوى ونشوانا " .

وهذا المقطع الرائع :

" ونحسب الكون عش اثنين يجمعنا \*\*\* الماء صهباء والأنسام ألعانا "

أقبلت سوزان وجلست أمامي مباشرة ثم نهضت وأقبلت نحوي تقبلني وأخرجت منديل اليد الخاص بها تجفف بعض دموع هبطت من عيوني تأثراً بتلك المعانى الرقيقة، وجلست بجوارى تتسائل عما أبكاني وكانت إجابتي ببعض كلمات قليلة بسيطة مختصرة:

- " أبدا .. الأغنية جميلة "

- " نسمة .. فيه حاجه عملها أمير جزمة سندريلا ؟ "

ازدادت دموعى ولم أعد أستطيع السيطرة عليها مما دفع بصديقتى لأن تساطرنى ببعض دموعها وتربت على كتفى مطيبة خاطرى مواسية، وألحقت بها بعض الجمل المصرية الماثعة التداول فى تلك الأحوال " ولا يهمك يا نسمة .. أنت حلوة وتستهلى كل خير .. يعنى إيه .. سابك وراح لغيرك .. ولا يهمك "

- " الحكاية مش كده يا سوزان .. أنا وعادل تفرقنا غصب عننا بسبب الحرب ومش عارفه أدور عليه "

- " إزاي الحكاية دية .. قبل الهجرة مسبتيش عنوانك الجديد ؟ "

- " أيوه .. كتبت ورقة ولزقتها على باب الشقة "

- " ده معقول يا نسمة .. تلاقى عيل صغير أخذ الورقة وقطعها وعادل معرفشى يوصل لكى "

- " تفتكرى كده ؟ "

- " أكيد .. لازم تعرفيه أنتى فين "

- " إزاي ؟ .. إزاي ؟ "

- " تعرفى مكان تهجيرهم فين ؟ "

- " فى مدينة بركة السبع بالمنوفية " .
- " لازم تروحى هناك وتسالى عليه .. يمكن حصله حاجه كقلله الشر ، أنت عارفه الضرب شغال بينا وبين الإسرائيليين بقا الله كام شهر وبأسمع عن خمساير كتير وأنت عارفه أن الشرقية قريبة من القناة وزمايل بابا بيعرفوا إالى بيحصل ويقولوا أن فيه خمساير كتير بين العساكر والظباط المصريين من ضرب الإسرائيليين " .
- " خوفتىنى يا سوزان " .
- " لأ .. لا خوف ولا حاجه .. روحى بركة السبع وإن كنتى عايزه ونس أنا مستعد أروح معاكى " .
- " ياريت يا سوزان " .
- " خلاص .. يوم الجمعة الجاية احنا الاتنين عندنا إجازة، نروح المنوفية والمشوار مش ح ياخذ ساعة ونص رايح وزيهم جاى والعربية معايا ولسه جديده ومكملتشى سنتين " .
- " خلاص يا سوزان .. موافقة .. ربنا يخليكى .. عايزه أعرف راسى من رجلى بدل ما أنا متعلقه كده والوسواس عمال يروح ويبجى بيا " .
- " ولا يهملك يا نسمة .. خلاص اتفقنا على يوم الجمعة الجاية .. إيه رأيك الساعة عشرة الصبح أعدى عليكى عند مبنى التلفزيون فى ماسبيرو وناخد الطريق الزراعى على المنوفية على طول " .
- " شكرا يا سوزان .. أسيبك دلوقتى وأروح " .
- " مستعجله ليه يا نسمة .. لسه الوقت قدما طويل ونتكلم سوا " .

- " كلها يومين وتقابل وطريق المنوفيه كبير وواسع وناخذ راحتنا لأن الطريق بيكون فاضى من العربيات ."
- " شكرا نسمة أنك شرفتينى بالزيارة دية وح نتقابل الصبح يوم الجمعة .. متسيشى .. عشرة الصبح ."
- " إن شاء الله .. إيه اللفة دية يا سوزان ؟ ."
- " فطيرة وشوية عسل وقشطة عشان بابا وماما ."
- " شكرا يا حبيبتى .. باى باى ."

## مهمة في الجنوب

كريمان:

هذا هو اللقاء الثالث الذي تم بينى وبين عادل الذى بذل الكثير من الوقت والجهد كى ينتهى من رسم وإعداد مشروع التخرج الخاص بى، والذى كان مسائراً للحالة التى تسير عليها الدولة من إعدادها لخوض حرب طويلة ومميرة مع العدو الإسرائيلى تسانده بكل قوة الولايات المتحدة.

شعرت بأن المشروع قد تطرق إلى موضوع جديد مخالف لما يقوم بإعداده الخريجون فى العادة من مشروعات نمطية لدرجة تشعر أى واحد يراجع مشروع الطلبة الخريجين بأنها متقاربة لدرجة كبيرة، والبعض منها شديد الشبه بمشاريع باقى زملاء وليس هناك خلاف أو تنوع إلا فى اسم صاحب المشروع، وقد أصبح شائعاً بأن هناك مكاتب هندسية تقوم بمساعدة الطلاب لإعداد تلك المشاريع نظير مبلغ مالى تدفع لتلك المكاتب.

أشعر بسعادة فياضة لأننى سوف أتقدم بمشروع التخرج الخاص بى بعد أسبوع كما شعرت بنوع من الحزن لسفر عادل إلى وحدته العسكرية حيث أبلغنى بأنه متوجه لمنطقة صعيد مصر من أجل مقاومة الأعداء مما دفعنى للتأمل والتدقيق أثناء حديثه، لأننى أعلم أن الأعداء يقفون على الشاطئ الشرقى لقناة السويس وأن منطقة الصعيد بعيدة عنهم ولا تحدث هناك مشاكل واشتباكات عسكرية.

خلال الأيام الماضية شعرت بأن حواسى متجهة نحو عادل بطريقة غير عادية ولا أعلم سبباً لهذا، فأنا وغيرى من طلاب الكلية كنا نشعر بسعادة لقصة الحب القوية ومدى الإخلاص بين كل من عادل ونسمة

خلال السنوات التي عاصروناهم فيها والتي بلغت ثلاثة أعوام، وعلمت أنها بدأت بينهما منذ بداية العام الدراسي الأول بينهما وكان حديث ما جرى بينهما مثار إعجاب وسرور الطلاب من الجنسين، رغم أن بعض الطلاب أخذ على زميلهم عادل إندفاعه لإنقاذ حذاء نسمة الذي سقط في النيل، لكن البعض حول هذا التصرف إلى نوع من البطولة بل والفروسية التي يجب أن يتحلى بها كل شاب نحو حواء وهذا ما يجب عليه أن يكون التصرف بأن تقوم بمد يد العون والمساعدة لبنات حواء وهذا ما يلاحظه العامة حينما تصعد فتاة أو سيدة إلى إحدى وسائل النقل العام بأن ينهض شاب أو أكثر ليفسح لتلك السيدة أو الأنسة مكانا كي تجلس وتمتريح ولا تصارع الرجال في الوقوف.

أشعر بأن عادل يحتفظ ببعض مشاعر رومانسية نحوى وهذا ما كنت أشعر به سواء من نظراته الهادئة التي كان يوجهها نحوى فى بعض الأحوال ونحن جلوس، وبعد الانتهاء من رسم وتخطيط بعض خطوط مشروع التخرج، بل أثناء سيرنا وعبورنا الطريق العام كان يسرع ويقدم لى يد المساعدة بأن يمسك بيدي خشية التعثر أثناء عبور الشارع، كنت أشعر بلمسات يده الحانية على كف يدي وأشعر بنوع من البهجة الداخلية بل وأشعر بأن بطن يدي قد تبطل بعرق الانفعال والسرور.

منذ التقيت بعادل ثم مؤالى عن نسمة وعدم حصولي على جواب شاف عن علاقته بها بل وعدم ترديد اسمها أمامي وكان هذا شيء من الخيال الذي لم يكن فى يوم من الأيام شيء واقعى وحقيقى، شعرت بأن هناك موقف ما حدث بينهما ولهذا لم أتطرق لهذا السؤال وشعرت بأن جدران قلبه

أصبحت خاوية تنتظر الساكن الجديد صاحب النصيب وفكرت هل من الممكن أن أكون أنا صاحبة النصيب ؟ وأنه من الممكن أن أحل محل نسمة ؟ .. وكانت الإجابة المتأنية بعد لقائى به لعدد من الأيام، لما لا ولقد أنهى الشاب علاقته العاطفية بمن اختاره قلبه قبل ذلك ومن المحتمل ومن الجائز أنها فضلت شخصاً آخر عليه فبعد التخرج يحدث نوع من التحول للبنات عن قصص الحب التى تنشأ عادة بين جدران الفصول الدراسية وكأنها نوع من الدراسة أيضاً، ولكنها دراسة رومانسية جميلة حتى تدخل البهجة والسعادة على جموع الطلاب أثناء تلك الفترة الشبابية التى لا تعوض ولن تعوض.

بعد مُضى تلك الحقبة سوف يندفع الجميع لميدان الحياة العملية ويصبح مجال الترقى والمكسب والعائد المادى هو هدف كل خريج من الجامعة يضاف له أيضاً المركز الاجتماعى والعاطفى بالارتباط بالجنس الآخر لتكوين أسرة وإجاب المثل، لا أعتقد أننى أفسدت علاقته بمن اختاره قلبه قبل لقائى معه ولم أدفعه للاقتراب منى رغم شعورى بنوع من الراحة النفسية ثم السعادة والصفاء النفسى، بل والتفكير فيه خلال فترة قبل النوم كل مساء وفيه أسترجع أحداث ماحدث هذا اليوم وما قاله وتصرفه معى.

لقد شعرت بقلب عادل النابض فى بعض الحالات وكان فى بعض الأوقات راغباً فى أن يفاتحنى فيما يشعر به من تهديدات وأحاسيس، لكنه كان يتوقف وأعتقد أن سبب هذا أنه شعر بأن لا يجب عليه أن يستغل فترة مساعدته لى أثناء إعداد مشروع التخرج ليخرج بتلك النتيجة، وليجعل

المشاعر تفصح عن نفسها بعد التخرج ولا يكون هناك انتظار لعائد نظير ما قدمه لى من عون.

الآن يا كريمان عادل أصبح لك بمفردك دون غيره وقد ظفرت به ولم يظفر قلبى قبل هذا اللقاء بمن حاولوا الاقتراب منى فقد كان عقلى أكبر من سنى وكنت أنظر للمستقبل نظرة جادة فأنا راغبة فى أن أظفر بيكالوريوس الهندسة بعدها أصبح الساعد الأيمن لوالدى المعلم قناوى المقاول الشهير الذى له من الصيت والسمعة الطيبة الكثير بمنطقة الساحل والزاوية الحمراء، سأنتهى من دراستى وأعود لأبى بشهادة البكالوريوس ويبد الأخرى الحبيب وزوج المستقبل المهندس عادل، وبعد تسلم عملى فى شركة أبى أكون قد حققت كل الأمنى التى تتمناها أى فتاة فى مقبل العمر لتأسيس حياة اجتماعية هانئة والزواج بمن تحب وتختار ثم يأتى الأبناء تبعاً لتكتمل منظومة السعادة الأسرية.

عادل :

أشعر بسعادة غامرة فى تلك الأجازة التى انتهت منذ لحظات وهأنذا أتجه لركوب قطار الصعيد متجها لمدينة نجع حمادى حيث تنتظرنى وحدتى، هناك لنقوم ببعض الأعمال التى نكلف بها من وقت لآخر وهى فى الغالب أعمال غير نمطية ومخالفة لما قمنا به من قبل مما أعطانا خبرة كبيرة فى مجالات متعددة.

تلك هى الأجازة الوحيدة التى كنت أتمنى أن تطول ساعاتها إلى ما لا نهاية لقد شعرت بشيء ما نحو كريمان، كانت أنوثتها واضحة وذكائها ظاهر أثناء النقاش بالإضافة إلى أننى كنت أشعر بأنها تسترق النظر من

خلال أهدابها الطويلة من حين لآخر، تلك النظرات كانت تدفع بدمائى  
لزيادة ضربات قلبى الذى لا سيطرة لى عليه مما يدل على أن هناك شيئاً  
قائماً سوف يحدث بيننا.

كنت فى بعض الأوقات أشعر بنوع من تأنيب الضمير مما يحدث  
بينى وبين كريمان لأنه نوع من عدم الإخلاص للراحلة الشهيدة نسمة،  
ولكننى لن أعيش راهباً وقد نهى الدين الإسلامى عن هذا كما أننى كنت  
فى حالة سيئة جداً من فقدان الحبيبة ووطنى الصغير مدينة السويس والبعد  
عن الأهل والأصدقاء حيث كنت أتغنى مع المطرب عبده السروجى بأننى  
(غريب الدار وجار علىَ زمانى).

من أجل هذا شعرت بسكينة وهدوء فى الأوقات التى كانت تجمعنى  
بتلك الساحرة التى وضعها القدر أمامى كى أقدم لها يد العون، وأيضاً كنت  
أشعر بالحنين والحب المفقود ورغم أنها لم توضح لى صراحة مشاعرهما  
نحوى لكنى أعتقد بأن تلك المشاعر لا تظهر بكلمات واضحة، لأنها  
مشاعر ساكنة هادئة تدفع بدماء الإنسان بداخل جسده فتعمل على زيادة  
مشاعر السعادة والرغبة فى حب الآخرين ونمو الحب.

لقد سرقتنى الأحلام والأفكار بالإضافة إلى مشاعرى الإنسانية الحميمة  
نحو كريمان طول الطريق لدرجة أننى سمعت بعض الركاب يتحدثون بأن  
القطار توقف طويلاً فى محطة نجع حمادى على غير عادته مما دفعنى  
لأخذ حقيبتي والقفز من باب عربة القطار أثناء تحركه وكدت أن أفقد تلك  
المحطة وأنزل فى المحطة التالية.

شاهدت الرقيب فوزى قادماً وبرفته سائق اللورى الذى تحرك بنا ومازلت فى حالة من السرحان والأحلام الوردية لما حدث فى تلك الإجازة وعلى غير العادة وصلنا إلى الموقع الذى تحتله الفصيلة وشاهدت رجالى الذى أتولى قيادتهم قد أقبلوا يصافحوننى مرحبين بعونتى وبدا لى لأول وهلة حالة من السعادة والابتنام على وجوههم، مما نفعنى كى أتساءل عما دفعهم للسرور والسعادة فدائماً ما أعود ويحدث بيننا لقاء جاف.

ضحك أحدهم ثم ردد قوله : " شفنا السعادة على وشك السمح .. وشك منور فقلنا أن حضرة الظابط عادل مبسوط المرة دية غير كل مره وده إلى خلانا مبسوطين وينضحك، لأن الشهور إلى فاتت كنت دايماً مكشر ومضايق وإحنا كنا بنزعل عشانك، كلنا عارفين أنك من السويس وسبت بلدك وأهلك وده عامل حالة ضيق عندك وعند كل ولاد مدن القناة، أدى يا فندم كل الحكاية " .

ضحكت وشكرتهم مردداً : " فعلاً أنا مبسوط المرة دية وقابلت بعض أصحابى خلال فترة الدراسة بكلية الهندسة، كمان زرت الكلية وعادت بيا الأيام للماضى الجميل السعيد قبل الحرب وقبل التهجير، وعشان كده قررت أنه فى كل أجازة أبسط نفسى وأقابل زمائلى وأصحابى، وكفايه إلى بنشوفة طول الشهر .. شكرا يا زملائى الأعزاء " .

دخلنا فى دوامة العمل، فقد وصلت للقيادة معلومات مؤكدة بأن العدو نجح فى إرسال عملاء له يحملون قنابل عائمة من التى توضع فوق سطح مياه النيل وتتفجر مجرد أن يحجب عنها ضوء الشمس، ولهذا فقد طُلب منا تفتيش المجرى المائى جنوب قناطر نجع حمادى كى لا تدمر القناطر

ويحدث غرق لقرى الفلاحين وتتفك المواشى وتموت الزرعات فى الأرض مما يؤثر على الناتج القومى للوطن.

قمت بتقسيم الجنود إلى خمس مجموعات وكل مجموعة تسلمت قارباً مطاطياً وبلغ عدد أفراد كل مجموعة خمسة، والواجب المكلفون به حين مشاهدة جسم طاف على مياه النهر أن يعملوا على سحبه خلف القارب حتى الشاطئ حتى يتمكن (المهندسون العسكريون المتخصصون فى التعامل مع المفترقات) من إبطال مفعول أى عبوة متفجرة، كل قارب كان مزوداً بعضا طويلة يبلغ طولها ثلاثة أمتار مثبتت بأخرها خطاف حتى يتمكن الجندى المدرب من سحب الجسم الطافى نحو القارب بهدوء وحرص ثم يقوم بعدها بربط الجسم بحبل مزود به وسحبه حتى الشاطئ.

حتى عصر هذا اليوم لم يعثر الجنود على أى أجسام طافية، أثناء عملنا شاهد الجنود كميات كبيرة من نبات ورد النيل قادمة فى اتجاههم وأسرعوا للابتعاد عنه نظراً لأنه سيلتف حول القوارب ويعيق حركتها، وبالفعل بعد أن أفلت الجنود من ورد النيل شاهد أحدهم جسماً طافياً فقام بتثبيته زملائه الذين أسرعوا فى الدخول بالقوارب بين ورد النيل وتم سحب الجسم الطافى الذى التصق به بعض من نبات ورد النيل مما أدى لإرهاق الجنود وإستمر العمل حتى قبيل الغروب وخلال هذا استطاع الجنود استخراج جميع العبوات الطافية التى وصل عددها إلى تسع عبوات وهذا ما أكدته المعلومات الاستخباراتية.

غادرنا مجرى النهر ونحن جميعاً فى حالة شديدة من الإرهاق، تركت جنودى يتوجهون لمكان إستراحتهم على ضفة النيل بينما وقفت مع ضباط

المفرقات حتى تم تأمين العبوات الانفجارية التي وصل وزن بعضها إلى أكثر من مائة كيلوجرام من مادة TNT شديدة الانفجار، أقبل علينا قبل منتصف الليل القائد العسكري للمحطة العسكرية لنجع حمادى مشيداً بما قمنا به، وأخبرنى بأن المعلومات قد وصلته بأن نستعد للانتقال لمحافظة أسوان حيث تأكد لهم أن طائرة إسرائيلية أقيمت منذ ساعتين وألقيت ببعض الأحمال جنوب خزان أسوان.

ترك لى قائد المحطة العسكرية التعليمات مكتوبة والتي توضح لنا أنه فى تمام الساعة صباحاً سوف يأتى عدد من اللواري لنقل جنودى إلى منطقة الهبوط الاضطرارية، حيث ستقلنا طائرتى هليكوبتر من النوع الثقيل والتي تستطيع حمل جميع الجنود إلى منطقة جنوب خزان أسوان، وهناك سوف ينتظرنا بعض الأفراد بقيادة ضابط ومعهم وسائل النقل والقوارب اللازمة كى نقوم بعملنا.

قبل الخامسة صباحاً حضر المندوب الذى يحمل الطعام، بعد حوالى ساعة زمن تأكدت أن جميع الجنود قد تناولوا طعامهم وشربوا شاي الصباح، بعد هذا بقليل حضرت اللواري وأسرع الجنود بحمل متعلقاتهم الشخصية التى أضيف إليها السلاح الشخصى لكل فرد كما تركنا القوارب فى الموقع تنفيذاً للتعليمات قمت بتوزيع الجنود على الطائرتين تحت إشراف وتوجيه ضباط الأمن الحربى الذين رافقونا حتى أسوان التى وصلنا إليها قبل العاشرة صباحاً، هبطت بنا الطائرات قريباً من النهر وحملتنا اللواري التى كانت فى انتظارنا إلى المنطقة المحددة لنا وهناك وجدنا بعض الجنود بقيادة ضابط فى انتظارنا ومعهم القوارب اللازمة.

أسرعنا بإعداد القوارب وتوزع الجنود كمجموعات وانتشروا خلف خزان أسوان الذى تم إغلاق فتحات المياه به حتى لا تتجرف أحد القوارب من اندفاع المياه من فتحات الخزان والتي تقوم بتحريك المولدات الضخمة لتوليد الكهرباء، كما تعمل على هدوء سرعة المياه خلفه، ظل الجنود يمسحون المنطقة حتى عم الظلام دون العثور على أى أجسام طافية فغادروا المياه وحملوا القوارب خارج النهر وتناولوا طعامهم استعدادا لليوم التالى.

سكن الجنود فى مضاجعهم بينما تولى بعضهم الخدمات الليلية المتبعة وكل جندى من جنود الخدمة كان يحمل سلاحه الشخصى بالإضافة إلى خزنة الذخيرة الاحتياطية ولديه الأوامر والتعليمات بأن ينذر أى شخص يقترب من موقعنا بالتوقف ويعلن عن كلمة سر الليل، وإذا لم يتوقف أو يستجيب يطلق عليه النار للإنذار فإذا لم يتوقف يطلق النار فى الهدف أى يعمل على إصابته.

ليلاً جلست على أحد الكراسى على شاطئ النيل الفضى والسكون يعم المنطقة ولا يبدد هذا السكون إلا حركة بعض الأسماك الكبيرة التى تسبح خلف السد، تناولت طعامى الخفيف وشربت الشاي ووضعت ساق على ساق وطارت بى الذكريات بعيداً إلى القاهرة ثم تنبهت بأن النيل الذى أمامى يصل للقاهرة ويحمل الأتوبيس النهري مع معدات أخرى وأنه قد سبق وحملنى أنا ونسمة لسنوات عديدة، بل كنا نجلس أمامه لفترات انتظاراً لموعد حضور الأتوبيس النهري الذى ينقلنا إلى الأحياء التى نعيش فيها.

كانت تلك الدقائق فترة خصبة وجميلة لأننا نجلس على شاطئ النيل مباشرة بعد انتهاء يوم دراسى فكانت تلك الدقائق يغلب عليها رومانسية

المكان، الذى كان ينعكس على نفوسنا بالتمتع بالحب الهادئ الذى سكن القلوب فى انتظار تحقيق الأمل والمستقبل بالتخرج والزواج والعيش معاً وإنجاب الأبناء.

توقفت عن ذكرياتى الجميلة لأعيش الواقع المؤلم، وفاة الحبيبة والتهجير وترك الوطن وأصبحنا نحيا ونعيش فى مدن الجمهورية ولم نعد نشاهد الأصدقاء الذين ترعرعوا معنا أو زملاء الدراسة فى بداية الأعمار الصغيرة وما يحملها من ذكريات ولم نعد نشاهد القناة والمياه الجميلة الهائلة والسفن تسبح بداخلها ذهاباً وإياباً، أين الصيادون الذين كانوا يأتون بخير البحر ونذهب للسوق فتستقبلنا رائحة زفارة السمك فتتعش الأمعاء انتظاراً لتناول طعام البحر، لقد راح وضاع كل شئ ولا أمل لنا فى المستقبل البعيد وأعتقد أن هذا الحال سوف يدوم لأعوام أخرى.

شعرت بالدموع تغادر عيونى وتسيل على خدودى لكن من حسن الحظ أن أحد الجنود شعر بعدم الرغبة فى النوم فأقبل قريباً منى وأشعل سيجارة وجلس يستمع لراديو ترانزستور بيده، كانت قصيدة جميلة رائعة للمطرب محمد عبدالوهاب والتى أثرت فى كثيراً لأنها كانت تتحدث عما أقاسيه من فقد الحبيبة وحبى لها الذى لم يفتر حتى بظهور الطالبة كريمان، كانت تتطير كلمات الأغنية مع نسمات الليل برفقة الحان وصوت عبدالوهاب:

يا مَنيّة النفسِ ما نفسي بناجية \*\*\* وقد عصفتِ بها نأياً وهجرانا  
أضنيبتِ أسوانُ ما تَرَقا مدامعُه \*\*\* وهجبتِ فوق حشايا السُهد حيرانا  
يبيتُ يودِعُ سَمعَ الليلِ عاطفةً \*\*\* ضاق النهارُ بها سترًا وكتمانا  
هل تذكّرين بشط النيل مجلسنا \*\*\* نشكو هوانا فنفتى في شكوانا

ظلت باقى كلمات الأغنية ترن فى أذنى لكن الأبيات السابقة كان لها تأثير السحر على مشاعرى من تذكر اللقاءات على شاطئ النيل، ثم وجودى فى أسوان وعلى شاطئ النيل مباشرة وأتذكر نسمة الحبيبة الراحلة، حمدت الله أن ظلمة الليل حجبت أنظار جنودى عنى وهم يشاهدون قائدهم والدموع تتسال من عينيه.

صباح اليوم التالى نهضنا أشد قوة وقمنا بالعمل المنوط بنا نفتش سطح النيل نون جنوى، فجأة بعد أن دب اليأس بنا شاهدنا مجموعة من الأجسام الطافية وأسرع جنودى بمهارة وحذكة بسحب تلك الأجسام إلى البر وحدث اتصال سريع بضباط المفرقات الذين أسرعوا بالحضور وقاموا على تفكيك تلك الألغام المدمرة.

كان يوماً شاقاً ولهذا أسرع كل فرد منا بتناول طعامه ثم توجه لمكان نومه فألقى بجسده المرهق وراح فى سبات لكن ما حدث لى بالأمس حدث لى مساء اليوم رغم أن أحداً لم يكن بجوارى ولم أسمع أى أغنية لكن علق بذاكرتى أحد أبيات قصيدة الأمس:

ثم انتنينا وما زال الغليل لظى \*\*\* والوجد محتتما والشوق ظمأنا  
لقد كان الشوق ظمأنا بعد مضى عدة أشهر على وفاة الحبيبة ومازال الغل  
والحزن يغلى ويثور لكن ما باليد حيلة أمام القدر والأقدار.

## الطريق إلى المنوفية

نسمة :

وقفت أنتظر وصول صديقتى سوزان على الكورنيش أمام مبنى التليفزيون لم تتجاوز الساعة الآن الثامنة صباحاً وكان هذا سبباً لضيق والدئ وعمتى يتسألون لماذا أغادر المنزل مبكراً فى هذا اليوم وهو عطلة أسبوعية وجميع الناس مازالوا بمنازلهم يسترخون والبعض مازال يغط فى نومه، لم أعير اعتراضهم أى اهتمام سوى بالابتسام وأخبرتهم بأننى وصديقتى سوزان على موعد لزيارة منطقة القناطر الخيرية.

أثناء الطريق وخلال سيرى على الكورنيش شعرت بنسمات فصل الشتاء تهب على وجهى كما كان لمنظر صفحة النيل بمياهه الفضية أثر كبير وقوى على أحاسيسى ومشاعرى، شاهدت الأتوبيس النهري يقترب وتبتهت وتبدلت كل مشاعرى الرومانسية الحاملة إلى أن أصبحت مشاعر وأحاسيس واقعية مضطربة، كنت أخشى أن أشاهد عادل يغادر الأتوبيس قادماً فى اتجاهى، لم تكن خشيتى منه ولكن من الموقف الذى لن أستطيع أن تتحملة مشاعرى وأحاسيسى وقد تدفع بى لحالة من الإغماء.

غادر ركاب الأتوبيس مرسى النهر ولم يظهر الحبيب الخفى الذى أبحث عنه فى كل مكان وبعد دقائق سوف أتوجه برفقة صديقتى سوزان إلى المنوفية سمعت صوتاً لكلاكس سيارة مرادفاً لاسمى، غادرت نظراتى صفحة النيل لأنظر للخلف فشاهدت سوزان تجلس فى داخل سيارتها على عجلة القيادة باسمة سعيدة تلوح لى فبادلتها سعادتها وبسمتها النضرة الجميلة

المفرحة وأسرعت إلى الجانب الآخر من الطريق أتلفت يمينا ويساراً خشية  
قدوم أى سيارة.

فتحت باب السيارة وجلست على الكرسي واقتربت منها أقبلها فبادلتنى  
بقبلة حانية على خدى وربتت على وجهى بيدها الرقيقة مرددة :

- " مشاء الله، عيني عليكى باردة يا نسمة "، ابتسمت وضحكت متسائلة :

- " ليه ده كله ؟ "

- " جمالك طيبعى ويجنن أى واحد من الشباب يقرب منك "

- " إنتى كمان جميلة وطلوة يا سوزان "

- " صحيح، لكن جمال عن جمال يفرق، بتفكرينى بوش اللبن الحليب بعد  
ما تقوم الست الحلابة بحلبه من ضرع الجاموسة، بيكون أبيض وجميل زى  
خدودك ووشك الجميل " .. ضحكت معلقة :

- " بلاش أونطة يا سوزان .. حتخلينى أخد مقلب فى نفسى "

- " جري إيه يا حلوه، المقلب إتأخذ خلاص "

- " من إمتى ؟ "

- " من أكثر من سبع سنين، لما عادل نط فى النيل عشان فردة جزمتهك  
بتضحكى .. ربنا يبسطك أكثر "

- " سوزان .. باحب الواد ده كثير .. بجنون .. مش عارفه نسينى ليه ..  
يمكن تعرف على واحده تانيه ؟ "

- " مش ممكن، فيه عاقل يسيب الملبن ده واللبن الحليب والابتسامه  
الجميلة والشعر الجميل الناعم والعيون السوداء والشفايف الصغيرة الرقيقة

والحواجب الحلوه ولآ جسمك الملفوف ورجلك الحلوة إल्ली كل بنات الدفعة  
بيحسدوكى عليها " .

- " جرى إيه يا سوزان، خلقتينى أحس أنك ولد بيعاكمنى " .

- " ولد .. هو فيه ولد يقدر ياخذ باله من إल्ली قلتته، الولد حيندهش ويشهق  
ويفتح بقه ويقف عن المشى وأكثر حاجه يعملها يقول كلمتين خاييين من  
بتوعه بصوته الأجهش (جميل جمال ملوش مثال) " .

مازلنا نتصاحك لدرجة أن دموع السعادة والفرح غزت العيون فقللت من  
وضوح الرؤيا مما دفع بسوزان للتوقف جانباً بالسيارة كى تجف تلك الدموع  
فحدوت حدوها أيضاً، كنا نردد : " خير .. اللهم يجعله خير " .. مازال  
الطريق أمامنا طويل، وصلنا إلى منطقة شبرا الخيمة فى طريقنا إلى بنها ثم  
المنوفية كان الطريق شبه فارغ ونسيم الصباح مع برودة الطقس قد أثرت  
علينا مما دفع بسوزان كى تدير مفتاح تشغيل الراديو الذى كان يذيع بعض  
كلمات وأدعية الصباح كما هو المعتاد، لكن بعد إذاعة تلك الأدعية نوهت  
المذيعه عن أغنية جميلة أحبها جداً:

لو كنت يوم أنساك .. إيه أفكر تانى

بالي وخيالي معاك .. وكل وجداني

الحب إल्ली في قلبي .. والدمع إल्ली في عيني

والنار إल्ली في جنبى .. والشوق إल्ली كاوينى

لم أعد أشعر بالكرسى الذى أجلس عليه، بل شعرت بأننى تخلّيت عن الجلوس عليه ولولا سقف السيارة لخرجت منها واصطدمت بأفروع الأشجار الباسقة التى على أجناب الطريق، كان صوت عبداللطيم مع كلمات الأغنية واللحن قد أثر على مشاعرى فخرجت من عيونى دموع فرحه لتلك الذكرى الجميلة، تنبّهت لضياح بعض أبيات القصيدة فعدت أركز على باقى كلماتها:

لو كنت يوم أنسأك .. إيه أفكر تانى

يا فايتتى وهان حبي .. على قلبك يا حبيبي

بادعراك من قلبي .. ماتشوقش تعذبي

شعرت بحزن وألم شديد لكلمة (يافايتتى وهان حبي) كيف يحدث هذا .. كدت أصرخ لولا أنى نظرت ناحية سوزان فشاهدتها تدندن بكلمات الأغنية مع المطرب ولهذا تماسكت وعدت أركز فى باقى كلمات الأغنية:

لا إلهي قاسيته كان على بالي .. ولا أوهامه جت في خيالي

لو كنت يوم أنسأك .. إيه أفكر تانى

انتهت الأغنية وشعرت بهدوء يسيطر على جسدى بعد الثورة الداخلية التى اجتاحتني منذ دقائق ودعوت بداخلى بأن يطيب الله من خاطرى وما

نعانيه من مأسٍ وغربة في داخل الوطن، كنت في أشد الحاجة لحب وحنان عادل هذا الشاب الذكي الطيب الذي يحبني بكل مشاعره وأحاسيسه، إنه حب ظاهر ومخلص وأستطيع أن أؤكد لنفسي أنه لا يبخل عليّ بأى شيء، ربنا يقرب البعيد.

لقد مضت عليّ الأشهر الماضية وتحملت بعض سخافات زملاء لي بالعمل من محاولة التودد لي والتقرب والاستطراف ومحاولة لفت نظري، رغم أنهم جميعاً يعملون بالقرب مني ويعلموا بأنني مخطوبة لمهندس شاب يعمل ضابطاً في جيش مصر، ويبدى اليمنى دبة الخطوبة ولكن البعض يحلو له أن ينظر ويقترّب من نساء الرجال الآخرين.

أننى في أشد الحاجة للعطف والحب والتفيس عما يدور في داخلي حتى لا أقع في حبال أحد من هؤلاء، فالكلام المعسول قد يجد في أحد الأيام أن الأذن الصماء عادت إليها حاسة السمع وأصبح العقل الأجوف مقتنعاً بهذا الشخص والعين التي لا تبصر أصبح يسعدها أن تركز بصرها على هذا الشخص الذى أمامها، نحن النساء ضعاف أمام أحاديث الرجال الرقيقة المستمرة الراغبة فى اقتناص الغزلة التى أمامها ونحن نشعر بهذا، ورغم تأكدي بأنه كلام معسول لا يخرج عن داء الكذب والخداع لكن الإنسان فى بعض الحالات يضعف أمام الإغواء.

تنبهت على صوت سوزان العذبة والتي مازالت تطرينى بكلماتها الجميلة الرقيقة وبأننا قد اقترنا من مدينة بركة السبع، شاهدت علامة

معدنية على جانب الطريق الأيمن توضح بأن بركة السبع على مسافة عشرة كيلومترات فقط.

شعرت باضطراب وتوتر يغلفه نوع من السعادة والبهجة الخفية بداخلي خشية أن تذهب أحلامي وآمالى أدراج الرياح، شاهدت بوابة عالية الارتفاع كتب عليها : " أهلا بالزائرين .. مدينة بركة السبع ترحب بكم " .. كنت أنظر ذات اليمين وذات اليسار أتفحص وجوه المسائرين فى الشارع لعلى أتبين الحبيب عادل أو أى شخص يعرفنى عليه، توقفت سوزان بالسيارة على الجانب الأيمن فى منطقة أعتقد أنها منتصف المدينة ووجهت لى السؤال التالى :

- " نسمة، نروح على فين؟ " لم أكن قد رتبت نفسى لطرح هذا السؤال وبالتالي للإجابة عليه، ترددت ثم قلت :

- " نسأل أى حد عن مكان المهجرين من مدن القناة " .

- " فكره كويسه، ح أنزل أسأل الرجل إللى جاى ده " .

- " صباح الخير " .

- " أهلا بالأستاذة، أى خدمة ؟ " .

- " بأسأل عن مهجرين السويس أروح لهم منين ؟ " .

- " هما قالوا ساكنين فين ؟ "

- " قالوا فى بركة السبع . "

- " لامواخذه، البلد كبيرة، طيب لحظة، يا محمود .. أنت ياواد يا محمود .. تعالى جوام ياوله، أصل الواد محمود بن أخوى مصطفى يعرف ناس يامه من بتوع السويس بيلعب معاهم كوره . "

- " أيوه يا عم عبدالحميد، أيتها خدمة ؟ "

- " شوف يا محمود، المزمازيل بتسأل عن بتوع السويس عايشين فين، تعرف مكانهم ؟ "

- " أيوه .. أعرفهم كلهم . "

- " خليك مع المزمازيل وساعدها ولا تسيبها لحد ما تجولك خلاص، فاهم ؟ "

- " حاضر يا عم عبدالحميد . "

- " اسبيك بعافيه ياست، أروح أجيب العيش والبقول للولاد . "

- " شكراً يا عم عبدالحميد . "

- " لا شكر على واجب .. سلام عليكم " .. هكذا غادر هذا الرجل الطيب المكان بينما ظل محمود بن شقيقه يسير بجوارى حتى السيارة، أخبرت نسمة عما حدث من حوار، كان محمود فى مقتبل العمر ولم يبلغ السادسة عشر من عمره.

ركب السيارة وجلس بالمقعد الخلفى حتى وصلنا لأحد الأماكن وطلب منى التوقف ولم نشأ أن نسأله عن عادل فتصيبه الدهشة بأن فتاتين تسألان عن شاب وهو شاب من أبناء الريف وتلك الأسئلة غير معترف بها فى محيط الناس والعلاقات بينهم، بعد أن توقفت قفز محمود من باب السيارة مسرعاً نحو أحد الأشخاص الذى كان يجلس على كرسي أمام أحد المحلات المخصصة لإصلاح الأحذية وخاطبة وبعد دقائق شاهدته قادماً برفقة هذا الشخص الذى يبلغ من العمر حوالى الأربعين عاماً، الذى استهل اللقاء بتقديم التحية والسؤال عن ما نطلبه بينما قدمه لنا الشاب المرافق لنا بأن هذا هو عم حسن لوزة صاحب ورشة الأحذية والتي كان يجلس أمامها.

- " بنسأل عن المهندس عادل، اسمه بالكامل إيه يا نسمة " .

- " عادل زكى خاطر " .

- " عادل .. عادل .. أيوه افكرت .. دا أخوه اسمه مصطفى مجانس ..  
قصدي مصطفى خاطر لأن مجانس دية شهرته " .

- " أيوه .. ماله ؟ "

- " بيتهم فين ؟ "

- " ملهمش بيت .. دول عزلوا من شهرين ويمكن أكثر "

- " عزلوا .. متعرفش راحوا فين ؟ "

- " لا والله لكن عرفت أنهم سافروا مصر .. الحال هنا معجبهمشى "

- " مافيش حد تانى يعرف حاجه عنهم ؟ "

- " لحظة أندھلك الخالة أم سعيد ودية كانت صاحبة أم مصطفى مجانيص الروح بالروح وكانوا جيران بالسويس، ما أنا سويسى كمان " .. تركنا الرجل وعاد بعد عشرة دقائق كنت خلالها فى حالة من التوتر، لقد فر الأمل من بين أصابعى كما نفر المياه من رمال الصحراء القاحلة، أشاهد سيدة تسيير بهدوء بجوار الرجل أو عم لوزة الجزمجى وإقتربت منا فغادرنا السيارة نتحدث معها وظهرت الإبتسامة على وجهها الطيب وصافحتنا بحرارة وعرضت علينا أن تستضيفنا فإعتذرنا وطلبنا منها أن تفيدنا إلى أين توجهت عائلة عادل خاطر.

- " أنا فاكرة أن الست حسنية أم مصطفى قالتلى أنهم ح يروحوا عند بنتهم فى روض الفرج لأنهم تعبوا هنا وحالة العيشة فى الأرياف مش ولابد

وعشان كده قالت أروح جنب بنتى ونجمع شمل العيلة كمان مرات مصطفى  
إبنها كانت دايما تعمل مشاكل مع الستات هنا فخافت أن الناس تتعدى  
عليهم .

- " يعنى كلهم راحوا روض الفرج " .

- " أيوه " .

- " وعادل إينهم ؟ " .

- " أيوه .. أنا فاكره أن عادل رجع من الجيش على هنا ومكنش يعرف  
بحكاية سفرهم ولما عرف إنبسط وسافر ع طول ومن ساعتها منعرفش  
حاجه عنهم " .

- " شكرا يا خالة حسنية " .

- " لا شكر على واجب ومتنسيشى توصلى السلام لأم مصطفى " .

- " من عينيا الاتنين " .

- " تسلم عيونك الحلوة " .

هكذا عُدنا من حيث أتينا وقد علمت أن عادل عاد كى يعيش فى هذا  
المكان الشاعرى أثناء فترة الدراسة، هكذا سوف نعود لنجتمع ثانية مثل

سابق عهدنا شعرت بسعادة وفرحة لكن تلك الفرحة والسعادة لم تدوم  
وتسائلت طالما أن عادل بخير ويعيش بالقاهرة قريباً منى لماذا لم يفكر فى  
أن يقوم بزيارة عمى ليعلم كل شىء عنى، فهو يعلم أين أعيش بينما أنا لم  
أقم على زيارة منزل شقيقته قبل هذا، أشعر بأن وراء عادل رائحة حواء وهذا  
سوف يزيد من آلامى ومعناتى.

### سوزان:

أنظر من حين لآخر إلى صديقتى الجميلة نسمة كى أرى وأشاهد نتائج  
تلك الرحلة التى سمعت خلالها عن الحبيب وأنه أصبح قريباً منها ويستطيع  
أن يشم رائحة أنفاسها العطرة، سوف أتركها فى أحلامها التى وضعتها على  
زورق يجرى بداخل النهر بعيداً عن عيون وآذان الناس، تلك الفاتنة لو عثر  
عليها عادل فسوف يصاب بالجنون لأنه فقد عنوانها التى تركته بعد  
التهجير.

- " وصلنا خلاص يا نسمة، تيجى تكلمى معايا وأنتِ عارفه عايشه  
لوحدى، ح أروح دلوقتى وأغير هدومى وبعد ما اخد حمام أقعد فى البلكونه  
أشوف جمال النيل والقوارب والمراكب، لو كنتى فاضية نرجع مع بعض ".  
-

- " شكرا يا سوزان والأيام جاية، أسيبك على خير .. باى ".  
-

- " طيب يا نسمة لوحيبتى أروح معاكى لأخت عادل أنا جاهزة ".  
-

- " لا شكرا .. المشوار قريب والسكة متوهشى ووكالة الخضار معروفة  
والسؤال فيها عن جوز أخت عادل الكل يعرفه، شكرا يا سوزان يا حبيبتي ."

هكذا ودعتى سوزان بتلويح يدها بينما وقفت أنظر إلى السيارة التى  
إبتعدت عنى ووقفت برهة على الكورنيش الذى بدأت وفود الشباب العاشق  
من الجنسين تغزوه كى يشاركها النهر الخالد مشاعرهم وأحاسيسهم التى  
بدأت تنمو بداخل الأجساد الهزيلة والأعمار الغضة.

غادرت الكورنيش إلى المنزل ومازلت أفكر وأتساءل فيما بين خلجات  
نفسى: ظلما عادل بجوارى ومسافة سير لا يتعدى زمنها عشرون دقيقة أو  
محطة أتوبيس نهري واحدة أو محطتان بترام خط ١٣ .. بعد كل هذا  
يتجاهلنى؟ كيف يحدث هذا ؟ كلما فكرت فى مشاعره وحببه لى وحبى له  
ولهفته على لقائى واللهفة على تقديم موعد الزواج ينتهى كل هذا بسرعة  
حتى لو كان وراء كل هذا حواء فأعتقد أنه كان سيمهد لهذا التصرف وذاك  
القرار .

عُدت لأسرتى منهكة القوى من تلك الزيارة السريعة التى أخفيت أخبارها  
عنهم ولا يعلمون سوى أننى بصحبة سوزان صديقتى وتوجهنا لمدينة  
القناطر الخيرية نلهو مع بعض الصديقات منذ فترة الدراسة، أسرعت للحمام  
وإستبدلت ملابسى ووضعت جسدى بداخل السرير وحصلت على غفوة  
سريعة وأنا بوضع الجلوس ومستندة بظهرى على ظهر السرير .

تبهت لصوت أمى قادمة تحمل كوبا من شراب القرفة المنعش الذى يدخل الدفء للأجساد المتعبة والتي تشعر ببرودة فصل الشتاء، تناولت من يدها الكوب شاكرة فضلها وشعرت بأنها ترغب بالحديث معى لكنى إعتذرت بإشارة من يدي بأننى متعبة وأبغى النوم وفى حقيقة الأمر كل ما كنت أبغيه هو تفسير سلوك هذا الخطيب متذبذب العواطف والمشاعر وكيف وافته الشجاعة لأن يفلت من حبه لى وتأثيرى عليه.

لقد إقترب مكان معيشته من مكاني وعدنا نحن الاثنان للعيشة بنفس المكان الذى ظلله الحب طوال فترة دراستنا والذى بدأت خلاله فترة الحب النامى بين قلوبنا الشابة، قررت أن أقوم على زيارة سوق روض الفرج والإستفسار عن إسم زوج شقيقته وبعد لقائى معه أحصل على عنوان سكنه، كنت فى حالة من الخجل كلما تذكرت أنني الفتاة سوف أذهب كى أتلصص وأبحث عن سبب هروب الخطيب لكن السبب الأكبر كان مرجعه الأساسى لحالة الحرب التى يعيش فيها الوطن وعادل ضمن رجال الجيش والمعرض أكثر من غيره للفقْد أو الإصابة ولهذا سوف أطمئن على وجوده ولن أراه بعد هذا بعد أن تصرفت تصرفت بنات الأصول.

عادل :

كما هى عادتى بكل أجازة أحصل عليها من وحدتى أستبدل ملابسى وأسرع الخطى للحصول على جرعات مهدئة تعيد إلى سعادتى التى فقدتها إلى الأبد بفقد الحبيبة نسمة، اليوم أسير بكل نشاط بشارع الجامعة بعد أن

غادرت الأتوبيس النهري الذي مازلت حوائطه وكراسيه تحمل شعاع نسمة الرقيق وصوتها العذب ورائحتها العطرة، من المحتمل أن ألتقى بتلك الفتاة الجميلة كريمان والتي إلتقيت بها قبل ذلك بغرض المساعدة، فكرت هل من الممكن أن تكون هي العوض عن حب نسمة، لا أعتقد هذا لأن تأثيرها ضعيف وباهت على مشاعري رغم جمالها وسحرها، مازلت أشعر بحنين نحو رجاء ابنة عم مصطفى الخطيب ولكنى أخشى الإقتراب منها حتى لا تعتقد بأننى أستغل الظروف الصعبة التى أحاطت بهم.

بعد أن سرت قليلا شعرت بمن يهمس بإسمى من الخلف فتوقفت فشاهدتها كريمان الجميلة الرقيقة التى أقبلت مسرعة نحوى وفى حالة من التوتر وتتسائل عما أخرجنى عن موعد إجازتى، إبتسمت لها وسارت معى حتى وصلنا للكافيتيريا وهناك جلست معى قليلاً وطلبت منى الإنتظار حتى تنتهى من المحاضرة الوحيدة ثم ترافقتى للجلوس خارج الكلية.

مضى علىّ هذا اليوم بسعادة وإنشراح وأغدقت كريمان علىّ من الصفات والمشاعر والمديح الكثير لما أقوم به مع آلاف من شباب مصر لصد عدوان العدو، كما أثنت على مساعدتى لها فى مشروع التخرج الذى أشاد به الأستاذ المسئول وإقتربت من رأسى تبيح بسرها لى:

- " خلاص يا عادل، كلها شهرين وربنا يوفقتى وانجح وأتخرج وأشتغل مع بابا والباقي عليك، وإلا لك رأى تانى ؟ "

- " لا رأى تانى ولا تالت، بس باباكى حيقدر ظروف الحرب ".  
- " أكيد، البلد كلها فى حرب مش إنت لوحدك ورغم أن بابا مكنش مبسوط لأنك فسخت خطوبتك الأولانية ".  
- " الظروف هيا إللى عملت كده، أنا مكنش ليا دخل فى الحكاية ".  
- " أنا شاعره بكده ومتأكده أن الحكاية جت من ناحية نسمة ".  
- " صحيح وكل شىء نصيب ومحدش بيقدر يقرأ المستقبل ".  
- " مالك يا عادل، .. فى رنة حزن فى كلامك، نسمة كان لها تأثير شديد عليك ".  
- " نسمة هيا كل حياتى، فى منامى وصحوتى وأحلامى ".  
- " الكلام ده غريب وعجيب، أمال أنا أبقى إيه فى حساباتك، أكيد أنا حاجه هامشية ".  
- " أنت لك منزلة كبيرة يا كريمان ".  
- " أيوه بس نسمة لسه مآثره على عقلك، افرض قابلتها حتعمل معايا إيه ؟ ".

- " مش ح أعمل حاجه لحد ما أنا وأنتى نلحق بيها ".  
 - " عمر ده ما ح يحصل، إيه الكلام ده، فاكرنى ح أجرى وراكم، أنت بتعلم ".  
 - " جرى إيه يا كريمان، شاعر إنك غيرانه من نسمة ".  
 - " أكيد، أفرض بعد ما اتجوزنا قبلناها صدفة هيا وجوزها ".  
 - " جوز مين ؟ ".  
 - " جوز نسمة ".  
 - " نسمة ماتت يا كريمان ومش معقول أن فيه حد ييموت ويعدين يجوز ".  
 - " بتقول إيه ؟ !! ".  
 - " بأقول ماتت ".  
 - " إزاي تقول عليها كده ".  
 - " دى الحقيقة ".  
 - " عادل .. اصحى، نسمة لسه عايشه وكانت هنا فى الكلية من عشر  
 تيام! ".

- "ياہ یا کریمان، الغيرة عمت قلبك".

- "وأنت يا عادل الكره والحدد عماك أنك تشوف الحقيقة، باى ومع

السلامة واللى بنا راح وانتهى".

هكذا تركتني كريمان بمحل جروبي وسط البلد حانقة على شخصي  
لأنني مازلت أحب وأخلص للراحلة نسمة لدرجة أنها إعتقدت أنها مازالت  
على قيد الحياة وبدأت تناصبها العدا، "مش معقول كده يا كريمان، الله  
يسامحك أنك بتتكلمى على المرحومة بالشكل ده، الله يسامحك".

## أحلام مشروعة

بدا لى أن خيال رجاء يداعب جفونى مما دفعنى للهدوء ومحاولة الجلوس منفرداً خلالها أظير مع أحلامى وكنت أشعر بنوع من الضيق بأننى ألجأ لرجاء بديلاً عن كريمان وكريمان بديلاً عن نسمة، لكنى توقفت أمام حقائق وليست خيالات، نسمة توفأها الله مع والديها أسفل أنقاض العمارة بالإسماعيلية وكريمان كانت تتقرب منى بغرض المصلحة وأن حبها مزيف ويندرج تحت بند المصلحة الشخصية، أما رجاء فأشعر برومانسية حين سماع صوتها بل خلال تحركها وتصرفها كما أن والدها عرضها علىّ بأن أقترن بها إذا كنت أرغب فى هذا، لا يجب علىّ أن أعطى كل شىء أكثر مما يستحق، الحمد لله لقد تخلصت من قيود كريمان وأصبحت حراً والآن أعود لأفكر فى تلك الحمامة البيضاء التى هبطت علىّ فى قطار الزقازيق المزدهم مع والدها وشقيقتها الصغرى منذ عدة شهور، يجب علىّ البحث عنها وتقصى أخبارها.

توجهت لوكالة الحاج عوض كى أكرر له شكرى على ما قام به مع تلك الأسرة رغم أننى أعلم أنه لا يرغب فى أن يذكره أحد بخدمة أو مروءة قام بها لوجه الله عز وجل، وصلت إلى الوكالة ولم أجد الحاج عوض وتبين لى من سؤال غلمانة أنه برفقة أحد التجار لزيارة شقيقه الذى يُعالج بأحد المستشفيات طلبت من أحد العاملين أن يأتى إلىّ بكوب من الشاي، بعد قليل أقبل صبى القهوة بكوب الشاي، فجأة شاهدتها تقترب من وكالة

الحاج عوض، أكيد إنها رجاء وليس شبيهة لها، تسائلت كيف علمت بمكان وكالة الحاج عوض ولكن على رأى المثل إلیى يسأل ما يتوهشى.

ظللت جالماً كى لا أفضح مشاعر البهجة والسعادة التى طفت على صفحات وجهى القلق، نهضت حينما اقتربت وظهرت بسمه ضياء من بين ثغرها الغائن حين توقفت أمامى مباشرة وألقت بتحياتها ومددت یدى تصافح يدها الرقيقة الجميلة:

- " صباح الخير يا عادل ."

- " أهلا يا رجاء، عامله إيه وعم مصطفى والكتكوته هناء ؟ ."

- " كلنا بخير، لسه راجعه من المدرسة إلیى راحت لها مع بابا أول ما سكننا هنا وقدمنا لها طلب الدراسة بها وفعلا وافقت إدارة المدرسة تنفيذاً لأمر الحكومة بقبول أبناء المهجرين بالمدارس دون قيد أو شرط، وأصبحت مواظبة على دراستها، كنت غايب فين المدة إلیى فاتت ؟ أفنكر عدى شهرين من آخر مرة شفناك فيها ؟ ."

- " اتفضلى استريحى، أنتى عارفه ظروف شغل ظباط الجيش وحالة الحرب ."

- " شكراً يا عادل وربنا معاكم، أنا جيت أسأل المعلم عوض عن جزار كويس عايزه أشترى لحمه لأن اللحمه إلیى بيحبها الساعى فى البنك لبابا مش ولابد ."

- " عيد .. واد يا عيد ."

- " نعمين يا باش مهندز ."

- " المعلم بيشتري اللحمه منين ؟ ."

- " من عند المعلم حسن بتلو ."
- " قريب من هنا يا عيد ."
- " خمس دقائق مشى ."
- " تروح مع المزمازيل وتعرفه بيها .. فاهم ؟ ."
- " حاضر يا باشمهندز ."
- " مش عايزه أعطله، بس يعرفنى أروح له إزاي ؟ ."
- " طيب خليك فى مشغلك يا عيد وأنا ح أروح معاها بس إوصف لى أروح للمحل إزاي ."
- " ح تمشى على طول ونهاية الشارع ح تلاقى الشارع الرئيسى، هوه على الناصية على اليمين، وعرفه بنفسك يا بيه ."
- " تفضلى يا رجاء ."
- " بس ح أعطلك ."
- " أنا عندى إجازة خمس تيام، راح منهم يوم واحد بتاع إمبارح ولمسه أربعة ."
- " خير .. مش عارفه أشكرك إزاي على إللى عملتوه معانا، على فكره مديحة أختك حلوة أوى ."
- " مش ح تكون أحلى منك ."
- " بلاش تكسفننى، أنا فين وهيا فين ؟ ."
- " لا والله ماهى مُجمالة، إنتى وهناء حلوين خالص وكمان عم مصطفى ."
- " مرسى .. ."

- " إحننا قربنا من الجزائر، صباح الخير يا معلم حسن ".  
- " صباح الفل يا هندزه، جاى بدرى أكيد الست هانم طلبت منك تيجى معاها عشان تجيب كل طلباتها، باين عليكم عرسان جداد ومش من الحنة ".

- " أنا المهندس عادل نسيب المعلم عوض ".  
- " أهلا وسهلا، عوض بتاعنا، عوض قوطه! ".  
- " أبوه .. عوض قوطه، ودى بنت خالتى وجت مع عيلتها وساكنين جنبنا وعايظه لحمه حلوه من إيدك ".

- " عنيا .. حاضر .. طلباتك يا هانم .. طيب .. شوفى الحنة دية .. من الموزة حاجه زى الفل ".  
- " شكرا يا معلم ".

كنت أراقب حديث الجزائر مع رجاء وطريقتها الرقيقة فى المخاطبة، تأكد لى إنها نسمة مُكرّر، انتهت من الشراء وأقبلت نحوى حيث كنت أقف خارج محل الجزيرة حتى لا أشاهد ما تشتريه ونوعيته كنوع من المحافظة على المشاعر كما اعتدت على هذا من طريقة أبى فى تعامله مع الآخرين، بعد خروجها من المحل طلب منها الجزائر أن ترسل له بأى فرد من العاملين لدى المعلم ومعه ورقة بكل طلباتها وهو سيقوم بالواجب من أجل عيون المعلم عوض قوطه والباشمهندز.

سارت رجاء بجوارى تتدلل وتتحدث بكلمات كأنها نوع من الفوازير تحتاج إلى فكر وذكاء وفجأة سألتنى لماذا قمت بتعريف نفسى للمعلم بأنك مهندس وليس ضابط فى الجيش، ابتسمت لحديثها وأخبرتها بأننى ضابط احتياط

ولمست تلك مهنتى الدائمة كما أننى مهندس، أفرطت فى الثناء على حديثى  
وبدت عليها المعادة من كلماتى وخلال هذا كدت أعترف لها بما كنت أفكر  
فيه مساء أول يوم إلتقينا فيه فى رحلة قطار الزقازيق معتقداً بأنه نوع من  
الرؤى والأحلام.

رجاء :

هكذا رافقتى عادل أثناء عودتى من محل الجزارة حتى باب العمارة  
وقدمت شكرى الخاص له بينما عرض علىّ إذا احتجت لأى شىء علىّ أن  
أطلبه منه وهو يستطيع القيام به، ضحكت لهذا وأخبرته بأننى كنت أرجو  
أن يعود بشقيقتى هناء من المدرسة التى سوف تنتهى من دراستها الساعة  
الواحدة والنصف لكن المشكلة أن هناء لن توافق علىّ أن تعود معك  
وستظل تبكى، ولهذا فأنا أعفك من هذا وبأسلوب حواء أخبرته بأننى كل  
يوم دراسى أغادر باب العمارة فى السابعة والنصف لمرافقة هناء حتى  
مدرستها القريبة من هنا وأذكر أنها مدرسة بنت الشاطىء.

أثناء مصافحتى لعادل طلب منى أن يرافقنى حتى باب المدرسة للعودة  
بشقيقتى هناء وفهمت من حديثه برغبته بأن يتحدث معى فترة طويلة،  
أخبرته بأننى أشفق عليه لأننى أتوجه للكورنيش قبل موعد انتهاء اليوم  
الدراسى لشقيقتى هناء بساعة زمن كى أمتع عيناى بمياه النيل والنظر إلى  
صفحته الفضية واستنشاق عبيره النقى، مما أسعده بأنه يستطيع أن يرافقنى  
خلال تلك الفترة نظراً لصعوبة قضاء أيام الإجازة التى يحصل عليها  
شهرياً، وافقته الرأى وكان هذا أول موعد لقاء بيننا، أى فى الثانية عشرة  
والنصف أمام المنطقة التى يقع فيها مبنى التليفزيون.

هكذا غادر عادل المكان وتركنى أقف لبعض الوقت كى أستجمع  
شئآت فكرى وأتسائل ما الذى فعلته وكيف تم هذا، وأشد ما أدهشنى أننى  
شعرت بأنوثتى وبأننى راغبة فى أن ألقاه وشعرت خلال تلك الدقائق التى  
تحدث فيها بأنه كان يبئنى بعضاً من أشواقه بتلك النظرات القليلة التى  
يغلب عليها الحياء والخجل، لقد أصبحت أحلام اليقظة أحلاماً مشروعة،  
صعدت سلالم الدور الثانى برشاقة وكدت أصدق ببعض بدايات لأغان  
مشهورة تتبىء عن حالى ولكنى تماسكت، وبسرعة أخرجت مفتاح باب  
الشقة وقمت بفتحه على عجل وتركت ورقة اللحم فى المطبخ وعدت ثانية  
وجلست على كرسي الغوتيه الذى اعتدت الجلوس عليه كى يذكرنى بتلك  
الأحلام المشروعة.

سرقنى الزمن ووجدت أنه لم يعد أمامى سوى ثلاث ساعات، أسرع  
إلى المطبخ بعد أن استبدلت ملابس الخروج وارتديت ملابس البيت وفوقها  
مريلة المطبخ وشعرت فى تجهيز وإعداد الطعام، لأن بعد عودة هناء  
مباشرة سوف أقوم على رعايتها وتنظيف بذنها واستبدال ملابسها بالكامل ثم  
أضع الطعام أمامها لأنها صغيرة ولا تستطيع أن تنتظر عودة أبى من عمله  
فى الخامسة والنصف قبل الغروب بدقائق.

عادل :

هكذا افتقرت عن رجاء بعد أن حصلت على موعد كى ألقاها، كانت  
سعادتى غامرة فما كنت أتخيله أحلاماً ورؤى منذ أكثر من شهرين أصبح  
حقيقة واقعة، والآن سوف يُصبح لى حبيب أناجيه ويناجينى وأسعد بلقائنها  
وأسمع صوتها وعلو حديثها الذى حُرمت منه منذ عدة أشهر منذ وفاة

صاحبة الحب الأول، الذى طرق أبواب قلبى ونفذ إليها وترجع بغرفته الأربع واستطاع عطرها أن يسبح مع الأوردة وشرابين القلب وأصبحت حياتى كلها نسمة وليس أى شىء بعد نسمة.

إذا ما الذى فعلته اليوم، كيف أقدم على ما أقدمت عليه سواء من تناسى حبى إلى نسمة وحبها لى أو ذكرياتى مع كريمان، لقد كانت الراحلة متيمة بى وليس تلك مشاعرى ولكنها ملاحظات الآخرين حتى زميلاتها واللائى كُن يحمدننى على هذا الحب من زميلتهن الفاتنة العاقلة، وكما قالت إحداهن إن نسمة تتميز برجاحة العقل ولا يطيح بعقلها سوى عادل خاطر ثم أعقب هذا أن تضاحكن جميعاً بما فيهن نسمة التى علقت بأن تلك هى الحقيقة التى لا تعلم سبباً لها ومن المحتمل أن عادل توجه لإحدى الساحرات التى استطاعت أن تعد له عملاً بالحب الجارف من ناحيتى ووضعها فى سندوتشات المعلم عجة التى ينفحنى بها يومياً، أتساءل كثيراً ما الذى دفعنى دفعاً لهذا الحب وأعتقد بأن بساطته فى التعامل معى وأحياناً حالة العبط والطيبة فى بعض الأحيان دفع بى للتعلق به والله فى خلقه شؤون.

خشيت أن أتوجه لمنزل شقيقتى انتظارا لموعد رجاء والذى مازال أمامه ثلاث ساعات، سوف أصبح خلال تلك الفترة محورا لحديث أمى وشقيقتى وما تقومان به من دفعى للتقدم لخطبة رجاء عوضا عن الراحلة نسمة، وأن الحياة ليست اعتكافاً ولا رهبة وأن الحياة تسيير ولا تتوقف بفقد إنسان، لأن فقد شخص لا يدفع بالبشرية أن تتوقف عند هذا الحد، سوف أتوجه للجلوس على أحد المقاهى بشارع ٢٦ يوليو لحين اقتراب موعد لقاء رجاء فى الثانية

عشرة والنصف وخلال فترة الانتظار وجلوسى على المقهى أسلى نفسى بمشاهدة البشر المارين أمامى وأقطع الوقت الذى أصبح مملأ منذ وفاة الحبيبة نسمة رحمها الله.

رغم سعادتى بحركة الناس أثناء جلوسى أمام المقهى إلا أننى كنت أستعجل وقت اللقاء ولهذا غادرت المقهى مبكراً عن موعد لقاء رجاء بعد أن وضعت احتمال انتظارها لى قبل الموعد الذى سبق وأن حددته لى، وقفت مستنداً على سور الكورنيش أتأمل حركة القوارب واللنشات وأيضاً صنادل النقل الخاصة بالبضائع فوق سطح النيل يرافق كل هذا أصوات مواتير تلك السابحات فوق سطح مياه النهر، وأيضاً نسيمات عذبة رطبة رضية قادمة من جهة النهر؛ قطع علىّ هذا الحلم صوت ساحر يردد اسمى :

- " عادل .. التقت فشاهدتها تقف خلفى بمسافة لا تقل عن المتر، شعرت بأن قلبى أصبح له جناحين وسوف يطير بها من فوق سطح مياه النهر للجانب الآخر بحى الزمالك ."

- " مرحباً رجاء .. أكيد طبختى أكل هناك ؟ "

- " صحيح .. خلصت كل شغلها، دايماً هى الأولى والثانى والثالث أما بابا فترتيبه الرابع ."

- " طيب .. وأنتى ترتيبيك فين ؟ "

- " لو فيه وقت وعافيه بيكون العاشر ."

- " العاشر ؟ ! "

- " أيوه يا عادل .. تعرف بأشعر بالخوف كل ما أفكر أن يجى عليا يوم وأجوز، ح أعمل إيه مع الصغيرة دية وكمان مع بابا، الاتنين محتاجين رعايتى وصحتى.

- " طيب وأنتى محتاجه الرعاية والصحة و.. "

- " و .. إيه يا عادل ؟ "

- " الحب .. "

- " ياه .. الحب .. ده ترف كبير وإللى حالهم من حالى حرام، إنهم يعشموا نفسهم بالشكل ده، إحنا يادوب علينا الشغل بس وناكل عشان نفضل عايشين عشان نشتغل للناس أو للحكومة.

- " ليه نظرة التثائم دية .. بلاش نجيب السيرة دية .. تعالى نتمشى شوية لحد كوبرى قصر النيل "

- " على رأيك .. الجو منعش لا حر ولا برد والشارع هادى وحركة العربيات كمان "

- " إيه رأيك نقعد عند الست إللى فرشة شوية كراسى وبتقدم مشروبات "

- " بس كده ح نقعد على رصيف الكورنيش "

- " رصيف إيه .. فيه جسر ورا السور وهيا عامله فيه قاعده كويسه والنيل قدامك على طول ولا سور ولا حاجز "

- " موافقه .. "

هكذا توجهنا إلى هذا الكازينو الصغير المتواضع التى تقوم على خدمة الناس به سيدة فى منتصف العمر استشهد زوجها العام قبل الماضى أثناء قصف مدفعية العدو على مدينة بورسعيد وأسرعت بأطفالها الأربعة

عائدة للقاهرة موطنها الأصلي، أما بورسعيد فهو موطن زوجها شهيد مدفعية العدو وبعد عودتها تقدمت بطلب لمحافظة القاهرة التي راعت ظروفها ووافقت على الممنوع وأعطتها الحق فى إقامة هذا الكازينو الصغير كى تنفق من عائده على صغارها وتصبح قريبة من سكن والديها بمنطقة رملة بولاق.

تحدثت معى رجاء بطيبة ورجاحة عقل وشعرت خلال حديثها بأنها تتحدث مع شخص تعرفه معرفة جيدة وليس تعارف سريع عابر فى لحظات مؤلمة غير عادية، كنت أستمع لها مثل أب يسمع لشكوى أحد أبنائه حيث كانت تقص على بعض البيانات والمعلومات التى لم أكن أعرفها عنها وعن والديها ومستوى معيشتهم الراقى فى الإسماعيلية، كنت أشعر فى بعض الحالات بأنها تعبر جملة أو أكثر فى سياق حديثها متعمدة وليست سهواً لأن تلك الجمل فى الغالب تكون نتيجة الحدث التى حدثتلى عنه وتؤكد لى أنها تخجل بأن تبوح بمثل تلك الجمل لشخص غريب عنها.

نظرت بمعصمها وهتفت بأن موعد إنصراف شقيقتها قد أرف و لهذا نهضنا بعد أن تقدمنا بالشكر للسيدة لوجة الشهيد التى أثنت على أشخاصنا وخصوصاً حينما لاحظت أننى نفتحها مبلغاً أكبر من الحساب ورفعت يديها للسماء بأن يسعدنا ويتم كل شىء على خير.

بداية شارع ٢٦ يوليو طلبت منى رجاء تركها كى تقوم منفردة بالعودة بشقيقتها لأنها لو شاهدتك فسوف تتحدث عنك وتتسائل كثيراً مما يدفع أبى للتساؤل أيضاً، وقبل انصرافها ابتسمت وهى تقول:

"أهو إنت عرفت معاد مرواحى لهناء .. إنتاشر ونص فى نفس المكان لو كانت ظروفك تسمح".

وقفت أتابع رجاء أثناء سيرها، كانت سعادتى غامرة لشعورى بأنها تتشابه مع الراحلة فى كثير من المواصفات الشكلية وأسلوب الحديث الساحر لكن ما يميز رجاء عن نعمة خلفيتها الاجتماعية الراقية التى انعكست على ملابسها الغالية الثمن، وأيضاً على طريقة حديثها المنمقة والتي تخلو من بعض كلمات بنات الأحياء الشعبية، لكن الاثنتين كانتا من قالب جمالى واحد وإذا شاهدتهما شخص غريب لتأكد أنهما قريبات من الدرجة الثالثة كبنات الخالات أو العمات.

رجاء :

تركت عادل ولدى شعور عارم بالسعادة لم أشعر به من قبل، لا أعلم سبباً لهذا رغم محاولات الكثير من شباب عائلة أبى التقرب منى سواء حين زيارة أقاربنا بمدينة بورسعيد الجميلة أو حين زيارتهم للفيلا المملوكة للبنك والتي كنا نقيم فيها بحى الإفرنج بالإسماعيلية، عادل شخصية مختلفة ولدى اعتقاد بأن سبب تعلقى به هو أنه كان مثل عوامة الإنقاذ لنا فى تلك الليلة الظلماء التى كانت ختاماً لأسبوع الأحزان والمصاعب الذى تلى وفاة أمى الحبيبة، كان عادل دائماً فى خيالى فى جميع الأوقات سواء بداخل المنزل أو حتى الآن، وأنا أسير فى الشارع أفكر فيه، لا أستطيع أن أجزم أننى أحبه ولكنه علق بخيالى وحواسى، يجب علىّ التخلص من سيرته الآن فقد اقتربت من مدرسة هناء وأرغب فى أن أكون منتبهه لما تقوله لى أثناء الطريق وأنا ممسكة بها بيد وحقبة مدرستها باليد الأخرى.

أشاهد عقارب الساعة تقترب من الرابعة مساءً ولا يفصلنى عن موعد عودة أبى الحبيب من عمله سوى تسعين دقيقة، مازلت هناك تجلس على مائدة الطعام تذاكر دروسها بعد أن قمت بنظافتها واستبدال ملابس المدرسة بملابس البيت وبعد أن تناولت طعامها ووقفت بجوارها كى تنظف أسنانها، سوف أقوم وأنفذ ما كانت تقوم به أمى معى، لقد فقدت أمى بعد أن اقترب عمرى من السادسة والعشرين بينما هناك لم تتم الحادية عشرة، فقدت أحن الناس وأعظمهم فى الدنيا لقد حُرمت من أمها خمسة عشر عاماً بالمقارنة بى ومن أجل هذا لن أتوانى عن حمايتها ورعايتها، حتى تشب عروساً جميلة وتتزوج وتتجب وسوف أظل بالنسبة لها الأم الحانية.

نسمة :

كنت أقف قريباً من كوبرى أبو العلا فى انتظار سيارة الشركة القادمة من جهة الزمالك كى تقلنى إلى مصنع أبوزعل مثل كل يوم، أشاهد على الجانب الآخر فتاة يانعة فى مثل عمرى ويرفقتها طفلة صغيرة وتحمل عنها حقيبتها المدرسية، كانت سعادتى كبيرة بأن أشاهد علاقة الأخوة بين البنات التى حرمت منها فلى شقيق واحد وهو محمود، تكرر هذا المشهد خلال الأسبوع الماضى مرتين أو ثلاث ثم ضاع منى بعد أن عدلت إدارة المصنع فى مواعيد أتوبيسات الشركة لكى تتحرك مبكراً نصف ساعة يومياً سواء فى الصباح أو فى المساء ولهذا فقد ضاع منى هذا المشهد الجميل ومتابعة تلك العلاقة النبيلة.

كنت أتمنى أن أشاهد هذا المشهد ثانية لكن اختلاف مواعيد الأتوبيس حرمنى من هذا، أحد الأمسيات وأنا أجلس فى حجرتى تحيط بى الأفكار

والخواطر التي تتنازع مشاعري وأحاسيسي وأنا دائمة التفكير في هذا الحبيب الذي اختفى عن نظري منذ أكثر من شهرين، لا أعلم سبب تذكرى مشهد الفتاة العروس والطفلة المصاحبة لها والتي تؤكد أنها الشقيقة الصغرى، طارت بى الأفكار والذكريات إلى مدينتنا الإسماعيلية أعوام الدراسة بالمرحلة الثانوية وصديقاتى من بنات العائلات اللائى يتميزن بالخلق والجمال.

تذكرت البعض منهن ولم أستطيع تذكر الأخريات، البعض منهن اختصرن الطريق وتزوجن وأنجبن أثناء دراستى الجامعية بينما الأخريات يستكملن تعليمهن الجامعى بكليات جامعتى القاهرة وعين شمس، أحد الأعوام أثناء الإجازة الصيفية من الجامعة قمت بزيارة المدرسة وهناك التقيت بمدرس الموسيقى العبقري إبراهيم جيتار بينما اسمه الحقيقي إبراهيم الجيار، شعرت بسعادة بلقائه وبعرض المدرسات وتبادلنا الأحاديث، توجه إبراهيم جيتار إلى دولا ب به بعضاً من أوراقه وأدواته الموسيقية ثم عاد حاملاً صورة جماعية لفريق الموسيقى منذ ثلاثة أعوام حينما كنت طالبة فى الثانوية العامة، كانت سعادتى غامرة.

قبل أن أغفو ليلاً تذكرت تلك الصورة فهضت وأحضرتها من بين دوسيه أوراقى وصورى الشخصية التى استطعت الاحتفاظ بها والتمسك لإحضارها معى رغم اعتراض أمى على ذلك، كنت أدقق فى الصور وأستعيد أسماء البنات وما حالهن الآن، توقفت عند واحدة أتذكر اسمها، رجاء .. رجاء الخطيب ابنة مدير البنك، تلك الفتاة الرقيقة التى كان يحلو لها تقليد صوت المطربة نجاة الصغيرة وضعت أصابع يدي على فمى

وشهقت وتوترت، أعتقد أنها الفتاة التي كنت أشاهدها منذ أسابيع مضت وضاعت تلك المشاهدة بعد تعديل إدارة الشركة فى مواعيد أتوبيسات الركوب، أعتقد وأن الطفلة المصاحبة لها شقيقتها هناء التي كنا نحملها ونلعب معها وهى طفلة صغيرة لم تتجاوز الأعوام الثلاثة من عمرها.

كنت فى حيرة وتساءلت فى داخلى، من سوف يأتى برجاء وأسرتها لهذا الحى الشعبى، إن والدها يعمل مديراً للبنك وهو رجل مشهور بالكفاءة والتميز كما أن طنط صفاء والدتها لن تقبل بالعيش فى هذا المكان لأنه أقل فى المستوى بالنسبة لها وهى سيدة جميلة وكانت من سيدات المجتمع بمدينة الإسماعيلية، لا .. لا .. لن تكون رجاء لكن شبيهه لها .. وعلى رأى المثل يخلق من الشبه أربعين.

هذا يوم عادى من أيام العمل لكن جد جديد عليه، إذ أرسل لى المهندس مدير قسم المعادن بالشركة بخطاب ليلاً مع أحد السعاة يخبرنى فيه بأن أقوم بحضور ندوة وزارة الصناعة بديلاً عن زميلنا المهندس رشاد، وما يجب علىّ هو لقاء المهندس رشاد فى موعد الأتوبيس وتسلم ملاحظات الشركة التي سوف تقدم لمندوب وزير الصناعة خلال الندوة، وبالتالي لن أتوجه للمصنع فى الغد ولكن يجب علىّ لقاء المهندس رشاد فى موعدنا فى السابعة صباحاً.

فى اليوم التالى توجهت كعادتى والنقيت بالمهندس رشاد على باب الأتوبيس وأظهرت له خطاب مدير القسم وسلمنى الملف وتمنى لى التوفيق وغادرت الأتوبيس الذى انصرف للشركة بدونى، بينما أخذت طريق العودة لمنزل عمى لأن موعد الندوة فى التاسعة صباحاً ونحن فى السابعة وأمامى

ساعتين سرت بخطى هادئة متوجهة لمنزل عمتي، شاهدت الفتاة العروس التي كُنت أشاهدها منذ عدة أسابيع وحين مشاهدة صورة مدرس الموسيقى، اعتقدت أنها زميلة النشاط الموسيقي رجاء ابنة مدير البنك، كانت بالجانب الآخر من الطريق، وقفت أشير إليها لكنها لم تعيرني أى اهتمام، أسرعت أعبّر الطريق وكانت سيارة مسرعة أن تدهمنى لعدم التركيز وبعد انقاضي وانفكاك الناس من حولى لم أجد أثرا للفتاة وشقيقتها الصغرى، وضاعت منى فرصة التأكد من شخصيتها ونسبت تلك الفكرة.



## مهمة عادية

صدرت لى الأوامر بأن أتوجه إلى منطقة (كوم دفنة) القريبة من منطقة الصالحية ومنطقة (سماكين الشرق) التابعة لمحافظة الشرقية لتقديم يد المساعدة فى إنقاذ بعض لوارى الجيش التى تحركت فى منطقة هشة وغير صالحة لتحرك العربات نظراً لطبيعة الأرض اللينة من ارتفاع منسوب مياه القناة وهى من الأراضى السبخة التى يصعب تحملها للأثقال خصوصاً فترة الشتاء.

وصلنا مساء يوم السادس من شهر فبراير عام ١٩٧٠ وكنت أستحق أجازة ميدانية اعتباراً من يوم ١٢ فبراير، ولهذا فقد وعدنى القائد بعد أن أنتهى من مهمتى بأن أعود لفرع المهندسين العسكريين بقيادة الجيش الثانى بفصيلتى ومعداتى لأحصل على إجازتى، وسوف يحل أحد الزملاء محلى فى قيادة الفصيلة لحين عودتى.

كنت قد قررت فى تلك الأجازة وبعد أن اتجه إلى مدينة الإسماعيلية ووصولى إلى قيادة الجيش هناك سوف أسرع إلى قيادة وحدتى المتمركزة غرب المدينة بعدة كيلومترات، كنت فى شغف لزيارة مدفن الراحلة نسمة وبالأخص بعد لقائى برجاء، وخلال هذا شعرت بمدى تعلقى بها ومدى تأثيرها علىّ وكان حبى لنسمة على مدار خمسة أعوام فى الجامعة وعامين بعدها لم يؤثر فى مشاعرى ونسيت الوعد والعهد حتى لو كان شريك العهد قد انتقل لجوار ربه.

شعرت بأننى غير مخلص لذكرى الراحلة نسمة مثلما سبق وأن شعرت بهذا الشعور أثناء علاقتى بكريمان التى لم تكن ترغب فى أن تعيد تذكيرى بما وصلها من أنباء ومعلومات عن الفقيدة حيث توقفت عن الحديث عنها بعد أن سألتنى عنها أول مرة ونظرت إليها صامتاً، فشعرت بما يدور فى داخلى من أحزان ومن المؤكد أن تلك المشاعر أثرت فيها لأن النساء يشعرن بالحزن لما يصيب إحداهن، وأعتقد بأن هذا هو السبب الرئيسى فى انفصام عرى المحبة والصدقة بيننا.

فى منطقة كوم دفنة التى تعتبر منطقة سيئة المناخ والأرض بكل جدارة حيث الهضاب والمرتفعات ونشع المياه الجوفية فى المناطق المنخفضة شاهدنا ثلاثة لواري كبيرة الحجم من التى تتقل ذخائر المدفعية الثقيلة مغروسة بالسبخة التى هى خليط من الرمال والطفلة والمياه المالحة القريبة من سطح الأرض.

تحركنا نحو اللواري الثلاث على الأقدام وكان واضحاً أن أقدامنا تغوص لعمق لا يقل عن ربع متر ورغم صعوبة التحرك إلا إننا وصلنا لأحد اللواري كى نعد العدة للإنقاذ، وقبل هذا سوف نقوم بتفريغ الذخائر ثقيلة الوزن قبل إنقاذ اللواري.

قام الجنود بضبط عجلة قيادة اللواري الثلاث وربط تلك العجلات وتثبيتها بجنازير صغيرة بداخل كيبينة السائق كى لا تتحرك تلك العجلات فتتحرك بالتالى العجلتين الأماميتين فتعرقل عملية سحب اللواري للخلف، لم

يكن أمامنا سوى سحب اللواري للخلف والتي قطعت مسافة لا تقل عن مائة وخمسين مترا بتلك السبحة الطفلية اللزجة، وأصبحت عجلات اللواري غير واضحة من أسفل التربة نظرا لأن صندوق اللواري أصبح مساو لسطح الأرض.

انتهينا من كل الإجراءات اللازمة لسحب اللواري، عُدت مع بعض جنودي إلى قائد الموقع بتلك المنطقة الذي سمح لنا بأن نستخدم دبابة ( نَجْدَة ) لهذا الموضوع، وقفت الدبابة على حافة المنطقة الصلبة وقمنا بفرد "وير" من الأسلاك الصلبة حتى اللواري وبأحد القوارب الخشبية الكبيرة فرغ الجنود الذخير في القارب على مراحل.

" دبابة النجدة مشابهة للدبابة العادية وغير مزودة بمدفع أو برج متحرك ومزودة بموتور أقوى من موتور الدبابات العادية لأنها مخصصة لسحب الدبابات المعطلة من أرض المعركة للخلف وإصلاحها كما أنها مزودة بحبال من السلك الصلب القوي لمثل هذا الحدث"

استمرت عملية تفريغ الذخيرة وسحب القارب بواسطة ونش دبابة النجدة حتى منتصف الليل حيث كانت تقف بجوار دبابة النجدة بعض اللواري الأخرى الفارغة، والتي يتم تحميل الذخائر فوقها مباشرة وتسرع في الإختباء خشية طائرات العدو التي لو شاهدت تلك العملية فسوف تنقض علينا جميعا محدثة خسائر كبيرة بنا.

الحمد لله .. فقد استطعنا إنقاذ النخائر وأسرت اللواري بحملها والاختباء بها بعيداً عن أعين طائرات الأعداء، تبقى ثلاثة لواري من النوع الثقيل المغروسة بأحوال المنطقة السبخية تنتظر الإنقاذ وهي مهمة شاقة وصعبة للغاية، انقذتنا وحدة المهندسين القريبة بإمدادنا بحصائر من حديد التسليح التي يتم فردها فوق الأرض السبخة كي تسير فوقها اللواري بعد رفعها من عمق الأرض السبخة وذلك للمعاونة في مثل تلك الأحوال كما قامت سرية نقل اللواء القريبة منا بنقل تربة رملية جافة وقام رجالى بفرد التربة الرملية مستخدمين كوريك الحفر، تم فرد التربة الرملية من مكان وقوف دبابة النجدة حتى مكان سقوط اللواري الثلاث بعمق التربة، ثم تم فرد كتل من فلنكات خشب السكة الحديد فوق الحصيرة الحديد أعقب هذا دخول رافعه كبيرة استطاعات رفع اللورى من بين السبخة ووضعته فوق الطريق المعد من التربة الرملية الجافة بعد هذا قامت دبابة النجدة بسحب اللورى.

استغرق إنقاذ كل لورى حوالى الخمس ساعات مع المجهود المضنى مع الخوف والخشية من غرس الرافعة تحت ثقل وزن تلك اللواري لكن الله سلم، وتم بحمد الله إنقاذ اللواري الثلاث وكانت فرحتنا طاغية ووقف جنود الصيانة حول كل لورى لإزالة الشوائب عنه وفى صباح اليوم التالى الموافق الثامن من شهر إبريل أنهينا مهمتنا بنجاح وتحركت بجنودى فى اتجاه الإسماعيلية متخذاً الطريق الخلفى بمنطقة السماكين وبحر البقر.

فجأة هاجمتنا طائرات العدو وقصفت عدة مناطق من حولنا وطال وحدتى القصف ولم أشعر إلا وأنا ملقى خارج اللورى الذى انقلب رأساً على

عقب، وبعد نهاية القصف شاهدت عدداً من جنودى البعض منهم مصاب بإصابات خفيفة أما بالنسبة لى ولأحد الجنود كانت إصابتنا تحتاج للعلاج فى المستشفى، ولهذا قام الرقيب فوزى رقيب الفصيلة بعمل اللازم وتم نقلى مع الجندى المصاب إلى مستشفى الصالحية العسكرية بأحد لوارى الفصيلة المسلمة وبعد أن تأكد أنى بحالة طيبة غادر المكان واصطحب جنوده للعودة للفرع الهندسى بالجيش الثانى.

هكذا وجدت نفسى فى اليوم التالى مُرحل لمستشفى كويرى القبة العسكرية بالقاهرة ومكثت فيه أربعة أيام تم خلالها تضמיד الجراح التى أصبت بها ومنها خياطة جرح قطعى بالساق اليمنى، كما حضر لزيارتى كل من أبى وأمى وشقيقتى مديحة وزوجها المعلم عوض بينما لم يقم شقيقى مصطفى بزيارتى لأنه كان على خلاف مع زوجته ووصل بهما الحال إلى قسم شرطة بولاق أبوالعلا.

نسمة :

كنت فى حالة من الحزن الشديد لما أصاب الأطفال الأبرياء بمدرسة بحر البقر بإصابات شديدة أدت إلى مقتل خمسة وثلاثين طفلاً وجرح الباقون وعددهم خمسة وستين وتهدمت المدرسة تماماً، كان جميع من حولى فى المصنع سواء من العمال أو الموظفين أو المهندسين فى حالة سيئة والغضب جاثم على قلوب الجميع، لهذا قررت أن أقوم نهاية الأسبوع

بزيارة سوق روض الفرج والسؤال عن المعلم عوض الخضرى زوج مديحة  
خاطر شقيقة عادل.

لقد شجعتنى حادث بحر البقر للسؤال عن عادل وخصوصاً أن بعض  
الصحف المصرية نقلت خبراً بأن وحدة مصرية للمهندسين العسكريين  
أصيبت أثناء القصف ولم تكن تحارب وقائدها أصيب ويدعى عادل ولم  
أعرف باقى الاسم، وتحيرت هل هو عادل خاطر أو شخص آخر واحتمال  
كبير بأن العديد من ضباط المهندسين يبدأ الاسم الأول لهم بهذا.

هذا يوم عادى فى المصنع وله ذكرى طيبة عندى لأن هذا التاريخ له  
نصيب فى قلبى ومشاعرى، أنه تاريخ ميلاد عادل الذى أكمل الثامنة  
والعشرين من عمره، أتسائل: هل سأوفق فى لقاء شقيقته وتخبرنى أين هو؟  
أم أن السراب مازال يرافقتى فى حياتى وبالتالى لم أعد أعلم أين عادل  
الذى اختفى من أمامى ؟ وحينما قمت بزيارة كلية الهندسة لم أستطع السؤال  
عنه لأن صديقتى سوزان التقطتني من أمام باب الكلية الخارجى.

اقترب موعد الظهيرة وأقبل عمال الوردية الثانية بينما عمال الوردية  
الأولى يستعدون للانصراف وفجأة سمعنا أصوات طائرات فى السماء فأسرع  
الجميع يشاهد تلك الطائرات ويقدم لها التحية لأنها طائراتنا القابعة بمطار  
أنشاص الحربى القريب من موقع المصنع، كان حجم الطائرات واضحاً  
وشاهدنا طائرة تقترب من المصنع بوضع الهبوط وازداد حجمها وضوحاً

ورافق هذا أصوات مدافع تطلق نيرانها على الطائرة الأولى والتي خلفها وتأكد لنا أنها طائرات الأعداء.

اسرع الجميع للاختباء ولكن تلك السرعة لم تكن كافية إذ سمعنا صوت انفجار ضخم رافقه تطاير بعض نوافذ المكتب وأيضا تطاير قطع من الحديد الخردة المشونة بالقرب منا، صرخت مثل أخريات وشاهدت البعض يسقط أمامي هلعاً وخوفاً وآخرين يسقطون من الإصابة وبدا أن الدماء تندفع من أجسادهم وتحيرت ماذا على أن أفعل وكيف أساعد، وأثناء تلك الدوامة من الأفكار المتضاربة سمعت صوت انفجار آخر.

شعرت بأننى أطيير فى الهواء وشاهدت جزء من سقف المبنى ينهار ويتساقط وشعرت بصدمة قوية أثر سقوطى من ارتفاع بعد أن تطاير جسدى سكنت وخمدت ولم يعد يعمل بجسدى سوى النفس والأذن، سمعت البعض يصرخ طلباً للنجدة بأن الإدارة الهندسية تم تدميرها وقتل من فيها من مهندسين وأنه شاهد المهندسة الجديدة نسمة تسقط تحت الأنقاض وتقضى نحبتها.

كل هذا كنت أسمع ولم أستطع أن أجيب على أى استفسار أو حتى طلب العون والاستغاثة، شعرت بأن روحى تمسح من جسدى ولم أعد أعى أى شىء من حولى ولا أعلم الزمن الذى قضيتَه على هذا الحال سوى أننى تنبّهت على أضواء النهار بعد أن استطاع عمال الإنقاذ الوصول إلّى وإلى زملائى بعمل فتحة بجدار المبنى والدخول إلينا لمحاولة الإنقاذ يرافقهم

بعض الأطباء والمسعفين، سمعت أحدهم يخبر من حوله بأن المهندسة مازالت على قيد الحياة ولهذا طلب حملها على نقالة ووضعها فى سيارة الإسعاف لسرعة إنقاذها.

تتهت لوجودى فى سيارة تسير مسرعة تطلق صفير الإنذار الذى يرافق سيارات الإسعاف والإطفاء، شاهدت سيدة تجلس فى داخل السيارة تمسك بيدي وفهمت مما ترتديه من ملابس بأنها أحد أعضاء فريق الإنقاذ الطبى، حينما شاهدت عيونى تتحرك وأنظر إليها اقتربت منى تقبلنى وتردد :

- " حمد لله على سلامتكم، ربنا كتب لك عمر جديد، إحنا قرينا من مستشفى هليوبولس بمصر الجديدة وربنا ح يكمل شفاك هناك، كل الأطباء والمرمضين فى إنتظار ضحايا المصنع " .. شعرت بحالة من الانتعاش الداخلى من حديث تلك السيدة التى تعمل بهيئة التمريض وكان باديا عليها كل علامات الطيبة والحب الواضحة على وجهها.

على باب المستشفى الخارجى شاهدت جمع من العاملين فى المستشفى بمجرد فتح أبواب سيارة الإسعاف الخلفى تعاون الكثير للدفع بى إلى داخل المستشفى، كما التف العديد من الأطباء والمرمضين حولى ووجدت نفسى فى غرفة الأشعة، وقام الفنى بأخذ عدد من صور الأشعة لأماكن معينة بعدها توجهوا بى لقسم الجراحة وأسرع الأطباء وهم يشاهدون أفلام الأشعة لإجراء جراحة عاجلة.

رغم تخوفى من مثل هذا لكنى لم أكن أملك حق الاعتراض أو إبداء  
الرأى فقد كنت أحيا دون حركة أو فكر، كُنت فى حالة استقبال ولم أكن  
أقوى حتى على طلب كوب من الماء، كان جميع من حولى يعلمون ماذا  
يفعلون وتبين لى من مشاهنتى قبل إجراء العملية أو بعدها أنهم خبراء فى  
أعمالهم ومخلصون لأقصى درجة، بداخل حجرة العمليات كنت أنظر لمن  
حولى من الأطباء والمساعدين بنظرة الوداع فلن أحيا بعد اليوم وكنت أشعر  
بأن تأثير المخدر قد طال جميع أعضاء جسدى، بعد هذا لم أعد أسمع أو  
أعى أى شىء من حولى.

عادل :

بعد يومين من حصولى على أجازتى من الإصابة كنت أجلس فى المنزل  
مع شقيقتى وأمى نشاهد التلفزيون ونسمع أخبار قصف مصنع أبوزعبل  
لصناعة المعادن وآثار التدمير، كنا نشاهد عملية إخلاء الجرحى من موقع  
الإنفجار إلى سيارات الإسعاف، سمعت صوت والدتى يرن فى أذنى  
وبأرجاء المنزل :

- " البننت إللى نقلوها لعربية الإسعاف شبه المرحومة نسمة، مش كده يا  
عادل؟ "

- " صحيح ياماما، يخلق من الشبه أربعين، لكن أنت شفتى نسمة فىن ؟  
أنتى يوم الخطوبة كنتى عيانه ومرحتيش معنا الإسماعيلية لبيتها "

- " فى الصور إالى كانت معاك، أقوم أجبها " .

- " لا ياماما .. بلاش نقلب المواجع " .

تلك كانت المرة الأولى التى يتفوه أحد من المنزل باسم الراحة نسمة، بالفعل كانت الفتاة تشبه نسمة لكن الإصابة والشاش من حول رأسها والجروح والدماء المنتشرة على ملابسها ووجهها تعطى هذا الانطباع.

بعد أن قضيت أربعة أيام فى المنزل وقبلها يومين فى المستشفى كنت فى أمس الحاجة للخروج للشارع والتنزه رغم حالتى الصحية المتوعكة واستخدامى لعكاز يساعدنى على السير، ورغم نصيحة أبى لى بالآ أفعلى هذا إلا أتنى غادرت المنزل أسير بهدوء مما لفت أنظار أبناء الحارة الذين أقبلوا للمساعدة وتشجيعى على السير، لأن عملية قصف مدرسة بحر البقر أصابت المصريين بإصابات نفسية شديدة وعلق بذهن كل من شاهدى بأننى كنت من بين رجال تلك المعركة.

بصعوبة استطعت السير حتى مرسى الأتوبيس النهري وماعنى الناس على النزول وأفسح لى البعض مكانا فى بداية الأتوبيس للجلوس بين التشجيع لى ونظرة الألم لما أصابنى، تحرك الأتوبيس وعادت بى ذكريات الماضى الجميل والرومانسية الحالمة، لقد دمرت الحرب سعادتى بفقدى الحبيبة والخطيبة والآن أنا مصاب وى جروح عديدة والجبس حول كعب قدمى اليمنى ورغم هذا سوف أستمر فى خدمة وطنى وبلدى كى أحقق مع

مئات الألوف من الشباب النصر على العدو والذي سوف أقدمه للراحة الحبيبة كهدية للأخذ بثأر مَنْ قتلها وقتل والديها.

وصل الأتوبيس النهري لمحطة الجامعة فغادرته مع جموع الشباب من الطلبة والطالبات والبعض تعرف علىّ وقدم لى يد المساعدة والبعض قرر أن يرافقتى بالمير وآخرين أنكروا هذا لأن المسافة طويلة على من فى حالى وقرر أحدهم إيقاف سيارة تاكسى ودون انتظار موافقتى أشار لإحدى سيارات التاكسى ومساعدنى وركب بالخلف، توقفت بنا السيارة أمام باب الكلية وأسرع الزميل للمساعدة وبيده الأخرى قدم للسائق أجرة نقلنا.

بعد انتهاء زيارتى للكلية عدت لمنزلى بصعوبة بالغة لكن سائق التاكسى كان رحيماً بى، استقبلتنى أسرّتى بسعادة محذرين لى بألا اكرر عملية الخروج تلك حتى تستقيم أمورى الصحية، جلست هادناً بداخل المنزل، فى المساء غادرت أمى وشقيقتى المنزل لزيارة جارة لهما بينما والدى فضل الجلوس فى المقهى المقابل، وأخبرنى أنه لن يتأخر علىّ ولكى لا يتركنى أجلس بمفردى فكر فى أن يحرك مفتاح تشغيل التليفزيون.

جلست مع هذا الجماد المتحدث اللبق وبعد قليل شاهدت وزير الصحة يتفقد حال المصابين والجرحى من جراء الغارة الجوية الإسرائيلية على مصنع أبى زعبل حيث يعالجون بمستشفى هليوبولس بمصر الجديدة، كان المذيع يوضح كل صغيرة وكبيرة ويذكر أسماء المصابين الذى يقوم الوزير

بمصافحتهم متحدثاً مع البعض منهم مستفسراً عن أحوالهم الصحية وما يطالبوا به الحكومة لعلاج أى مشاكل نجمت من هذا الاعتداء.

كان المصابون يقدمون الشكر لما قامت به أجهزة الدولة وتبين لجولة الوزير أن بعض المصابين حدث له بتر فى الساق أو الذراع، وقف الوزير أمام شابة جميلة تجلس فى السرير إحدى يديها مربوطة وقام المذيع بتعريف الوزير بها وأيضاً المشاهدين :

- " المهندسة نسمة يونس ؟ .

- " أهلا يا نسمة يا بنتى، إصابتك عامله إيه ؟ " .

جلست لا أسمع ولا أرى ومن هى التى أشاهدها أمامى على الشاشة ؟ هل هى حبيبتي الغالية نسمة وهل هذا الصوت الذى أسمع به بأذنى هو صوت نسمة وما أسمع عن اسمها ووظيفتها هل هذا هو بالفعل اسمها وتلك وظيفتها إذن من تكون تلك التى شاهدت منزلها ينهار أمامى منذ أكثر من عام، لقد كانت تقف فى البلكونة تلوح لى وأنا قادم من أول الشارع ألوح لها، لقد شاهدت بعين أم رأسى عمارة نسمة التى تقطن بها تنهار وسمعت أصوات أهل الشارع يترحموا عليها وعلى والديها، من المؤكد أن هناك الكثير من الأسماء المتشابهة .. لا .. لا .. نسمة بجوار خالقها منذ عام.

## لقاء الأحيبة

سرحت فى أحلامى وشعرت بأننى فى حالة من الروحانية العالية وأن روح نسمة هبطت من السماء وظهرت على شاشة التليفزيون خصيصا لى، ضحكت لتلك الأفكار وتذكرت أحد أفلام الفنان رشدى أباطة مع الفنانة لبنى عبدالعزيز فى فيلم عروس النيل عندما كانت تلك العروس روح فى السماء تهبط من أعلى لتأتى لزيارته بأوامر من الفرعون الأكبر، لقد أصبحت مثل هذا الفنان لكنى أعيش فى الواقع، هو يقوم بتمثيل دور فى فيلم سينمائى أو فى دار الخيالة أى الخيال المخالف للحقيقة، لكنى أشاهد نسمة أمامى تجلس على سرير المرض منشرفة الصدر تتحدث مع وزير الصحة، تلك هى صورتها وهذا هو صوتها إذاً أنا فى عالم الحقيقة وليس فى عالم الخيال.

انتبهت مما أنا فيه ومازال المذيع المرافق لزيارة وزير الصحة يعيد ويزيد فيما قام به العدو المجرم من تدمير لهذا المصنع ومقتل العديد من العمال البسطاء وبعض الموظفين، وكان الحظ يقف بالمرصاد للمهندسة الصغيرة نسمة فهى الوحيدة التى لم تهرب من المبنى وظلت به، وحينما تهدم كانت الوحيدة التى أصيبت خلال تلك الغارة، يعدد المذيع بعض البيانات الشخصية عن المصابة وأنها من مدينة الإسماعيلية التى تقاوم العدو حتى الآن.

قفزت من فوق الكرسي وارتديت ملابسى وهرولت للخارج رغم شعورى ببعض آلام بقدى، لم أستطع الإنتظار للصباح وكيف هذا وأنا أسمع وأشاهد أن نسمة مازالت على قيد الحياة وإذا كان الأمر تشابه أسماء ووظائف فكيف تؤكد لى كريمان بأن نسمة كانت فى زيارة للكلية منذ عدة أيام، لابد أن هناك خطأ إما خطأ خاص بى أو خطأ خاص بالآخرين لكنى متأكد بأنه خطأ الآخرين، لقد شاهدت العمارة تنهار أمامى.

بصعوبة وصلت لأول الشارع الرئيسى وأشرت لسيارة تاكسى فتوقف السائق وعاوننى على الركوب وطلبت منه التوجه لمستشفى هليوبولس بمصر الجديدة حيث كان المذيع يكرر بأن تلك الزيارة تتم بمستشفى هليوبولس، وصلت للمستشفى ولم يعارض أحد دخولى اعتقادا منهم بأننى من ضمن المصابين لما عليه حالى والسير بعكاز.

فى الاستعلامات سألت الفتاة المسئولة عن رقم حجرة المريضة نسمة يونس، كنت أنتظر إجابة بأنه لا يوجد أحد فى المستشفى بهذا الاسم، لكن الإجابة كانت مخالفة حيث زودتنى بالرقم ( أوضة ٢٢٢ ) .. يعنى الحجرة رقم ٢٢ بالدور الثانى، أسرعرت للتوجه للمصعد ودخلته على عجل وتسبب هذا فى فقد فردة حذائى الخفيفة المحيطة بالجبس خارج باب المصعد ولم أستطع العودة للحصول عليه من لهفتى على كشف الحقيقة.

## نسمة :

كنت أسير برفقة إحدى الممرضات بالدور الأرضى للقاء طبيب الأذن للتأكد من سلامة السمع خشية من تأثير صوت الانفجار على طبلة الأذن، توجهنا للمصعد وكان يسير أمامنا بعشرة أمتار تقريباً شاب يستند على عكاز ودخل المصعد على عجل ونسى فرده حذاه خارج باب المصعد، إنحيت على الحذاء وأمسكته بيدي فحاولت الممرضة أن تمسكه عنى وترحنى من هذا لكنى ابتسمت لها قائلة:

- " تعرفى يا نجمة، أول سنة فى الكلية حصلى حاجه زى كده، وقعت منى فرده الجزمة فى النيل وأسرع أحد الطلبة الزملا يحاول إنه يرجعه ليا، مكنتش أعرفه قبل كده، تصورى نط فى النيل وخرج وفى إيده فرده الجزمة وجففها بعد كده بقماشه قديمه وسلمها ليا عشان ألبسها، كان كل همه إنى ممشيش حافية " .

- " ياه يا باشمهندسة، دا حب بقى !! " .

- " فعلا تحول كل ده لحب وبعدين حصل خُطبة " .

- " وبعدين .. ؟ " .

- " كل واحد راح فى طريقه " .

- " ياه .. كده بكل سهولة يضيع كل حاجه حلوه " .

- " دى مشكلة البنات فى مصر، تسلم قلبها وعقلها للحبيب اللي اقتتعت بيه وبعد فترة بسيطة يهرب ومتعرفش إيه إالى حصل وعشان إيه وغلطتها كانت فين " .

- " متزعلش .. أنتى حلوه وجميله ولسه صغيرة " .

- " كل حاجه قسمة ونصيب، الأسانسير نزل " .

هكذا سعد بنا المصعد للدور الثانى كى أعود لحجرتى بمساعدة الممرضة صغيرة السن التى لم تتخطى العشرين من عمرها وهى فتاة جميلة وخجولة توقفت بنا المصعد وغادرناه ومازلت أمسك حذاء الشاب صاحب العكاز وكانت المفاجأة أننا شاهدناه يقف فى الردهة وظهره لنا فأسرعنا إليه ووضع يدي على ظهره برفق قائلة:

.فردة جزمتهك نميتها تحت .. التفت نحوى بسرعة، فقد كان فى حيرة لفقده حذائه على ما أعتقد، فقد سبق لى أن جريت هذا الوضع منذ أكثر من سبعة أعوام نظرت للشاب بدهشة وكدت أسقط أرضا لولا مساعدة الممرضة نجمة التى احتضنتنى بينما سمعت صوت الشاب عاليا صارخا:

- " نسمة .. مش معقول .. نسمة " .. ضاع الصوت وسمعت صوت ارتطام على الأرض وأققت فشاهدت من كنت أحادثه، إنه خطيبي عادل

صاحب الحذاء والعكاز وقد سقط أرضاً فى حالة من الإغماء وبجواره العكاز وتجمع العديد من العاملين بالمستشفى ونقلوه لحجرة الإفاقة ومازالت الممرضة نجمة معى تشد من أذرى وهمست بأذنى:

- " إيه إالى خلاكى خفتى من الشاب أبو عكاز ؟ "

- " ياه يانجمة .. أنا مخفتش .. الشاب ده إالى كنت بأكلمك عنه من خمس دقائق ."

- " مين .. صاحب الجزمة إالى ف يدك هو إالى نزل النيل وجاب جزمتك ؟ "

- " أيوه يانجمه .. هوه بعينه ويقالى أكثر من سنه ماعرفش حاجه عنه وقابلته صدغه ."

- " ياه .. لكن إيه إالى خلاه صرخ ووقع فى الأرض ؟ "

- " أنا مندهشة، تفتكرى أنه خاف لما شافنى وكان عايز يفضل هريان منى ؟ "

- " أنا شايفه الدكتور جاى ناحيتنا وبابن عليه عايزك ؟ "

- " المهندسة نسمة ؟ "

- " أيوه يا دكتور ."

- " ممكن تتفضلى معايا ."

- " على فين يا دكتور ؟ ."

- " الشاب إالى جوه وأنقذناه من حالة الإغماء بيقول كلام غريب عنك وخايف منك ."

- " خايف .. خلاص خليه بعيد ومش عايزه أشوف وشه ."

- " وشه إيه وضهر إيه .. الشاب ده بيقول إنك متى فى الإسماعيلية وشافك وأنتى واقفه فى البلكونة يوم ما العمارة بتاعتكم إتهدت ."

- " ده شاب مخرف ."

- " حرام .. دا شاييل غلب الدنيا على رأسه .. تعالى معايا نشوف إيه إالى نخل فى عقله حكاية موتك ."

- " حاضر يا دكتور " .. هكذا رافقت الطبيب حتى الحجرة التى يرقد فيها عادل ودخلنا عليه فشاهدته يجلس على سرير الكشف وامتقع وجهه حينما شاهدنى وفرد ذراعيه راغبا بأن أبتعد عنه وتلثم فى الكلام متمسكاً:

- " إنتى نسمة بجد ؟ ."

- " جرى إليه يا عادل .. جأ بعد غياب منه بتمأل أنا نسمه وإلا واحده  
تانية " .

- " إعزىنى .. بقالى سنة بقرأ لك الفاتحة وأترحم على روحك بعد ما شففت  
بيتكم بيتهد ووصل للأرض وشففتك وأنتى فى البلكونه واقفه وتأكد ليا وللبقال  
أنكم كلكم تحت الأنقاض " .

- " جرى إليه يا عادل، ما تقول كلام يفتح النفس، ده كلام يقوله خطيب  
لخطيبته بعد فراق أكثر من سنة " .

- " آه صحیح .. حاضر .. الحمد لله أن إلی شفته السنة إلی فاتت  
مكنشى حقیقه وأنك لسه عایشه .. رینا یخلىكى یا نعمة ویشفیكى " .

- " ویشفیک یا عادل " .

- " طیب أنتى عایشه فین یا نعمة " .

- " عند عمتى فى بولاق " .

- " الله .. أيام زمان الحلوة " .

- " وأنت یا عادل " .

- " عند أختى فى روض الفرج " .

- إيه الفرص الحلوة دية .. طيب خلاص حنبقى على اتصال .. روح يا عادل دلوقتى "

- " مش عايز أسيبك يا نسمة "

- " معلىش يا عادل .. كلها كام يوم وأميب المستشفى "

- " طيب يا نسمة .. السلام عليكم "

- " مع السلامة يا عادل "

- " الله يسلمك "

غادر عادل المستشفى ومازلت فى حالة من الدهشة والفرحة المستترة، لقد عثرت عليه وتأكد لى أنه مازال يحبنى وراغباً فى ولم يبعه عنى سوى ما قاله بأنه اعتقد بأننى لقيت ربي، هل ما قاله هو نوع من تبرير موقفه وأنه غير صادق، لو حدث هذا فسوف تنتهى علاقتى به فأنا لا أستطيع الارتباط بشاب كاذب مهما كانت مبرراته لعدم قول الحقيقة.

ذهبت لحجرتى أستجمع شتات فكرى وأسيطر على مشاعرى التى شعرت بأنها جانحة غير متزنة ولهذا وجدت أن أحسن طريقة لعدم فضح مشاعرى المكبوتة هو الاختفاء بعيداً عن الناس، وعدم إضاءة أنوار الحجرة

حتى أستطيع أن أبحر فى خيالات السعادة والرومانسية التى بدأت تعود لتغزو قلبى وتطرد الأوهام السابقة بأنه قد تعلق بحواء أخرى بديلا عنى.

عادل :

ركبت التاكسى وأخبرت السائق بالعنوان المنشود، مار الرجل بشوارع القاهرة الفارغة من الناس نظراً لبرودة الطقس رغم أننا فى منتصف شهر إبريل لكن برودة الطقس كانت مسيطرة على درجات الحرارة، شعرت بأننى أخلق فوق زجاج السيارة الأمامى ويدا لى أن جناحين نباتاً لى وأننى أستطيع الطيران رغم أننى مصاب بقدمى ولا أستطيع السير كسابق عهدي، لقد شعر الله بحالتى تلك وزوونى بجناحين كى أستطيع الطيران والتحليق فوق حجرة نسمة فى المستشفى.

أشعر بأن عظام رأسى سوف تتحطم من كثرة التفكير والانفعال، هل حقاً أن نسمة مازالت على قيد الحياة، وهل نسمة هى التى تحدثت معها واقتربت منها وشممت رائحتها التى لا أخطئها أبداً، هل نسمة تعيش مع عمته قريباً منى بحى بولاق أبو العلا الرائع، هل ستعود حياتنا الجميلة ونلتقى معاً، ومن الممكن استخدام الأتوبيس النهري والتوجه لحديقة الأسماك أو كلية الهندسة أو حديقة الأورمان أو حديقة الحيوان.

سوف نستعوض متع العام الفائت الذى كنت أسير خلاله فاقد الرشد والإحساس من هذا الإحساس الجميل بعودة الحب الذى اعتقدت أنه ضاع

وانتهى، مازلت يا نسمة رقيقة جميلة تتشرين البهجة والسعادة على من حولك سوف أقوم بزيارتها غداً وأحمل معى العديد من عقود الفل التى تسعدها، رينا يسلم جروحك يا نسمة فمازلت الأربطة تحيط برأسها ورسغها الأيسر والله هو الشافى من كل مرض عضال.

سمعت صوت السائق ينبهنى بأننا وصلنا إلى العنوان، شكرته وتاولته الأجر وغادرت سيارة التاكسى وسرت حتى باب العمارة التى تقطن فيها شقيقتى فشاهدت زوجها والذى يقفان وهما فى حالة من التوتر وحينما شاهدانى أسرعاً نحوى يطمئنان على حالى، وأخبرانى بأن الأسرة أصابها التوتر حين العودة للشقة وعدم عثورهم علىّ واعتقد الجميع أن جروحى قد ألمتتى وتوجهت للمستشفى.

فى داخل الشقة وبعد تناول الطعام التفت الجميع من حولى كى يعلموا سبب مغادرتى الشقة طالما لست أعانى من أى شىء ورغم سوء حالتى الصحية وكان هذا بادياً على وجهى ورغم هذا فإن علامات السعادة والرضا كانت واضحة وسيطرت على مشاعرى وأحاسيسى، طلبت منى أمى أن أوضح لهم الأسباب التى تسعدنى وتببر وجهى والبسمة الصافية على الشفاة التى تشاهدها أخبرتهم بما حدث وبدت السعادة على الجميع بأن أسرة عم يونس بخير ولم يصب أحد منهم فى حادث انهيار العمارة.

توجهت لحجرتى ودخلت فى السرير والتحفت بالأغطية اتقاء البرودة ومازلت عيونى مفتوحة بظلام الليل الذى لم يبدده سوى عودة الحبيبة

ومشاهدتها، وسماع حديثها الشيق وأحلامى الوردية بأننى سوف ألقاها فى  
الغد أحمل بيدي عدد من عقود الياسمين والفعل لأضعها حول رقبتها  
الجميلة.



## كشف الغموض

نسمة :

اليوم التالي استيقظت من نومى وأنا فى حالة نفسية طيبة وراجعت أحداث الأمس وتأكد لى أن عادل بخير وكان فى زيارتى بالأمس لكن حديثه معى لم يكن مقنعاً بأنه شاهد العمارة تهوى أمامه، كيف حدث هذا ونحن نعلم بأن العمارة مازالت بحالتها، بل إن والدى كلف شقيقى محمود أن يتوجه للإسماعيلية ويذهب للشقة ليأتى لنا ببعض أغراض تخصصنا نحن فى أمس الحاجة إليها بديلاً عن الشراء.

انتهت جولة الطبيب على المرضى والجرحى والذى أكد لى أننى سوف أظل فى ضيافتهم يومين بعدها أغادر المستشفى إلى بيتى، حمدت الله بأن الجروح والخدوش والكدمات بدأ يقل تأثيرها كما خف لونها وهذا دليل على أننى أتمائل للشفاء، لقد تأخرت عائلتى على زيارتى هذا اليوم لعل المانع خير مازالت زيارة عادل لى بالأمس تثير مشاعرى وأشجانى، لقد استطاع بأسلوبه المرح أن يدخل السرور إلى قلبى، لقد ضحكت حينما أخبرنى بالأمس وأنا أناوله فردة حذائه بقوله:

- " بقت بصره يا نسمة بس بعد سبع سنين ! " .

الحمد لله أشاهد أبى وأمى وشقيقى محمود قادمين والسرور بادياً على الوجوه، تبادلنا الحديث الطيب وكانت مفاجأة لهم حينما أخبرتهم بزيارة عادل

لى بالأمس وما كان عليه لإصابته فى قصف الطيران الإسرائيلى لمدرسة بحر البقر، وأيضا ما أخبرنى به بأنه شاهد العمارة التى كنا نقطن فيها بالإسماعيلية قد تهاوت أمام عينيه حينما توجه لزيارتى صبيحة استشهاده الفریق عبدالمنعم رياض.

نظر إلى شقيقى محمود وهو يردد :

- " فعلا يا نسمة، البيت بقى كوم تراب، البقال إالى قدام البيت كان فاكرنا كلنا فى البيت وأن العمارة سقطت فوق رؤسنا، وعرفنى بأن عادل كان موجود وفضل يصرخ ويحاول يحفر بين ردم العمارة ويدور عليكى وأصيب بحالة عصبية والناس هدأت من روعه، يعنى إحنا مشينا من هنا وبعدها بساعة كانت العمارة كوم تراب، الناس لما عرفت أننا سيبنا العمارة قبل ما تتهد كانوا مبسوطين وطلبوا منى أروح مكتب الشئون الإجتماعية فى المحافظة وأبلغهم إننا لمسه أحياء.

كان شقيقى محمود يقص علىّ تلك الرواية ودموعى تتساقط على خدودى تأثراً لما حدث، لقد تدمر بيتنا الذى به ولدت ونشأت ولم تعد هناك ذكرى حقيقية مُجسمة متبقية أستطيع أن أقوم بزيارتها من وقت لآخر، وتأكد لى أن ما قاله عادل كان حقيقة ولهذا لم يبحث عنى فقد شاهد العمارة تتهاوى وكان يعتقد أننى كنت أقف فى البلكونة حينما شاهد بعض الملابس القديمة التى اقترحت جارتنا بأن نضعها على حبل فى البلكونه كى نعطى

إيحاء بأن الشقة بها أناس يسكنون بها كي نبعد بعض اللصوص عن سرقتها.

غادرت عائلتي المستشفى بعد انتهاء الزيارة وحالة الاطمئنان التي شملتهم من رؤيتي وأنى بخير وفي تحسن مستمر، جلست ساكنة هادئة، روادتي أفكار كثيرة متضاربة عما علمته من عادل بالأمس وما زودني به شقيقى محمود من معلومات والتي شاهدها وسمعتها من محيط العمارة بالإسماعيلية، لقد كان عادل مظلوماً واعتقد أننى كنت أقف بشرفة المسكن وحينما تهاوت العمارة تأكد له أننى لقيت ربي، فقد جاءه اعتقاد بأننى أقف فى الشرفة بعد أن زوده خيالة بأننى أقوم بنشر الغسيل.

تدبرت حكمة الله فى خلقه، فلو لم يأت شقيقى محمود قبل ترك المدينة بيومين ويصر على أن نغادرها لكننا منذ ما يزيد عن عام موتى تحت أنقاض العقار الذى تقيم فيه الأسرة، لا يعلم الغيب إلا الله فقد حاول شقيقى محمود أن نستجيب لرجائه لأنه حصل على إجازة يومين من المستشفى الذى يعمل فيه لهذا الغرض بينما والدى كان يرغب فى أن نؤجل عملية التهجير إلى نهاية الشهر، لقد استطاع إقناع أخى محمود بهذا، وبعد أن غادر شقيقى المنزل متوجهاً إلى القاهرة عاد ثانية بعد أن قطع جزءاً من الطريق ليعيد رغبته السابقة مضيفاً أنه يشعر بعدم الأمان ولو حدث تأخير لا يعلم أحد ما سوف يحدث إلا الله.

أقول الحمد لله على ما حدث وأيضاً أترحم على مَنْ لم تسعفه الأحوال والظروف بأن ينجو بأسرته من لهيب الانفجارات والخسائر البشرية والمادية التي كانت تحيط بنا من كل جانب، لقد استطاع العدو أن يهرب الناس في مدن القناة وأن يحولها إلى مساكن فارغة خربة، وقد خلت من ساكنيها حيث كنت أشعر بهذا وأنا أسير في شوارع المدينة متوجهة لعملى بهيئة قناة السويس، قبل التهجير فلا أجد أى حياة أو بشر وقد غرب التفاؤل بغروب الناس عن المدينة.

جلست ساكنة فى حالة من الهدوء الشامل مقتنعة بأن الإنسان مُسير لا مخير فى حالات كثيرة، كنت فى شوق لقدوم عادل لزيارتي رغم أننى عرضت عليه ألا يأتى نظراً لظروف إصابته ولكنه كان مصمماً على القدوم لزيارتي وقد أسعدنى هذا رغم تأثرى بما سوف يتحملة من الأم، أثناء جلوسى وحالة التخدير والانفراج التي شملتني سمعت بعض أصوات خارج الطرقة المؤدية لحجرات المرضى، توقفت الأصوات العالية قريباً من باب الحجرة وشعرت بأن زيارة قادمة لى لأن الأصوات القادمة صادرة من نساء وفتيات.

شاهدت الممرضة المسؤولة تفتح باب الحجرة تستأذن فى دخول زيارة خاصة بى وكان وجهها الباسم ينبأ عن سعادة وفرحة بمن قدم، ظهرت أولى القادمات : سوزان صديقتى التى رافقتنى إلى المنوفية، أقبلت فرحة سعيدة وقبلتني وكانت تحمل باقة من الزهور الجميلة وخلفها باقة من أجمل زهرات كلية الهندسة، فى تلك الدقائق نالني من التحية وتقدير الفتيات

العشء الكثير وملأت الفتيات الغرفة وقرفا قلم تسع الكراسى الموجودة هذا العدد الذى تزايد بعد عدة دقائق، وكان طالبات الكلية والخريجات من دفعتى قد قررن القدوم لتقديم التهنة بسلامة النجاة من هذا الحادث.

لقد علمن جميعاً بالخبر من القناة التليفزيونية مثلما حدث مع عادل، ولهذا قررن جميعاً العودة من الكلية للقيام بهذه الزيارة، وقد شجعهن عميد الكلية ولقيف من الأساتذة الذين كانوا راغبين فى القدوم لتقديم واجب التهنة بالنجاة لإحدى طالبات الكلية، ولكن حدث نوع من الخجل بأن يقوم الرجال بزيارة فتاة مريضة كانت مشاعر الجميع عالية وكل مَنْ قدم لزيارتى أشعرنى بأن مصر كلها تطمئن على حالى ويتمنون لى الشفاء العاجل.

بعد فترة انصرفت الصديقات من أجل تركى بمفردى للحصول على الراحة من عناء الانفعال الذى رافق زيارة الصديقات، تخلفت عنهم واحدة هى كريمان التى عرفتنى بنفسها فى بداية الزيارة، عادت وجلست قريبة منى تنظر إلى بنوع من الحنان الزائد ثم لمعت عيونها الجميلة واندفعت فى البكاء وألقت بصدرها على صدرى تؤنب نفسها على ما اقترفته نحوى، حاولت أن أهدأ من انفعالها لكنها تحدثت وباليتها لم تتحدث:

- " متزعليش منى يا نسمة، أنا كنت فاكركه الحكاية خناقة بنكم وكل واحد راح فى سكه اختارها بعيد عن سكة التانى " .

- " بنتكلمى فى إيه يا كريمان ؟ " .

- " إنتى وعادل، لما سألت عادل عنك لقيته سكت ومجوبشى وكان مفيش حاجة كانت بينكم ".

- " وإنتى قابلتى عادل فىن ؟ "

- " فى الكلية لما جه عشان يزور بعض دفعته من المعيدىن ".

- " طيب الحكاية كده مفيهاش حاجه تخليكى تعيطى وتزعلى بالشكل ده إلا إذا كنتى حاولتى تلفى حبالك عليه يا كريمان ؟ "

- " ده إللى حصل، قلت فرصه أن عادل ونسمة سابوا بعض، الحقيقة كنت بأفكر فى عادل قبل ما يتخرج، كانت قصة حبكم مسيطرة على البنات فى سنة أولى من أول يوم دخلنا الكلية، كان الأمير وسندريلا قدامى حقيقة مش حكاية فى كتاب، عشان كده بنات كثير كانوا معجبين بعادل كمان ولاد كثير كانوا معجبين بيكى لكن الولاد كانت قدامهم مشكلة إنك أكبر منهم، وهما عارفين إن لو حاول واحد فيهم يتقرب منك ح تقولى عليه أنه لسه عيل ".

- " عشان كده لقيتى الملعب فاضى قدامك فنزلتى تلعبى فيه ؟ "

- " بكل قوتى وتأثيرى نزلت ولزقت فى عادل وكان حالته مش طبيعى ".

- " إزاي .. ؟ "

- " يعنى طول فترة لقائنا مسمعتوشى بيحب سيرتك " .
- " وصلت العلاقة بينكم لفين وإلا ح تنكسفى تقولى ؟ " .
- " لا كمسوف ولا حاجه، علاقة صداقة بينا وعلاقة منفعة من ناحيتى، خليته يعملى مشروع التخرج وتعب فيه " .
- " والمقابل ؟ " .
- " وعد بالجواز " .
- " هوه إللى طلب ده ؟ " .
- " لا بالطبع .. أنا رسمتها فى خيالى، أخرج وبعدين أشتغل مع بابا وهو بيشتغل مقال، وبعدين العريس موجود " .
- " كريمان بطلى اللأرف إللى بتقوليه ده " .
- " لأ .. لازم تعرفى الحكاية " .
- " كملى يا خطافة المهندسين " .
- " الله يسامحك .. آخر مره قابلت عادل تكلمت معاه وقلت له إزاي تتقلب على حبك لنسمة مرة واحدة، كانت إجابته صائمة ومفاجأة ليا " .

- " قال إيه ؟ "

- " بدون زعل .. نعمة ماتت "

- " ده إللى حصل يا كريمان !! "

- " بتقولى إيه ؟ "

- " بأقولك ده إللى حصل فى فكر عادل ومش فى الحقيقة .. الحقيقة بتقول ..

- " ياه .. الحكاية كده، معزور عادل دا أنا بهدلته وكنت فاكره إنه غضبان منك وعشان كده فكر فى حكاية الموت "

- " لا يا ستى .. إنتى عرفتى إللى حصل، بسرعه روحى لعادل ورجعوا إللى فات "

- " لا يا نسمة، أنا بأحبك خالص ومنتهى سعادتى أنى أشوفك مع عادل وترجعوا لينا أيامنا الجميلة إللى فاتت "

- " يعنى شيلتى عادل من تفكيرك ؟ "

- " مين ؟ ! .. عادل ؟ ! "

- " صباح الخير يا نسمة .. الله .. كريمان .. إزيك وإزاي حالك ؟ "

- إنت تعبان كمان يا عادل، يعنى نسمة تتعب وأنت كمان .. ربنا يخليكم لبعض .. أسيبكم وربنا يفرحنا بيبكم قُرب.

هكذا غادرت كريمان المكان، لقد غادرت حواء التى كادت أن تقضى على حبنا دون أن تدرى لفهم خطأ لأسباب عدم اتمام زواجى بعادل، جلس عادل أمامى وبدأ عليه التوقع بأن أحادثه فى موضوع كريمان ولكننى لم أفتح تلك الصفحة حتى عندما تساءل عن علاقتى بكريمان أخبرته أنها جاءت مع بعض فتيات الكلية لزيارتى.

صمت عادل وشعر بأن بداخلى شىء خاص لا أريد البوح به، يكفينى أن عادل ظل يحبنى حتى لو ظلت قصته مع كريمان لتركها بمجرد أن علم بأننى مازلت على قيد الحياة، ألم يتجشم عناء زيارتى بالأمس وهو على تلك الحالة ألم يأتى لزيارتى اليوم معتمدا على العكاز حتى يستطيع السير، ألم يحمل كل تلك العقود من الفل والياسمين والتى ملأت الحجره بعطرها، أشعر بأنه يحاول وضع بعض تلك العقود حول رقبتى، ينظر إلى الآن وعينيه تقولان أشياء جديدة أضع كف يدي بينى وبينه فقد يقلت الزمام ونحن بداخل المستشفى.

أشاهده يحاول الجلوس على الكرسي القريب من السرير الذى أرقد عليه ينظر إلى بنظرات تتحدث أكثر مما تسمع، يمسك يدي بيده يحاول أن

يدلكها بليوننة مثل الماضى، أشعر بارتفاع فى درجات حرارة جسدى، رأسى  
تميل لأحد الأجناب، ازداد خفقان قلبى وتوتر حالى، أحاول التنبه من هذا  
المخدر العاطفى أمسك يده بقوه شبه صائحة:

- " فطرت يا عادل ؟ "

- " أيوه .. سندوتشات الفول بتاعة عم عجة بتاعة زمان .. آخر حلالة ..  
عشان كده اللفة إالى معايا فيها كام سندوتش من بتوعه "

- " مش معقول، شوقتى لها، فإكر لما كنت بتجيب ليا معاك السندوتشات  
دية كل يوم وخليت عمى تزعل منى عشان مبطرشى معاها ؟ "

- " السندوتشات تستحق ؟ "

- " إلا تستحق .. دى هايلة "

- " يخرب عقلك .. دا إنتى إالى هايلة "

- " لساك مجنون يا عادل "

- " أكيد .. تفنكرى المجنون يحب مين "

- " يحب واحده عاقلة عشان الحياة تمشى وإلا لو اتنين مجانيين اجوزوا  
بعض ح يسكنوا فى السرايا الصفرا "

- " تعرفى يا نسمة، السرايا الصفرا معاكى أحلى من سرايا عابدين من غيرك ".

- " كده .. ؟ ! ".

- " أيوه كده ومليون كده ".

- " يعنى مكنش فيه لعب بالدليل ؟ ".

- " ديل .. ديل إيه .. أنا من غير ديل .. تعرفى اسمى إيه دلوقتى ؟ ".

- " اسمك إيه .. عادل الأزعر ؟ ".

- " يخرب عقلك يا نسمة .. صح ".

- " إيه السبب .. باين عليا إنى من غير ديل ".

ظل الحوار الضاحك الباسم يدور بيننا إلى أن أقبلت المشرفة على الجناح تطلب من الزائر المغادرة والقدوم باكر لأن هناك زيارة هامة سوف تتم بعد دقائق، أسرع عادل بمصافحتى وطبع قبلة حانية على خدى الأيمن جعلتنى أصعد بمشاعرى حتى التصقت بسقف الحجرة، وخشيت أن تأتى الزيارة المهمة ويشاهدوننى ملتصقة بالسقف مثل بعض الكائنات.

بعد أن غادر عادل الحجرة حاولت استعادة بعض لمسات وثنان جميلة رقيقة أثناء زيارته، كانت الجرعة كبيرة سواء من قنومه ومشاهدتى له قادماً يتحرك بصعوبة على العكاز أو من رؤية عقود الفل والياسمين أو من العطر الشذى الذى غزا الحجرة، ثم تلى هذا حديثه الممتع الذى أشعرنى خلاله بالصيبانية وصدافة الشباب وحينما تذكرت اسمه الجديد عادل الأزعر اندفعت فى الضحك لكن قطع على سعادتى وصول رئيسة التمريض مهرولة منتقعة الوجه تطلب منى بإشارة من يدها بأن أكف عن الضحك وألتزم الصمت ثم تلا هذا رهط من الرجال يرتدون ملابس أنيقة وأحدهم تحدث:

- " حرم السيد نائب رئيس الجمهورية " .

شاهدت مجموعة من السيدات تتوسطهم سييدة جميلة علمت أنها السيدة (جيهان) حرم نائب الرئيس (محمد أنور السادات) التى أقبلت نحوى مصافحة ثم مالت على وطبعت قبلتين بالتوالى على الخدين متمنية لى الشقاء العاجل وسألتنى من المطلوب من الدولة كى تلبى لك حاجتك، قدمت شكرى لها ولمن حولها بعدها غادرت الحجرة لاستكمال زيارة بعض المرضى.

## أسبوع غسل

صباح كل يوم يأتى عادل لزيارتي ويظل جالسا معى ومازالتم قدمه يحيط بها الجبس والعكاز فى يده مما ساعده على أن يثنيه أحد عن الزيارة أو الجلوس لفترات طويلة، اعتدت على تلك الزيارة وسماع حديثه الطيب الذى اعتدت عليه منذ ثمانية أعوام، اعتدت على تناول سندوتشات عم عجة كل صباح مثل فترة الدراسة، لقد سار بى عادل فى طريق محدد لا نبتعد عنه أبداً.

كان هذا دأبنا اليومي من استخدام الأتوبيس النهري فى الذهاب للكلية والعودة منها، وأيضا تناول طعام الإفطار معا بداخل كافيتريا الكلية من سندوتشات مطعم عم عجة والتي كنت أشعر بالجوع حينما يأتى إلى حاملا تلك السندوتشات حيث كانت رائحتها تسبق طعمها، مما جعلنى فى عجلة من أمرى لتناول تلك السندوتشات، ثم يعقب هذا تناول كوب الشاي الماسخ فى الكلية.

كنت أشفق على عادل من تحمل تلك المصاريف اليومية لكنه لم يتذمر وكان دائماً كريما لدرجة أننى شعرت أن والده ميسور رغم حديثه بأنهم عائلة على قدر الحال مثل باقى العائلات المصرية، وكنت فى دهشة من كيفية توفير تلك الأموال للإنفاق علينا معا، حتى جاءت الصدفة كى تبين لى كيف وفر عادل تلك النقود كى نتمتع معا.

أحد الأيام وأثناء عودتنا من الكلية ترك عادل معى أحد الكشاكيل سهواً والخاصة به والتي يدون فيها الطلاب بعض الملاحظات أثناء الدراسة اكتشفت هذا الكشكول بعد عودتى لمنزل عمتى ونظراً لأننى أعلم أنه كشكول ليس ذات قيمة فى المذاكرة والتحصيل فلم أهتم به وسوف أعيده له فى الصباح الباكر أثناء لقائى به فى الأتوبيس النهري.

أثناء تقليب صفحات الكشكول شاهدت ورقة صغيرة عبارة عن خطاب موجه من أحد تجار الخضار بالعبئة إلى تاجر الخضار بروض الفرج المعلم عوض، وعلمت أنه زوج شقيقة عادل والذي جاء اسمه على لسانه أكثر من مرة، كان الخطاب يوضح لزوج شقيقة عادل بأن البضاعة وصلت له وقام الشيال (عادل خاطر) بنقلها لداخل المحل كعادته كل أسبوع، وأنه قام بدفع أجره وفى نهاية الخطاب قدم شكره للمعلم عوض بروض الفرج.

جلست حزينة لبعض الوقت بأننى تسببت فى أن يعمل عادل كل يوم جمعة كشيال بسوق الخضار كى يقوم بالصرف عليا، وهذا ما جعلنى أستنتج بعض ملاحظاتي عليه كل صباح سبت حيث يكون مرهقاً ووجهه شاحب، لقد كان يعمل طوال يوم الجمعة وهذا ما دفعه كى يعتذر عن لقاءتنا يوم الجمعة متعللاً بزيارات عائلية.

كادت الدموع تفر من عيني لكنى تماسكت وقررت صباح الغد ألا أتناول الفطار معه ولن أجعله يقوم بالصرف والإتفاق علي كما اعتاد فمعى نقودى أوفرها كى أرتدى بعض ملابس إضافية حينما نخرج معاً للنتزه

فى بعض الأوقات، لن يتكرر ما حدث ولن أدفع بهذا الشاب الطيب الشجاع بأن يضحى برحاته يوم الجمعة من أجل الحصول على بعض القروش تكفى بالكاد نفقاتنا خلال الأسبوع من تناول سنتدوتشات عم عِجَه وشرب الشاى.

صباح اليوم التالى نسيت ما قررتَه بالأمس ولم أتذكر أى شيء إلا بعد أن تناولنا المنتدوتشات وشربنا الشاى، فسمعتَه يتسائل هل نسى معى بالأمس كشكوله، حينئذ تنبّهت وكاد لسانى يخبره بما قرأته وفهمته ونويته من قرار لكن حياىى منعى من هذا خشية غضبه وزعله، ناولته الكشكول وشعر بسعادة ثم شاهد الورقة الصغيرة وضحك وناولها لى كى أقرأ ما بها وأصابتنى الدهشة من تصرفه.

علق ضاحكاً أثناء قراءتى المصطنعة للورقة بأنه اعتاد أن يقوم على معاونة زوج شقيقته كل يوم جمعة كى يفسح له الوقت للراحة أو التنزه مع زوجته التى هى شقيقته، ومن أجل هذا كان يسرع إلى وكالة خضار المعلم عوض ويتعلم العمل ويقوم بأعمال كثيرة، ومن بينها حمل بعض الأجوّلة فى حال تغيب أحد الشيايين مما دفعه للضحك على تلك الورقة التى سلمها له التاجر صديق زوج شقيقته بعد أن نفحه ربع جنيه نظير تفريره حمولة عربية نصف نقل تحمل أكثر من عشرين جوالاً ممتلئة بالبصل، كنت أنظر له والدموع فى عينى والبسمة على شفتى، سواء من صراحتة أو من سمو ورفعة أخلاقه بمعاونة زوج شقيقته وما حدث مع التاجر الآخر.

بعد وصولنا للكافتيريا وجلوسى انتظارا لالتهام سندوتشات المعلم عجة  
ووجه عادل يشع شباباً وحيوية، بكلمات قليلة وابتسامة عريضة انحنى قريباً  
منى وسلمنى التموين اليومى من السندوتشات، اقترب منى قليلاً فائلاً:

- " الحلوة تحب تتفصح الجمعة الجاية بالقناطر ؟ .. ضحكت ونظرت إليه  
متسائلة :

- " مافيش شغل فى الوكالة الجمعة دية وإلا ناوى توصل خضار هناك  
وتشيلنى على العربية النص نقل ؟ .. ضحك بملئ فيه وهو يدق على  
طاولة الكافتيريا مردداً :

- " جوز أختى قالى خد الجمعة الجاية أجازه يا عادل وروح شوف أبوك  
وأمك ."

- " إيه يا عادل .. إنلخبطت بينى وبين باباك ومامتك ؟ ."

- " لا يا نسمة .. أنا قلت له أنا ح أنفصح مع زميلتى إالى ناوى أجوزها  
عشان كده ضحك وناولنى جنيه بحاله لزوم الفنجرة ."

تنبهت من أحلام الماضى الوردية ومن تصرفات عادل التى هى خليط  
ما بين الصبيانية والشجاعة على وقوفه بجوار السرير وهو يردد :

- " يا حلو صبح يا حلو طُل " .. ابتممت فى سعادة لثوب الطفولة الذى يرتديه حينما يلقانى ونظرت إليه ورفعت يدي إليه كى يصافحنى ويعلمنى السندوتشات لكنه قبل يدي بسرعة مما دفعنى للضحك مرده :

- " ح تفضل مجنون " .

- " لما بأشوفك بس " .

- " طيب وبعدين يا عادل، لما نجوز ح نعمل إيه ؟ " .

- " ح نعمل جميعة عشان نجيب تلاجة " .

لم أستطع التماسك وضحكت حتى ظهرت الدموع فى عيوني .. جلس عادل على الكرسى المجاور للسرير وقدم هدية الصباح من سندوتشات عم عَجَه وعقود الفل.

ظل هذا حالنا لدرجة أننى تمنيت أن أظل فى المستشفى وأن يتوقف بى الزمن عند هذا العمر ولا يتحرك يوماً آخر للأمام ولكن الأمنيات شىء والحقائق شىء آخر، قررت إدارة المستشفى مغادرتى وقرر الطبيب المعالج منحى إجازة خمسة عشر يوماً أعود بعدها للمستشفى للفحص من حال الإصابة.

كان عادل قد حصل على إجازة مرضية ثلاثة أسابيع ولهذا قررنا أن نتمتع بتلك الإجازة الجميلة، اتفقنا أن نبدأ باستعادة الأيام الجميلة ورحلة الكلية وبدلاً من التوجه للكلية نتجه إلى حديقة الأورمان يوماً وحديقة الحيوان يوماً آخر وحديقة الأسماك يوماً ثالثاً، خلال تلك الزيارات شعرنا بعودة الروح إلى نفوسنا وعودة دماء الحب المتدفق إلى الأوتار والشرابيين.

عادل :

أثناء جلوسى مع نسمة فى حديقة الأسماك الجميلة اقتربت من أنها وأصرت لها بما أرغب فى الحديث عنه :

- " نسمة .. إيه رأيك إننا نكتب كتابنا ونجوز ؟ "

- " إيه .. بتقول إيه يا عادل .. نجوز .. يعنى دخله . "

- " أبوه يا حلوه .. دخله وهيصه وفرقة السمسمية وممكن رقاصة . "

- " قول كده .. عايز تشوف رقاصة ؟ "

- " يخرب عقلك .. عشان أشوف رقاصة أحط إيديا فى الكلبشات . "

- " كده يا عادل .. أنت شايف بتتنا بقى قسم بوليس وأنا الشاويش عطية ؟ "

- " ياه يا نسمة .. لو فعلاً شاويش البوليس حلو زيك كانت الناس تروح كل شوية تقعد فى القسم ".  
.

- " إيه حكاية الجواز دية وإيه إللى دخلها فى دماغك ؟ ".  
.

- " إحنا مخطوبين وح بييجى يوم نجوز .. مظبوط ؟ ".  
.

- " مظبوط .. بس ده بعد إزالة آثار العدوان إللى الرئيس جمال قال عليها ".  
.

- " موت يا حمار ".  
.

- " كده يا عادل .. بتشتمنى ؟ ".  
.

- " أنا بأكلم الحمار صاحبى .. شفته عند واحد دفعتنا فى الشرقية .. عزازى فكراه ابن الشرقية الواد العترة أبو الكرم ؟ ".  
.

- " أبوه فكراه .. خلىنا فى حالنا ".  
.

- " بأفكر أروح أقعد مع باباكي ونتفق على كل حاجه وفى ليلة واحدة نكتب كتابنا ونجوز ".  
.

- " نجوز فين ؟ ".  
.

- " فى أى حتة .. إيه رأيك فى الأتوبيس النهري ؟ "
- " مجنون .. صحيح فين يا عادل .. بابا ح يمسالك السؤال ده . "
- " ناجر شقة صغيرة وكل شهر نشترى حاجه ولما أخذ الإجازة من الجيش نروح الشقة ونقضى الخمس تيام الإجازة مع بعض . "
- " مش عارفه يا عادل بابا ح يوافق ولا لا ؟ "
- " نسأل ونشوف .. بكره آجى أزوركم . "
- " خليها النهاردة بالليل . "
- " ماشى كلامك يا جميل . "
- " إيه حكاية جميل دية . "
- " خليها قمر . "
- " الأحسن خليها نسمة يا عادل . "
- " حاضر يا نسمة .. على فكرة فيه أغنية بأحبها وكل ما كنت بأسمعها بافتكر .. تحبى تسمعها ؟ "
- " عادل .. بلاش تهور .. حد يسمعك يفكر أن فيه غارة جوية . "

. لا اسمها غارة قلبية .. بس إسمعى :

يا نسمة فى خيالى ... راعيتها فى فؤادى

جنت عليها الليالى ... وأزيتها الأيادى

وشاغلتها العيون ... فمات سحر الجفون

ضحكت من قلبى لمحاولة عادل تقليد الفنان فريد الأطرش الذى كنا ننتظر موعد الحفلة السنوية التى سوف يحييها بمناسبة عيد الربيع نهاية الشهر، لقد دخلت كلمات الأغنية قلبى وأثرت على جوارحى رغم أننى سمعتها قبل ذلك مئات المرات لكن بصوت عادل الحبيب كان وقعها حالماً ساحراً، تحركنا للعودة للمنزل وسوف أنتظر قدوم عادل فى المساء للقاء والدى وقبلها سوف أمهد له الغرض من تلك الزيارة.

فى داخل المنزل استقبلتتى كل من أمى وعمتى بالبهجة والترحاب وأشادت بحالتى النفسية والصحية، وأن تنزهى مع خطيبى عادل انعكس على معنوياتى مما دفع عمتى إلى التسائل عن التوقيت الذى ينتوى فيه عادل التقدم لشقيقها يونس كى يتم المراد بعقد القران وبعدها بوقت بسيط يتم الزفاف، كانت ملاحظة عمتى شديدة التأثير على نفسى وعلى كيفية عرض إتفاقى مع عادل على الزواج.

لاحظت كل من أمى وعمتى أننى صمت بينما ملامح وجهى فضحت مشاعرى وأحاسيسى حيث ابتسمتا معلقتان بأن (الهوى جه سوا) وهذا يعنى

أن ماقالته عمى لقى ترحيباً من ناحيتى، ضحكت وأخبرتةما بما قاله لى عادل اليوم أثناء تترهنا ونيتة الحضور مساء للقاء والدى والتحدث معه مما دفع بامى إلى إطلاق زغرودة أنعمت فوادى وجعلت عمى تضحك وتصفق بيدها دليلاً على السعادة، مُعلقة بأن تلك الزغرودة لم تتطلق بمنزلها منذ زواج آخر ابنة لها منذ عشرة أعوام.

هكذا أصبح الطريق معبداً أمام عادل وسوف تقوم كل من عمى وأمى بمناقشة هذا الموضوع مع والدى بعد عودته من العمل بعد قليل، فقد قاربت الساعة على الثالثة مساء وهذا توقيت حضوره من عمله بمنطقة إمبابة، فى داخل حجرتى سمعت صوت والدى يلقى بتحيته على كل من أمى وعمى وكانت إجابته بصوت عال يدل على السعادة والفرحة، مما لفت نظره لهذا وتسائل هل هناك أخبار طيبة وراء وجهكم المضىء وأيدنا قوله فتركهم لحجرتة مردداً :

- " نقعد نتكلم بعد الغدا " .

تناولنا طعام الغداء وكان الحديث الدائر بيننا يغلب عليه المرح كما ارتفعت الأصوات بديلاً عن الهممات التى سيطرت على الأسرة منذ حادث إصابتى بقصف الطائرات الإسرائيلية فى مصنع أبى زعل، كانت تلك ملاحظتهم جميعاً، انتهينا من طعامنا ورفعت الأوانى وحل محلها صينية الشاى بينما تركتهم وأسرعت لحجرتى كى أعطى لهم الفرصة يتحدثون فيما بينهم ويقررون ما سوف يحدث بخصوص القران والزفاف.

المعلم يونس (أبو نسمة) :

بداخل الصلاة الكبيرة جلست أحتسى كوب الشاي بعد أن تناولت طعام الغداء، بعد قليل أقبلت كل من زوجتى سهام وشقيقتى سعاد وجلستا معى وأمسكت كل واحدة منهن بكوب الشاي ثم بدأ الحديث بيننا بخصوص نسمة :

- " النهاردة يا أبو محمود نسمة خرجت مع عادل من الصبح زى ما عرفتك، جت من ساعة وقعدت معايا ومع عمته سعاد واكلمت معانا فى موضوع جوازها ".  
موضوع جوازها ."

- " صحیح يا خويا، فضلت أنا وأمها نخرج الكلام منها بالعافية لحد ما عرفتنا إن عادل جاى يقابلك الليلة عشان يحدد معاد كتب الكتاب والدخلة، إيه رأيك يا أبو محمود ؟ ".  
إيه رأيك يا أبو محمود ؟ ."

- " خير .. كل إلی یحبیه رینا خیر .. والحاجات اللى زى دى مش عايزه مطمطه ولكاعه، وإحنا أتھجرنا وسيينا بلادنا، البنات عليهم خوف اليومين دول وكمان معدش فيه جواز، حالة البلد صعبة والشباب كله فى الجيش بيحارب ".  
بيحارب ."

- " صحیح يا أبو محمود .. خلاص رتب ورقك عشان لما بيحى عادل تنهى الحكاية، وبلاش تضغط عليه فى المصاريف والطلبات ".  
تنهى الحكاية، وبلاش تضغط عليه فى المصاريف والطلبات ".  
- " طلبات إيه يا أم محمود، هو فيه فلوس بايتة وفاضله عند حد اليومين دول، كل الحكاية ح يجوزوا فين، دى كل المشكلة إلی قدامى ".  
دول، كل الحكاية ح يجوزوا فين، دى كل المشكلة إلی قدامى ."

- " ما يهكمش يا خويا من ناحية الموضوع ده، أنت فاكر الشقة إल्ली فى الدور الرابع إल्ली كان المرحوم جوزى أبو البنات مخليها للضيوف، بأقول يدخلوا فيها عشان منكلفهمشى إيجار ومصاريف ".  
 - " ربنا يخليكى يا سعاد، ح تشيلى إيه وإلا إيه ".  
 - " نعمة دى بنت من بناتى وخيرك سابق علينا يا أبو محمود، المهم نشوف نسمة ح توافق على الحكاية دية وإلا لها رأى تانى ؟ ".

\*\*\*

فى المساء أقبل عادل واستقبلته أسرته بكل ترحاب ومودة، جلس مع أبى وخلال هذا الوقت تناولا مشروباً ساخناً وتحدثا لفترة قصيرة سمعت بعدها صوت أبى ينادى على من فى المنزل للجلوس معه ومع عادل وبالطبع كنت أحد هؤلاء، جلسنا جميعاً بداخل حجرة الصالون وكان بادياً السعادة على وجه عادل والراحة والسرور على وجه أبى الذى تحدث وأطلعنا على ما دار من حديث بينهما والإتفاق الذى تم والذى انحصر بأن عقد القران سوف يتم بعد غد فى شقة عمته بحضور الأسرتين بعدها أسافر مع عادل إلى الفيوم لقضاء عدة أيام نعود بعدها كى نستقر فى شقة عمته التى كانت مخصصة فى الماضى لاستقبال الضيوف.

تبادلنا التهانى ونهضت كل من عمته وأمى وأشبعانى بقبلات طيبة حنون كما قدمنا تحيتهما إلى عادل مشفوعة بالدعاء بأن يوفقنا الله ونحيا معا وننجب البنين والبنات بعد عودتنا إلى مدننا التى تم تهجيرنا منها قسراً بأمر الحكومة دون رغبتنا خشية حدوث إصابات بيننا كما حدث مع العديد من أهالى مدن القناة.

فى تلك الليلة لم يغمض لى جفن، لقد أصبح الحلم حقيقة وكلها يومان وأصبح مع عادل بمفردنا ويغلق علينا باب واحد، كيف سأجابه هذا الموقف، لقد تعدت العلاقة بيننا لثمانية أعوام وخلال تلك الفترة لم يقبلنى إلا منذ عدة أيام حينما لسم خدى وأنا فى المستشفى، سوف يصبح زوجى وسوف يشاهد جسدى الذى أحفظه أسفل ملابسى تلك، ويرانى كما لم يرانى أحد من قبل، كيف سيحدث هذا ؟ ! .. أنا فى حالة من الاضطراب والخوف.

أسرعت وتيرة الزمن، اليوم التالى أحضرت عمى إحدى النساء التى تقوم على نظافة الشقة من الأتربة وقامت السيدة بعملها خير قيام تحت إشراف عمى وأمى، بل وقدمتا مساعدتهما لتلك السيدة التى أطلقت بعض الزغاريد حينما علمت بالمناسبة وبعد الانتهاء من عملها أشعلت عمى بعض أعواد البخور منعا للحسد والعيون الشريرة كما قالت.

لا أعلم ما حدث بعد هذا حيث كُنت شبه مسحورة وأنا أرئدى فستان جميل وليس زفاف، فالموقف والأحداث لا تتاسب وشاهدت المآذون وعائلة عادل والسعادة بادية على الوجوه، بعد الانتهاء من عقد القران والكلمات الضاحكة الباسمة المتبادلة بين العائلتين غادرت المنزل مع عادل نحمل حقيبة ملابسنا، ثم أشار إلى سيارة تاكسى أقلتنا إلى منطقة قريبة من محطة مصر يطلق عليها اسم القللى، هناك صعدنا لأحد الأتوبيسات الكبيرة المتميزة عما كنا نركبه فى مدن القناة، سار بنا الأتوبيس فى طريق غير معلوم، تعدى الوقت موعد الظهيرة لأن عقد القران تم فى العاشرة صباحا نظراً للحالة التى عليها الوطن والتى تمنع فى بعض الأحيان الإضاءة ليلا

خشية طائرات العدو، كنت أشعر بعادل من حين لآخر وهو يظهر سعادته  
بى بكلمات قليلة طيبة تدل على حبه وسعادته بما تم.  
أشعر بأننى مازلت مخدرة لدرجة أن عادل تسائل لماذا لا أجيء عليه  
أو أحدثه فأشرت له بيدي بما يعنى ليس الآن فسكت وهذا وشعر بأننى أعد  
له مفاجأة حينما ننفرد ببعضنا، هبطنا من الأتوبيس ثم أخذنا عربة حنطور  
إلى فندق الأوبرج المطل على بحيرة قارون، دخلنا إلى بهو الفندق واستقبلنا  
أحد الموظفين وتحدث معه عادل وزاد احترامه لنا عندما أخرج عادل  
الكارنيه العسكرى الذى يبين للموظف بأنه أحد ضباط الجيش.

## نسمة فى حياتى

(هذه ليلتى وحلم صباى) .. بل لا أبالغ حينما أقول حلم الحقيقة، كنت أحلم وأتمنى بأن يجتمع شملى مع نسمة تلك الحبيبة التى غابت عن عيونى عاماً كاملاً معتقداً أنها لاقت حتفها فى حادث إنهيار عمارة الإسماعيلية، كنت أقارن بين الماضى القريب منذ أقل من عشرة أيام يوم أن شاهدتها على شاشة التليفزيون وحادث قصف مصنع أبى زعل والآن، أجلس فى الحجرة التى قمت بحجزها فى فندق أوبرج الفيوم وأنظر إلى باب الحمام التى دخلت إليه نسمة منذ دقائق تستبدل ملابسها بأخرى.

أنتظر هذا الحلم الذى سوف يظهر بعد قليل من خلف باب الحمام، حمدت الله على نعمته بأن عادت إلى روح الشباب والسعادة، أعلم بأن نسمة لها ميزان ونقل فى حياتى ولهذا فأنا دائم التفكير فيها ليس الآن فقط بل أثناء العام الذى كنت متأكداً من انها لاقت ربه، رغم حزنى على ذكرها لكنى كنت أعود لهذا الحلم وهذا الملاك الإنسانى الذى أحببته مع أول يوم دراسى فى الجامعة.

لم يهرب منى خيالها، كان واقعاً فرض نفسه على أفكارى وخيالاتى المترددة المتذبذبة التى ظهرت بوضوح فترة علاقتى بزميله الكلية كريمان، والتى شاهدتها منذ أيام تقوم بزيارة نسمة فى المستشفى، كنت قلقاً من أن تبوح بكل ما دار بيننا أثناء اللقاء لكنها لم تفعل وحسنا أنها لم تفعل، أخشى من أن تكون قد أخبرت نسمة وأنا أعلم رجاحة عقلها بأنها لا ترغب فى الخوض فى الأحوال الكلامية والاجتماعية.

أستعيد ذاكرة لقاء القطار العاصف الباكي بعم مصطفى الخطيب  
وابنتاه، جلست حزينا على ما حدث لتلك الأسرة لكن الله كان رحيمًا بهم،  
شعرت بالدموع تغطي عيوني وتبتهت من ذكرياتي الحزينة على صوت  
الساحرة نسمة التي أقبلت نحوي تسير كالقراشة وترتدى ملابس مخصصة  
للنوم تثير الأشجان والسحر والخيال، أصبحت نسمة اسم على مسمى،  
بالفعل إنها نسمة واقتربت مني ونظرت في عيوني وتساءلت :

- " إيه حكايتك، فضلت لازق في الكرسي ومدورنش عليا، خلاص بعد ما  
بقيت مراتك حلالك شبعت واكتفيت ؟ ! .. أنت عامل زى الصياد إللى  
يتعب نفسه لحد ما يوقع الغزالة، لما بقيت فى إيده يسبها ويفضل قاعد  
تحت الشجرة، يمكن يستنى غزالة ثانية " .. ضحكت وأجبت على سؤالها:  
- " يمكن تتطلع معزة وإلا غنمه " .

- " فعلا هيا ح تبقى كده لكن فى عيون الصياد الخييان حتبقى غزالة  
ساحرة " .

= " والله ما ساحر غيرك " .

- " بتعمل إيه يا مجنون " .

- " أشيلك وأحطك على السرير عشان أملى غنيا فيكى " .

- " طيب روح الأول شوف ليا فردة الشبشب وقعت فى البانيو " .. ضحكنا  
كما لم نضحك من قبل حتى دمعت العيون وتبتهت إلى أنها ترغب فى أن  
توجهنى للحصول على حمام منعش قبل الغوص فى بحر العمل، حملت  
ملابسى وأسرعت للحمام وسمعت توصيتها لى بالأأخر فى الحمام وإلا  
سوف تنام وتوَجِّل حفل الزواج لباكر، دخلت الحمام وفوجئت بأن البانيو

ممتلئ بالماء وقد طفت فردة شبشب حريمى خاص بها على سطح الماء،  
لم أكثرث ولم أفرغ ماء البانيو وقررت الحصول على حمامى برفقة شبشب  
الحبيبة نسمة، أنهيت حمامى وأفرغت مياه البانيو وجففت (شبشب الهنا  
ياريتتى كنت أنا) على رأى المطرب عبدالعزيز محمود وحملته ووضعته  
بداخل فوطه صغيرة من فوط الفندق وتوجهت للساحرة سندريلا كى أقيس  
فردة الشبشب على قدها المياس فخلت منى وتركت ساقها كى أقوم على  
قياس الشبشب وتبتهت صائحة :

- عادل، بتقيس الشبشب فىن، رجلي أهه، لكن المكان ده الشبشب ما  
يوصلوش، ده قريب من القلب، روح يا أمير وعرف المملكة كلها أن  
سندريلا وقعت فى حبك وكله فى شبشبك يهون (حبك يهون) !! .. واندفعنا  
فى ضحكنا ثانية.

كانت ليلة جميلة شعرت خلالها بنعيم الحياة وتأكدت من الآية القرآنية:  
وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً  
وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقُرُونَ ( الآية ٢١ من سورة الروم).

ورغم أننى لم أتذكر ما حدث فى تلك الليلة لهذا قلت بداخلى لماذا  
أتذكر، يكفينى أنى تذوقت وهذا أبلغ شىء وتمنيت للجميع شبابا وشابات  
بأن يهنا الجميع ويتزوج، وتذكرت ابنتا الأستاذ مصطفى الخطيب مدير  
البنك (رجاء) و (هناء) ولهذا طفرت من عيني بعض دموع، ولكن الحبيبة  
تتهبت ولاحظت وأصابها حزن دفين بأن أحزن يوم الصباحية وما الذى  
حدث وأصابها غضب، لكنى أسرعرت إليها واحتضنتها ومازالتمت الدموع  
تتساقط مما دفعنى لأن اعترف بما حدث لتلك الأسرة.

شاركتنى الحزن والبكاء وتبين لى انها تعرفهم حق المعرفة وأن رجاء الكبرى كانت زميلة لها أثناء الدراسة الثانوية، كما كان يجمعهما نشاط رياضى ويشتركان أيضا فى فريق الموسيقى التابع للمدرسة وأن رجاء كانت تساعد نسمة فى استبدال نقوداً فكة جديدة لزوم العيد بديلاً عن القديمة من والدها مدير البنك، طلبت منى نسمة بعد عودتنا إلى القاهرة بأن اصطحبها لزيارة الفتاتين وبالأخص الصغيرة التى لم تشاهدها منذ كانت طفلة صغيرة قبل دخولها المدرسة، عددت نسمة محاسن ومآثر الراحلة طنط صفاء ومدى أنافتها وشياكتها بالإضافة إلى ما خصها الله من رقة وجمال.

أمضينا عدة أيام جميلة ممتعة وكما قيل على لسان البعض بأنها (خمسة أيام فى الجنة) .. خلال وجودنا فى مدينة الفيوم الهادئة الجميلة التى يغلب عليها الطابع الريفى خلال تلك الفترة شاهدنا العديد من أماكن المتعة والتسلية وبعض الأماكن الأثرية .. وعلى سبيل الذكر: وادي الريان .. منطقته وادي حيتان .. بحيره قارون .. عين السيليين .. هرم هواره .. مسله سنوسرت.

إنتهت الإجازة التى تمتعنا خلالها بحبنا الذى طال زمن إنتظار تحقيق اللقاء بالزواج، أثناء عودتنا من رحلة الفيوم الجميلة اتفقنا على أن أبلغ الحاج عوض زوج شقيقتى بأن يرسل أحد العاملين عنده والذى يداوم منذ أكثر من عام أى منذ مارس ١٩٦٩ وحتى منتصف مايو ١٩٧٠ منذ إقامة عائلة الأستاذ مصطفى الخطيب فى الشقة التى اشتراها من أجلهم على توصيل الخضروات والفاكهة لمنزلهم كوعد قطعه المعلم عوض على نفسه

بأن يبلغ والد الفتاتين بأننا سوف نتوجه لزيارتهم مساء الخميس القادم قبل انتهاء إجازتي المرضية.

وصلنا للقاهرة واستقبلتنا العمّة سعاد عمّة نعمة بالزغاريد وظهر من إحدى الحجرات كل من والدتي نعمة على أصوات صياح العمّة سعاد، جلسنا بينهم كي نعوض بعض الحب الذي فقدناه من الكبار أثناء تلك الرحلة، كما أثنت كل من والده نعمة وعمتها على تمتعنا بالنضارة والصحة والذي بدا واضحاً من معالم الوجه النضرة لكل منا، تركناهم وصعدنا إلى شقتنا المتواضعة والتي كانت تمثل لنا قصراً من قصور الجنة، فكل منا أصبح بجوار الآخر وماهى السعادة سوى تبادل للأحاسيس النبيلة والمشاعر الحاملة الرقيقة من أجل بناء مستقبل الأبناء الذي سوف نرزق بهم.

صباح اليوم التالي توجهت إلى وكالة الحاج عوض وهناك تلقيت العديد من عبارات التهنية على إقدامى على الزواج، لقد كنت فى الماضى أحد الصبيان الذين عملوا فى تلك الوكالة أثناء فترة الدراسة فى الجامعة ولهذا فلى من الصداقات الكثير سواء من التجار أو العاملين لديهم، جلست مع المعلم عوض وبعد قليل أحضر أحد عماله كوب من الشاي لى وفنجان القهوة مع الشيشة من قهوة قناوى المجاورة والتي اعتاد المعلم على أن ينفث بها كل يوم بعضاً من دخانها الأزرق، اقتربت منه كي أخبره بموعد زيارتي لأسرة الأستاذ مصطفى ومعى زوجتى.

أشار المعلم للصبي عيد الصغير الذى حضر وعلمت منه بأنه الشاب الصغير الذى يقوم بحمل تموين العائلة اليومي لهم، تحدثت معه المعلم فى

أمر الزيارة ولكن المفاجأة أن عيد الصغير أخبرنا بأنه قادم توأ من عندهم وطلب منه الأستاذ مصطفى أن يبلغ المعلم بأن شبكة ابنته الكبرى مساء يوم الخميس القادم فى الشقة وأنه سوف يأتى مساء اليوم كى يقدم الدعوة بنفسه للمعلم.

انفجرت أسارير المعلم عوض وصفق بيديه بسعادة مما دفعنى للسرور وشملتتى حالة من الغبطة والانشراح وراحة البال، تذكرت عم مصطفى الخطيب منذ عام حينما همس فى أذنى بما يقاسيه ورغبته فى أن توفى ابنته رجاء الكبرى بزواج يسعدها ويحمل عنه عبء مشاكلها كى يتفرغ لابنته الصغرى، أردد: الحمد لله الذى لا ينسى عباده على الأرض، هل كان الله سميعاً مجيباً لشكوى الأب ورغبته فى تزويج ابنته إلى أى شخص يأتئها عليه، لقد استجاب الله له ومن الله عليه بتحقيق رغبته تلك وأدخل الفرحة إلى قلب تلك الأسرة التى دمرت الحرب مساعدها واستقرارها وخطفت يد المنون الأم الطيبة التى كانت يانعة تستطيع أن تقدم الكثير لبناتها ولكن الله فى خلقه شئون.

عدت إلى نسمة كى أبلغها بالخبر المفرح بأن صديقتها سوف تتم خطبتها بعد أربعة أيام ولهذا يمكن أن نستغل تلك المناسبة لزيارة عائلة عم مصطفى الخطيب، رفضت نسمة هذا الاقتراح معتبرة أنه غير مناسب بأن تلتقى بصديقتها السابقة خلال احتفال خطبتها، وتلك مناسبة سعيدة وسوف تجمع العديد من الناس ومن بينهم الخطيب ومن الجائز بل من المؤكد أن هذا اللقاء قد يدفع بالعواطف الجياشة بينهما إلى أن تظهر الدموع حزناً على الراحلة والدة رجاء، لهذا طلبت منى أن أعود للوكالة وأطلب من

الصبي الذى يتولى حمل الخضروات بأن يخبر العائلة بأن الغد هو موعد الزيارة التى سوف نقوم بها.

عُدت ثانية إلى الوكالة وهناك كانت المفاجأة حيث وجدت الأستاذ مصطفى الخطيب جالماً مع المعلم عوض، استقبلنى الرجل بوجه باسم معدداً المزايا والصفات الإنسانية التى أتمتع بها وأنه أقبل هذا المساء كى يخبرنا بخطبة ابنته رجاء نهاية الأسبوع، تبادلنا التحية وتقديم التهنئة وأخبرته بما جئت من أجله ورحب بسرور وبأن هناك صديقة لابنته سوف تقوم بزيارتها، وحينما علم أنها العروس التى ارتبطت بها الأسبوع الفائت زاد هذا من سعادته ولهذا شدد على موعد الزيارة فى الغد على أن تبدأ مبكراً كى نستطيع الجلوس معاً لأكبر فترة زمنية، وأنه يسعده أن أجالسه ونستعيد ذكريات اللقاء الأول.

هكذا عُدت إلى شقتى وأخبرت نسمة بما تم الاتفاق عليه مما زاد من سعادتها وقررنا صبيحة الغد أن نشتري لها هدية لتلك المناسبة، ظللت طيلة تلك الليلة أستعيد اللقاء الأول مع تلك العائلة الكريمة الحزينة وعادت بى الذكريات حينما شاهدتهم لأول مرة يقفون على رصيف محطة سكة الحديد قطار الزقازيق وحالة التيه والبؤس التى كانت واضحة على ثلاثتهم، وما تلى هذا من محاولة ركوبهم القطار بتلك الطريقة العجيبة والمهينة للفتيات ثم ما رواه لى الأب وما حدث لزوجته وضغط واستغلال الفرصة من خال الفتيات كى يزوج ابنته رجاء الجميلة التى تخرجت من الجامعة منذ عامين بابن خالتها زينهم الشاب الذى حصل على دبلوم تجارة ويعمل كاتباً بالجمعية الزراعية.

كادت الدموع تعود لعيونى ثانية مثلما حدث فى اللقاء الأول، كدت  
أكشف نفسى أمام تلك الأسرة المحطمة نتيجة ويلات الحروب التى لا ناقة  
لهم فيها ولا جمل ولم يكونوا سوى عدد من ضحاياها، ومازال الرجل يلهث  
لتربية ابنتيه والإشراف على أحوالهن، حمدت الله أننى كنت أحد الأسباب  
التى روت ظمأ تلك العائلة الصغيرة وأدخلتهم إلى المكان الذى يحمى  
خصوصيتهم ويكفيهم سؤال المعارف والأحباب.

كنت ومازلت غير قادر على تفهم رغبة الأب بتزويج ابنته الكبرى  
الجميلة المنقفة كى يقلل من أعباء الإشراف على اثنتان ولتتبقى واحدة معه  
رغم ما سوف يسببه هذا من ألم نفسى له ولابنتيه، تذكرت حادث مماثل  
ومشابه لتلك الأم وابنتيهما وكنت وقتها طفلاً صغيراً وذلك حينما قرر أخى  
مصطفى العنيف أن يهدى صديقه (سلومه الحنش) إحدى القطط الصغيرة  
رغم اعتراضى بل ويكائى، لكنه كان عنيفا وما تلى هذا من صوت القطة  
الأم التى ظلت تبحث عن ابنتها طوال اليوم نهاراً ومساء تتادى عليها بمواء  
القطط وتذهب إلى كل مكان وخلفها ابنتها الصغيرة الأخرى تتادى على  
أختها بصوتها الضعيف، وكيف أن القطة الأم من شدة حزنها ذبل جسمها  
وماتت بعد هذا بعشرة أيام لتترك القطة الأخرى يتيمه وتعاونت مع أمى  
على العناية بها.

صباح اليوم التالى توجهت مع نسمة لأحد المحلات القريبة وقامت  
بانقضاء الهدية التى تبغى تقديمها لصديقة الدراسة فى المدرسة الثانوى،  
كانت الهدية من نوع يخص النساء وليس لى فيها رأى أو قرار، بعد صلاة  
المغرب تأبطت ذراع نسمة وسرنا نتلقى تحية أبناء الحارة حتى وصلنا لأول

الشارع، ركبنا ترام رقم ١٣ الذى يصل إلى منطقة روض الفرج وفى المحطة المناسبة غادرنا الترام وسرنا لبعض الوقت حتى لمحت عيونى العمارة التى تقيم فيها عائلة عم مصطفى الخطيب التى لم أشاهدها منذ الليلة الأولى التى استوطنوا بها وبعد أن وطنهم وأراح بالهم المعلم عوض هذا الرجل الشهم الهمام وقد مضى على إقامتهم بها حوالى العام.

صعدنا إلى الدور الذى به الشقة وبعد ضغطة قصيرة على زر جرس الباب الذى فتح وظهر من خلفه عم مصطفى مرحباً مهلاً بصوت يملأه الانشراح والسعادة، ثم أقبلت فى عقبه فتاتان ترحبان بنا ووقفت كل من رجاء ونسمة لبعض ثوان لتبنيه الذاكرة، التقت الفتاتان بيكاء وقبلات وكلمات سريعة متداخلة وبعد قليل تنبهت رجاء لوجودى وصافحتنى مهنتاً على الزواج شاكرة كل ما قمت به من أجلهم.

إختفت نسمة مع كل من رجاء وهناء بينما جلست مع عم مصطفى الذى أعاد حديث الأمس وكرر كلماته الطيبة التى جعلتني فى خجل مما قاله قبل ذلك ثم تطور حديثه بأن الله لا ينسى عباده بعد الامتحان القدرى الذى يواجه كل إنسان وإذا عبر الإنسان أى امتحان إلهى وصبر على قضاء الله كافته الله من عنده بمكافأة لا يستطيع جميع أبناء آدم أن يقدموا له تلك المكافأة تصديقاً لوعده الحق الذى قال : (ويشر الصابرين) ..

أوضح لى أنهم بعد أن استقروا فى الشقة توجه للإدارة المختصة للفروع بمقر بنك مصر الرئيسى بوسط القاهرة وقام مدير تلك الإدارة بتعيينه نائباً لأحد أفرع البنك بميدان التحرير ووعده بأن يتولى رئاسة هذا الفرع

بعد ستة أشهر حينما يبلغ المدير الحالى السن القانونى للتقاعد، هكذا بدأت أعود لعملى الذى أعشقه يحيط بى كل العاملين معى بالرعاية والاهتمام محاولين تخفيف الأحزان التى قابلتتى قبل مغادرة مدينتى الحبيبة، التى يرقد بمقابرها كل من أبى وأمى وفيها سعدت روح شريكة حياتى إلى بارئها.

منذ أكثر من شهر أتى شاب وطلب لقائى فالتقيت به وعلمت أنه ابن صاحب العمارة وأنه طبيب ناشئ لم يمضى على تخرجه خمسة أعوام وطلب منى التوقيع على ورقة تفيد بأننى اشتريت منهم تلك الشقة حتى لا يتحملوا أعباء الضريبة العقارية المرهوبة عليها، طلبت منه الانتظار كى استبدل ملابسى كى اصطحبه إلى المعلم عوض بارك الله فيه وفى أمثاله ولهذا طلبت من ابنتائى تقديم واجب الضيافة ومجالسة الشاب حتى أنتهى من استبدال ملابسى.

أثناء وجودى فى الغرفة سمعت أصوات ثلاثتهم يضحكون سعداء وبدا لى أن ابنتى فى حاجة إلى شقيق يقدم لهم العون والحماية كما سبق وأخبرتكم فى أول لقاء وهو عَرَضَ عَرَضَتْهُ عَلَيْك، لكنك كنت صغير السن لا تعلم كيف كنت أقاسى نفسياً وأنا أطلب منك هذا، ثِقْ أننى كنت أشعر بأننى أبيع ابنتى لكن ما علمته من أخبار سيئة تصيب بعض بنات العائلات المهاجرة من سوء خلق بعض الرجال والذى يوقعهم الحظ السيء للسكنى بجوارهم كان يزعجنى، بل يخيفنى مما دفعنى لأعرض عليك ما عرضت.

انتهيت من ارتداء ملابسى والتقيت بالشباب الثلاثة الذى بدا واضحاً على وجوههم الطيبة البريئة مدى ما أسعدهم من لقاء وحديث، بالوكالة التقينا بالمعلم عوض الذى وقع على الورقة معترفاً بأنه المسئول عن دفع العوايد عن تلك الشقة منذ شرائها منذ عام، بعدها عدت إلى منزلى بعد وداع الشاب الذى طلب منى أن أسمح لوالده بزيارتنا كى يقدم تحيته لنا على سكننا بالشقة، فرحبت بوالده وبه فضحك مكملاً حديثه بأنه سوف يرافق والده بالطبع.

اليوم التالى أقبل الشاب بصحبة والده، كان الأب لا يفترق عن المعلم عوض فى الشهامة والأخلاق والذى مازال مصمماً على إمدادنا بالخضراوات والفاكهة الطازجة يومياً، بل ويقوم صبيه عيد الصغير بسؤال ابنتى عما تطلبانه من أنواع الفاكهة والخضراوات، استقبلت الأب وابنه ورحبت بهما وأقبلت هناء الصغرى تقدم لنا مشروباً تحية للضيوف وهنا سأل الأب ابنه قائلاً :

- " أكيد مش دى العروسة يا كريم ؟ " .. ابتسم الشاب وأخبر والده :
- " فعلا يا بابا .. دى هناء الصغيرة .. الثانية اسمها رجاء " .
- " ما شاء الله .. أبدع فصور .. ممكن يا مصطفى بيه الآتسة رجاء تسلم علينا ؟ " .
- " أكيد .. وكل ممنونية .. هناء .. خلى رجاء تيجى تسلم على الضيوف .. كريم وباباه " .
- " أنا المهندس خالد .. خالد الصاوى " .

- " أهلا يا باشمهندس " .. استمر الحديث بين ثلاثتنا هادئاً رقيقاً حتى توقف كريم ووقف مرحباً :  
- " أهلا بالآنسة رجاء " .  
- أهلا وسهلاً .. مرحباً يا أونكل ..  
- " الله يرحب بيكى " .

استمر الكلام بيننا وأقبلت ابنتى الصغيرة كى تجلس معنا ولا تظل بمفردها بعيداً عنا وأصبحت تتقى أثر شقيقتها رجاء فى كل خطوة، فى تلك اللحظة عادت بى الذاكرة لحادث القطة الأم المشؤم وابنتها المفقودة الذى أحزننى وأنا فى مرحلة الطفولة .. يستكمل عم مصطفى حديثه:  
- " أنا عارف إنك تعبت يا عادل من كلامى .. أنا بقيت رغاى .. مافيش راجل بأقعد معاه لما بأرجع من الشغل وأصبحت من غير ست ومليش فى قعدة القهوة " .

- " كلامك جميل يا عم مصطفى " .  
- " ربنا يسعدك أنت وعروستك .. المهم بعد شويه كلمنى المهندس خالد أبو كريم وقال " :

- " الدكتور معجب برجاء " .. صمت قليلاً وتساءلت :  
- " أنهى دكتور ؟ " .  
- " أقصد ابنى كريم ما هو طبيب وشغال فى مستشفى بولاق العام الموجودة بشارع السبتية وأنت رايح لمقام سيدى أبو العلا " .  
- " أهلا وسهلاً .. دا شرف لينا " .. نظر المهندس خالد نحو رجاء متسائلاً :

- " والعروسة رأيا إيه ؟ " .

- " ظهرت الفرحة على وجه رجاء وأسرعت بمغادرة المكان بينما لحقت بها هناء فرحة " .. كانت سعادتى لا تدانيها أى سعادة، ولهذا أبدت شبه موافقة حتى أحصل على موافقة صاحبة الشأن .. تحركت الأمور بسلامة وأقبلت والدة العريس وشقيقته وتم تحديد موعد الشبكة بعد باكر الخميس ومما أفرحنى أن رجاء بعد زفافها سوف تسكن إحدى شقق العمارة التى خصصها الأب لابنه.

كنت أستمع لحديث هذا الأب الذى كانت ومازالت صورته الحزينة منذ عام ماثلة فى خيالى وأضيف إليها ما كنت أشعر به من حزن لفقدى نسمة وانتهيار المنزل التى كانت تقطن فيه فى مدينة الإسماعيلية أمام عينى، لقد كان هناك اختلاف بين وواضح بين حالة الحزن والبؤس التى شملت ثلاثتهم فى أول لقاء وبين تلك الليلة وما أشاهده من الفرحة التى تملأ الوجوه بعد أن أنعم الله عليهم بالسكينة والهدوء.



## لقاء من الماضى السعيد

مجرد أن شاهدت زميلتى السابقة رجاء حتى عادت بى الذاكرة إلى الماضى السعيد ونحن فتيات صغيرات مراهقات فى مقتبل العمر، كثيراً ما كنت أجلس مع رجاء رغم أننى أسبقها بعام دراسى لكنها كانت صديقة وزميلة لى فى النشاط الرياضى والموسيقى بالمدرسة، كنا كثيراً ما نتأخر عن موعد العودة للتدريب والتمرين الذى كنا نقوم به على يد الأستاذ إبراهيم الجيار مدرس الموسيقى.

كان الأستاذ الجيار بارعاً فى عمله واستطاع أن يدفعنا إلى حُب الموسيقى والإجادة أثناء العزف لمقطوعات موسيقية لبعض كبار الملحنين من أمثال فريد الأطرش ومحمد فوزى، كُنت ورجاء ضمن مجموعة العزف على الكمنجة وفى بعض الحالات ينقلنا الأستاذ للعزف على العود أو الأورج، كنا ننظر له بكل ثقة وتقدير واحترام، فقد استطاع فى أوقات قليلة لخصص النشاط أن يُحبيننا فى التمتع فى الموسيقى والتدرج على العزف، كما أنه صاحب صوت غنائى مميز يستطيع أن يجذبك لحالة رومانسية جميلة من الإيقاع الذى يقوم على العزف على العود وهو ينددن ببعض أغانى للمطرب الشهير فريد الأطرش وبالذات حينما كان يغنى أغنيته (بنادى عليك) و (أول همسة).

كل هذا التاريخ عاد بى حينما شاهدت رجاء وقد أصبحت فتاة يانعة منحها الله الكثير من مواطن الجمال والأوثة، لقد حصلت على الكثير من رقة وجمال الأم الراحلة طنط صفاء، اندمجنا فى اللقاء ثم أعقب هذا

مشاهدتى لشقيقتها الصغرى هناء والتي كنت ألقاها فى بعض الأحيان حينما ألتقى مع رجاء فى فترة الأجازة الصيفية، حصلت هناء على قسط وافر من جمال الأم لكنها مازالت صغيرة ولم يَم خراط البنات بعمله معها وقد يستغرق هذا عام أو عامين على أكثر تقدير لتلحق بشقيقتها الكبرى رجاء.

جمعنا حديث طيب والذي بدأ بتعارفهما على زوجى عادل، كانت رجاء تتحدث بعفوية وقد استأذنت منى بالآ أغضب من أحلامها التى حدثت خلال لقائنا بعادل، بدأت حديثها معى:

" تصورى يا نسمة إيه إالى حصل لنا من اليوم إالى رحلت فيه أمنا عنا لحد ما قابلنا عادل بأسبوع، كنا فى حالة نفسية سيئة، بدأت الأحزان لحظة أن سمعنا صوت غارة جوية ونزلنا بسرعة من البيت ورحنا على الملجأ إالى بيستخبي فيه الناس، يا دوب كنت بأجرى وماسكة إيد هناء أختى وقبل ما ننزل السلم بتاع الملجأ سمعنا صوت انفجار قنبلة مدفع وعفره ودخان وبابا بينده على ماما " :

- " صفاء .. مالك يا حبيبتى .. قومی .. هاتى إيدك .. إيه الدم ده .. ينهار مش فايت " ..

- " خلاص يا مصطفى، معدشى فيه وقت، والنبي تجيب البنات أشوفهم قبل ما أودع الدنيا " .

- " رجاء .. هناء .. تعالوا بسرعة .. كنا نسمع الحوار بين بابا وماما والدخان بينا لكن رغم كده جرينا وشفناهم، ماما نائمة على الأرض وفارده ذراعها والدم من حوليها وبابا قاعد على ركبته ويبيعط وييضرب قورته،

جرينا على ماما ونمنا فوقها وكنا بنعيط وننده عليها وهناء بتقول لها متمبينيش يا ماما، أنا لسه صغيرة وباحبك، مين ح ياخذ باله منا " ..  
تصوري يا نسمة .. نسمة .. بتعلمي إيه .. بتعيطي .. خلاص مش ح  
اكمل.

- " لأ كملى لكن مسيبنى شوية لعواطفى .. أنا إنسانة وليا مشاعر وشفت  
الموت فى المصنع من أسبوعين وعارفه مامتك، كملى .. كملى كلامك  
وانتى يا هناء تعالى جنبى يا حبيبتى، تعالى فى حضنى، دلوقتى لكى أكثر  
من أم .. رينا مابينماش حد .. متعيطيش .. مامتك فى السما " .

- " المهم يا نسمة ماما شاورت ليا ولأختى نقرب منها، كانت عايزه تبوس  
كل واحد، فعلاً بامت كل واحدة منا بصعوبة وكنت سامعه نَقْسُها ببحشرج  
ويتنهج واكلمت ووصتنا على بعض، وشاورت لبابا إالى كان قاعد تحت  
رجليها وقالت ليا ولأختى " خلو بالكم من بابا .. بابا محتاج رعايتكم، كمان  
تفضلوا تحبوا بعض وأنتم كل حاجه، ملكمشى أخ، أنتم الأخ والأب مع  
بعض وتساعدوا بعض ويكت وهيا بتقوللى .. مش ح أوصيك على أختك  
الصغيرة .. أتحرمت من حنانى أربعناشر سنة فرق المن بينكم .. خلاص  
.. حد ينشف دموى .. مش عايزه الملايكة يلاقونى بأقابلهم وأنا بأبكى ..  
يفتكروا إنى زعلانة إنى ح أقابل رينا .. أنا عايزه أكون مبسوطه .. سامعنى  
يا مصطفى .. مبتردش .. أنا عارفه فراقى عنك كبير .. لكن والله لو أقدر  
أقول لكم إيه إالى منتظرنى بعد ما أندفن يمكن تقولوا ليا خدينا معاكى ..  
نفسى أعرّفكم لكن فيه حاجه ماسكه لسانى .. مصطفى .. رد عليا يا  
مصطفى " .

- " إيوه يا متى الحبيبة يا نورة حياتنا، أنا خدامك ورهن إشارتك ".  
- " ربنا يخليك، مصطفى وصيتي ليك إنك تدفني مع أبويا وأمي فى العزبة بالمنصورة، أنا شايفاهم بيشاوروا ليا وكأنهم بيقولوا تعالى يا صفاء .. وصيتي .. وصيد .. ".

خرجت أصواتنا صائحة ننادى عليها ولكنها أسلمت الروح، كانت عيونها الجميلة تنتظر إلينا قبل أن تفارق الحياة، نامت أختى هناء فوقها باكية وأصابتها حالة من التوتر والصراخ، تنبه من فى الملجأ على هذا وغادروا المكان رغم استمرار قصف المدفعية الإسرائيلية، تعاون الناس معنا وحملوا جثمانها إلى أحد المنازل القريبة بينما قام بعض الرجال بتجفيف الدماء من على الأرض وسمعت أحدهم ينبه من معه بقوله:

- " ده دم الشهيدة الأم .. أم وشهيدة .. شوفوا مكانها عند ربنا قيمته إيه، محدش يغطى الدم بالرمل أو التراب .. بقطعة قماش ونجمع الدم فى صفيحة فاضية ونمسح الدم من على الأسفلت بشوية ميه لحد ما بيقاشى فيه دم .. بعد كده ح ناخذ الميه بالدم ونروح على أحواض الزرع إللى جنب الترعة الحلوة ونروى الزهور بدم الأم الشهيدة .. فاهمين يا شباب ؟ " ..  
كنت أستمع لتلك الكلمات وأنا فى دهشة لكن الشباب نفذ ما طلبه منهم الرجل الحكيم وكان بعض الشباب يبكى لأنهم صغار فى السن ولم يصلوا لمرحلة الرجولة وإلا أصبحوا جنوداً فى الجيش.

- " تعرفى يا نسمة إن الحكاية دية فات عليها أكثر من سنة، تانى شهر من استشهاد عبدالمنعم رياض يعنى يوم عشرة إبريل وإحنا فى آخر إبريل من السنة التالية، وفيه واحد جارنا قابل بابا فى البنك هنا فى مصر وبيقوله

تصور يا مصطفى إن الزهور إلى رواها الشباب بدم المرحومة أم البنات  
لمه مخضرة وريحتها حلوه ولما عدى ليها فصل الشتا ورقها مسقطشى زى  
العادة، تصنقى حاجه زى كده .. نسمة .. نسمة حبيبتى .. مالك يا حلوه  
.. وإنتى يا هناء، ياه نكرى ماما خدنتى وما أخذتس بالى من مشاعركم ".  
- " لا يا رجاء .. كملى .. الذكري مؤلمة لكن نتيجتها محدش يقدر يوصل  
لمكانتها، المهم إيه إلى حصل بعد كده ؟ "

- " طيب أقول لهنا تروح تغسل وشها بشوية ميه .. يا الله يا كتكوتى ..  
روحى يا حلوه وإنتى عارفة الباقي، ناس طيبين وقفوا معنا ولقينا واحد  
جاب كفن وقال إن المرحومة شهيدة وتفضل بهدومها وما تتغسلشى زى  
باقي الستات عشان ح تقابل رينا بدم الشهادة، تصورى يا نسمة .. تقابل  
رينا بهدومها وكلها دم عشان تبقى بين الملايكة بشكلها ده لأنها شهيدة، فيه  
عربية إسعاف جت وفيها صندوق ونيموا ماما فيه وركبنا جنب السواق لكن  
بابا وكام واحد من الحته فضلوا جوه مع الصندوق ورحنا لمديرية الصحة  
وكان فيه طبيب ومعاه شوية موظفين عشان تصاريح الدفن.

الدكتور مكششى على ماما وكتب التصريح باسمها وكتب جهة الدفن،  
هناك فى المديرية كل شوية ناس جاييه شهيد أو شهيدة وتصريح دفن،  
حاجه غريبة والأغرب إن ما فيش حد يببكى وكان ده شىء عادى زى ما  
تقولى كده إن كل واحد مات سواء رجل أو ست بقى مشوار الدفن بتاعه  
كأنه رايح شغله وما فيش حاجه غريبة، حالة من الهدوء شملت كل الناس  
وطبعا بتوع الصحة على طول بيجهزوا التصريح ويطيبيوا خاطر أهل كل  
شهيد.

فضلت العربية ماشيه بينا وخرجت من الإسماعيلية ويتوع الشرطة العسكرية وقفونا وشافوا التصريح ومحدث فتح الصندوق، كانوا مؤدبين جداً وواحد منهم جاب قوالب حلوة زى بتاعة المولد والجيش مسلمها لهم وناول واحدة ليا وواحدة لأختي، شكرهم السواق وفضلت العربية ماشية وكان بابا يبوجه السواق لمكان العزبة " .

- " طيب ليه ماما ما اندفنتشى فى الإسماعيلية ؟ " .

- " ده طلبها قبل ما يخرج منها السر الإلهى كمان إحنا ملناش مقابر فى الإسماعيلية لأن بابا من بورسعيد وحالة بورسعيد أصعب من الإسماعيلية وماما من المنصورة .. المهم فى العزبة الناس إتلمت وأخوات ماما جم من كل حتة والجنابة كانت كبيرة لأن المرحومة من أعيان البلد يعنى الأغنياء، وده نعرفه من زمان لكن ورث ماما مكنش حد من إخوانها بييجيب منه ولا مليم وكان ملهاش ورث وماما كانت مسالمة وبابا كمان .

تمت إجراءات الدفن عادية وخالى منصور هو الكبير فى إخوانه عايش فى بيت كبير لأنه بيت العيلة يعنى بيت جدى وجدتى لماما، صمم إننا نفضل معاهم، قضينا يومين وإحنا فى ضيق، كان باين على خالى أنه عايز من بابا ومنى ومن أختى نمضى له على بيع نصيب ماما فى الأرض والبيت الكبير إللى هوه نايم وعايش فيه، ملقاش فايده من لفة ودوران فدخل من ناحية النسب والجواز وقال له: مصطفى يا خويا، لحمنا ميخرجشى بره العيله وتعبيرات تضايق وتخلى الواحد يكره الإنسان إللى بيقولها، طلب إيدى لابنه زينهم، تعرفى يا نعمة زينهم ده طول بعرض

ومخه ضلم ومبيفهمش فى أى حاجه والغباء ظاهر عليه وشغال كاتب فى الجمعية الزراعية " .

- " بعدين يا رجاء .. مش كفاية إالى حصلكم ؟ " .

- " رفضت وبابا كمان رفض، قام خالى جه نفس اليوم وكان الوقت العصر وقال يامصطفى: من الصبح تشوفلك حته تانية إنت وبناتك وسابنا ومشى على طول من غير سلام ولا كلام " .

- " وبعدين فى الفصل الوحش ده .. خالك ده معندوش رحمة ؟ " .

- " فعلاً .. هو كده .. قلت لبابا نقوم نساقر دلوقتى لكنه قال خليها لبكره، قلت لأ يا بابا ونسيب له المكان قبل ما يطردها وشنط هدمونا معانا .. بابا إندهش وقال مين إالى جاب الهدوم دية، عرفته أنه لما كان مشغول مع الناس فى تكفين ماما رحمت الشقة مع هناء أختى وجبنا هدم لنا إحنا التلاته فى الشنطة دي أما الشنطة الثانية فيها هدم ماما للذكرى .

قمنا وسينا البيت الكبير وكان خالى منصور وأولاده ومراته واقفين ولا واحد فيهم قال كلمة أو قال لأى حد يشيل عننا الشنط لحد ما مشينا شوية وواحد فلاح الله يكرمه خد الشنط من إيدنا لحد ما وصلنا على الطريق المترب إالى بيوصل لميت غمر، ده كان طريقنا عشان نروح على الزقازيق عشان المساعى إالى كان بيشتغل فى البنك عند بابا كان اتفق معاه من أسبوعين أنه يشوف لنا شقة عشان نسيب الإسماعيلية، وكانت ماما مش موافقة وتقول نفسى أفضل هنا لحد ما أموت وربنا حقق لها الأمنية بتاعتها " .

- " ياه يا رجاء .. دى حكاية لها العجب .. إن كنتى تعبتى من الكلام نخلى الباقي ليوم تانى ؟ "

- " لا تعب ولا حاجة .. كل إللى بيحز فى نفسى أختى هناء، دايمًا بتفكر فى ماما، لأنها الصغيرة كانت متعلقة بيها، رينا يهون عليها، تعرفى كُنت رافضة إنى أرتبط بأى حد حتى مع كريم مكنتش موافقه رغم إنه شاب ممتاز وباعتقد إن رينا بعته لنا مكافأة للى حصل لنا، لكن لما عرفت إن له شقه فى نفس العمارة إللى إحنا عايشين فيها وافقت والحمد لله ح أكون مع بابا ومع هناء ."

- " رينا يوفئك يا رجاء، إنتى وأختك وباباكي تعبتم كثير .. تعرفى إن بيتنا فى الإسماعيلية المدفعية الإمبراطورية دمرته يوم تسعه مارس .. يعنى قبل وفاة مامتك بيوم ."

- " ياه يا نسمة، تعبنا .. دى كلمة لكن معناها كثير وكبير، أكمل حكايتنا عشان تنتهى وقبل ما تروحى تكون نهايتها سعيدة ومتشيليش هم إللى حصل لنا، الراجل الفلاح الطيب فضل شايل الشنط وأنا وأختى وبابا ماشين وراه، مشوار بتاع كيلو لحد ما وصلنا للطريق الرئيسى رغم أنه طريق ترابى لكنهم بيقولوا عليه الزراعية، وقف معنا شوية ومفیش عريية شغناها، حوالى ساعة ومفیش فايده، شوية وهبت رياح وحدى مطره وطبعا الطريق ترابى والطين والبهدلة إللى شغناها، جرى معنا لبيت قريب .. بيت فلاحى على قد الحال وخبط على الباب وطلع الراجل ومراته ورحبوا بينا، الفلاح قال للراجل:

- " والنبي يا حسن يا عريان تأخذ بالك من الجماعة دول لأنهم أغراب  
ومافيش عربية مشيت من أكثر من ساعة ".  
- " خلاص يا محروس .. روح أنت وهما فى عيونى وعيون مرتى ..  
تفضلوا استريحوا ".

تركنا محروس كوديعة عند حسن العريان الذى طلب من سميحة  
زوجته أن تقوم بواجب الضيافة، كان الرجل وزوجته من البسطاء وكل ما  
يملكونه محل بقالة صغير ملحق بالمنزل البدائى البسيط، أخذتنا سميحة  
لداخل البيت أو الدار وأشرفت على راحتنا وكل ما كنا نبغيه، كانت سيدة  
صغيرة أودع الله فيها كل رقة وطيبة مع جمال الشكل ونعومة الصوت،  
ورغم رداءة الفرش والحمام إلا أننا شعرنا معهما بالراحة وحديثهما الطيب  
بلهجة أبناء الريف الطيبين.

أعدت لنا الطعام وظهر مدى كرم الرجل وزوجته وأكلنا من نعمة الله  
وبفضله سخر لنا من عبيده من يسهرون على راحتنا، ومن الأحاديث  
المتبادلة علم الرجل بما حدث لنا مع الخال منصور ودهش حسن العريان  
من هذا مفيداً بأن الحاج منصور من أعيان البلدة وله من الطين (الأرض  
الزراعية) الكثير، أؤينا إلى الفراش الدافئ فى حجرة معقولة بينما رقد أبى  
فى الحجرة المجاورة والتى تستخدم لاستقبال الضيوف والمزودة بمصطبة  
فُرش فوقها كليم مصنوع من الملابس القديمة، كان المنزل دافئاً رغم برودة  
الطقس فى الخارج، أؤينا إلى فراش النوم وحمدنا الله فى السر والعلن فقد  
عطف علينا الغريب بعد أن نزع الله رحمته من الأقارب الذين لا يستحقون  
رحمته ورعايته.

لم نسمع أو نشاهد حسن العريان وزوجته سميحة حتى الصباح  
وشعرنا بعد أن نشرت الشمس أشعتها بمن يقوم بفتح باب المنزل فكان  
حسن وزوجته وبدى لنا أن حالتها سيئة، أسرع الاثنان لاشعال النار  
للتدفئة بينما انهمكت سميحة فى إعداد الطعام، وبعد أن تناولنا طعامنا  
وشرينا الشاي سألت سميحة عن اختفائها وزوجها بالأمس فضحكت وهى  
تخبرنى بأنها وحسن قررا ترك المنزل لنا كى نستريح على راحتنا بينما اتجه  
الاثنان للنوم فى عشة فى الحقل المجاور، لكن بعد منتصف الليل كان  
البرد شديداً وكادت الدماء تتجمد فى العروق.

لم أستطع الحديث وظهرت بعض دموع حارقة وقمت وقبلت السيدة  
وربت على ظهرها وطلبت من الله أن يكافىء صنيعهما، قبل الظهرية تحركا  
معنا حتى الطريق الزراعى ورغم وقوفنا لفترة من الزمن فى انتظار أى  
وسيلة تنقلنا إلى الطريق المرصوف إلا أننا لم نشاهد أثر لها، قرر حسن  
العريان استئجار حمارين كى ينقلنا إلى الطريق الأسفلت الذى يربط ميت  
غمر بمدينة الزقازيق مقصدنا، أصابتنى الدهشة لهذا الاقتراح لكنه لم يجد  
طريقة أفضل من هذا نظراً لأن الأحوال تعرقل السير بالإضافة إلى  
الحقيبتين الكبيرتين اللتين تحوى أغراضنا، نفذ حسن اقتراحه وجلست هناء  
على حمار وأنا على الآخر بينما سار أبى فى الأحوال بجوار حسن.

كانت تلك المرة الأولى التى نركب ظهر الحمار وأعتقد أنها الأخيرة  
نظراً لصعوبة تلك الوسيلة فى الانتقال، كنت أشعر بألم وهرشة بكل جزء  
بجسدى، وكانت تلك هى حالة الصغيرة هناء التى كانت تبكى فى بعض  
الأحوال، كنا فى أمس الحاجة لاستخدام الحمام نظراً لردائة الحمام سواء

عند خالى منصور أو فى دار حسن العريان كما كنا فى حاجة للحصول على حمام ساخن فقد مضى علينا حوالى الأسبوع منذ حادث وفاة والدتى، لكن كل تلك الأشياء أصبحت من الرفاهية والأمور الصعبة التى لا يجب أن ننظر إليها أو نلتفت إليها.

كان كل اهتمام أبى أن يصل للقاهرة للقاء أحد السعاة الذى كان يعمل بفرع البنك ونقل للقاهرة والذى وعدنا بالشقة التى كلفه بها، كُنت فى حالة شديدة من الحزن لحالنا ولم يعد لنا حائط نستتر به أو دورة مياه نختلى فيها بأنفسنا، كما كانت حالة هناء سيئة للغاية سواء من الحزن على وفاة أمها أو لحالة التشنج التى عصفت بنا، لقد أصبحنا غرباء فى وطننا بل ومطاردين ويلفظنا الجميع ولا يقبل لنا إلا بعد أن ندفع ثمن الإيواء وهو ثمن لا يستطيع أى شريف أن يدفعه فى مقابل شىء مادى زهيد.

وصلنا إلى الطريق الأسفلت الذى يربط مدينة ميت غمر بمدينة الزقازيق، قدم والدى شكره لحسن العريان وطلب منه الانصراف كى لا تتعطل مشاغله أكثر من هذا وأن مكانه يحتاج لكل هذا الوقت لكن الرجل الطيب رفض هذا إلا بعد تأكده من عثورنا على سيارة نقلنا، حاول أبى منحه بعض المال لكن الرجل اعتذر وشعر بالضيق والحزن بأن والدى اعتبره أجيبراً وهو غير ذلك لكنه يسعى لخدمة الناس هو وزوجته، اعتذر والدى له وظللنا وقوفاً وتعدى علينا الوقت والراحة ونحن نشعر بإجهاد شديد.

ابتسم العريان ملوحاً لسيارة قادمة والتى توقفت أمامنا وطلب من السائق توصيل البيه واللاتين العرايس للزقازيق، هكذا وجدنا أنفسنا داخل

سيارة وقد تم حشرنا بداخلها مع الركاب وجميع الركاب كانت نفوسهم راضية لأن هذا وضع طبيعي لا يحتاج للاحتجاج أو التذمر، لوح لنا حسن ورفع يديه للسماء يدعو الله أن نصل بالسلامة، شعرت بأن نسمة هواء طيبة هفت على وجهي وأراحتني من تصرف هذا الرجل الطيب هو وزوجته، لقد قام بأقصى ما يستطيع وقد يكون ما قام به لم يسعنا ولكنه ضحى براحته ويكل ما يملكه من وقت ولم يبخل علينا بأى شىء.

الحمد لله، وصلنا لمدينة الزقازيق ودفعنا دفعا خارج سيارة الأجرة العتيقة ودفع والدي أجره التوصيلة وسأل أحد المارة عن موقع محطة السكة الحديد فشرح ووصف له موقعها وقدم له النصيحة بركوب حنطور تجنبنا للأحوال التي تعم كل الطرقات، ركبنا الحنطور متجهين لمحطة القطارات بينما هناء تتلصق بى وتطلب منى أن أصحبها لدورة مياه وكنت أهدأ من توترها بأن فى محطة السكة الحديد يوجد بها العديد من دورات المياه.

سأل أبى أحد العاملين عن دورة مياه فأشار له وتوجه أبى للمكان وتبين لنا أنها تخص الرجال وعاد والدى إليه ثانية يتسائل عن دورة مياه تخص النساء فتعجب الرجل من هذا مضيفاً "بأن الحريم يعملوها فى بيتهم جبل ما يشوفوا الشارع"، عاد والدى مع هناء والتي كانت فى حرج تطلب عونى لكن الوضع كان يحتاج أبى لأن هذا المكان مخصص لدخول وخروج الرجال من هذا المكان القذر والتي تنتشر من حوله الرائحة الكريه، وبعد أن أنهت هناء مهمتنا وعادت أصابتها حالة من القرف كادت معه أن تطرد كل الطعام التي تناولته صباح اليوم.

أقبل قطار الساعة الثالثة عصراً ولم نستطع أن نشاهد عربات القطار من كثرة الركاب ويسؤال أحد المسؤولين فى المحطة نصح والدى بأن ينتظر قطار السابعة إلا ربع فهو أحسن حالاً وأخف زحاماً، جلسنا على دكة المحطة السيئة وأصبحنا محط أنظار الناس وتبين لنا أن أبناء القرى يدققون النظر للأخريين لعلهم يتعرفون عليهم، لكن تلك النظرات كانت تثير ضيقى وظللنا جلوساً وخلال هذا شعرت هناء برغبتها فى زيارة دورة المياه والتي كنت أقاوم تلك الرغبة لكن الطفلة لم تستطع التماسك وبالت على ثيابها وأصابها الضيق وبكت فهدأت من روعها واصطحبتها إلى إحدى غرف المحطة المخصصة للضيوف وقمت باستبدال ملابسها بأخرى بينما وقف والدى حارماً على الباب.

أقبل قطار السابعة إلا ربعاً وما حدث مع القطار السابق حدث مع هذا القطار وتبدد كل أمل لنا بأن نصل القاهرة ونتسلم الشقة الجميلة الرائعة التى وعد ماعى البنك والدى بها، لكن الزحام كان صعباً للغاية وفجأة خرج والدى عن هدوئه وورعه وأسرع نحو شباك عربة القطار التى أمامنا وأشار لأحد الضباط الصغار واستعطفه أن يساعده على أن نركب القطار.

توقف الضابط لبرهة يفكر كيف التصرف وتوجه بحديثه لمن حوله وهم

جميعاً شباب متسائلين:

- " يا شباب .. فيه أب ومعاه بناته الاتنين ومش عارف يركب القطار .. عايزين نساعدو ودخوله من باب العربية صعب جداً .. فكروا بسرعة .. وقف أحد الشباب الذى كان جالساً وقال لأبى ، بسرعة يا بيه، خليهم يفتوا من شباك العربية " .. كنت أفكر كيف تقفز فتاة من هذا الارتفاع وسوف

يتعري جسدى من الجيبه المفتوحة، لكن الضابط قال لوالدى ح نركبهم زى  
السجادة الملفوفة، بسرعة قبل ما القطر يتحرك.

شعرت وأحسست بأن بعض الأيادى الرحيمة الأمانة ترفعنى وقد  
دفعنى هذا لأن أضم ساقاى لبعضهم البعض ولحظات ووجدت نفسى  
بداخل عربة القطار، بينما هتاء تصرخ وتبكى على الرصيف ولم يطل بها  
الحال حيث لحقت بى بنفس الطريقة، ثم ناول أبى حقائبنا للشباب وبعدها  
تعاون من يقف على الرصيف مع من بداخل عربة القطار لإدخال أبى  
خصوصا أن القطار بدأ فى التحرك وكادت أعصابى تنهار إذا لم يلحق بنا  
الأب المتبقى لنا من تلك المحنة.

الحمد لله .. قالها أبى وهو يشد على يد الضابط الهمام والذى دفع  
الشباب المهذب الأمين لأن يتخلى كل واحد عن مقعده من أجلنا، جلسنا  
ثلاثتنا ووضعنا الحقائب على رف العربة وجلس أبى بينى وبين أختى التى  
وضعت رأسها على كتفه وراحت فى سبات عميق، مما دفع بأحد الشباب  
لأن يتخلى عن بلوفر يرتديه ويغطى به شقيقتى وهى نائمة تحلم مع  
الملائكة الصغار أمثالها.

- " أكمل يا نسمة ولا كفايه شجن ؟ "

- " كملى يا رجاء .. حكايتك عجيبة "

- " مش سامعه صوت هتاء .. ح أقوم أشوفها بتعمل إيه "

- " خدينى معاكى .. رجاء تعالى .. هتاء نايمه على رجل أونكل "

- " يا حبيبى .. تعالى .. بسم الله الرحمن الرحيم "

- " رينا يخليكى يا رجاء .. بتشيلها زى ما الأم بتشيل طفلها "

- " هيا طفلتى العزيزة .. هيا كل حياتى لوقتى .. أيوه على سريرها .. هاتى اللحاف ده يانسة .. أيوه كده نغطيها ونقعد جنبها عشان تتونس بينا .. بتخاف أنها تفضل لوحدها .. المهم أكمل حكايتى: تعرفى مين الطابط ده .. عادل جوزك .. مكنش أعرف حاجه عنه .. لكن بابا بعد ما وصلنا لمصر خده على جنب وفضل يكلم معاه وبابا بكى وعادل طيب خاطره ويكى هو كمان لكنى سمعت كثير من كلام بابا .. تصورى يا نسمة بابا طلب من عادل يدور ليا على عريس ويعدين قال له لو أنت مش مرتبط تكون أنت الأولى .. الكلام ده ضايقتى كثير لكن بعد إللى حصل فى بين أخت عادل وإللى عمله جوزها المعلم عوض فكرت لو عادل فعلا طلبنى من بابا ح أوافق، لكن قبل ما عادل يسبنا لوحدها بعد أن فتحها ربنا علينا بالشقة دية شفت فى إيده دبلة وتأكد ليا أنه مرتبط وعشان كده تخليت عن الفكرة دية.

الحمد لله ربنا بعث لنا كريم إللى كان باباه بعته عشان حاجه تخص الشقة، سامعه يا نسمة .. جرس الباب .. أقوم أشوف مين .. أيوه يا عيد فيه حاجه .. الخضار وفاكهة النهاردة لسه بحالهم ."

- " لا يامزمازىل رجاء .. أصل الجواب ده جه النهارده والواد مصطفى نسيه وما إفتكرش إلا من ساعة والمعلم هبده علقه سخنه وقال ليا روح يا عيد وصله للمزمازىل لأنه جواب حكومة عشان لونه أصفر ."

- " شكرا يا عيد ."

- " أيوه يا رجاء .. فيه حد جاى يزورك ؟ ."

- " ما فيش حد بيحى يزورنا .. منعرش حد هنا .. حتى ما فيش تليفزيون .. مكتوب على ظرف الجواب اسم مصلحة الضرائب .. خير يارب .. وأنا جاتى إيه عشان أذفع ضرائب .. الله .. تصورى يا نسمة إن مصلحة الضرائب عينتتى فى التليفزيون المصرى قريب من كوبرى أبو العلا .. نعمك علينا كتيرة يارب .. ما أقوم أفرح بابا ."
- " وأنا جايه معاكى عشان نروح .. "
- " تروحي يا نسمة .. عايزه أكلم معاكى ."
- " الساعة قربت من عشرة .. خلىنا نروح لوقتى والأيام جاية .. بقيتتى قريب منى وح أشوفك كثير ."
- " بابا ."
- " أيوه يا رجاء ."
- " اتعينت محاسبة فى ضرائب التليفزيون ."
- " الحمد لله .. أشكرى رينا .. حمدك وشكرك يارب ."
- " كفايه يا عادل .. نروح بيتنا ."
- " طيب نسيبك يا عم مصطفى ."
- " والنبي ما تتأخر عليا ."
- " حاضر .. كل ما أنزل أجازة أجي أقعد معاك ."
- " مع السلامة شرفتم وأنستم ."

هكذا عُدت من زيارة رفيقة الدراسة وزميلة فصل الهوايات والموسيقى وسمعت منها حديث عجب العجاب .. رينا يرحم الجميع ويحنن القلوب

على عباده المظلومين الضعفاء .. ربنا يطرح البركة فى شغلك يا معلم  
عوض ويرزقك بالزرية .. أمين يارب العالمين.

حاول عادل أن يتحدث معى أثناء عودتنا من زيارة رجاء وأمرتها لكننى  
أشرت له بالصمت فسكت مضطراً وأعتقد بأنه شاهد على وجهى علامات  
الحزن والضيق، ومن أجل هذا سكت وظل صامتاً حتى وصلنا إلى باب  
عمارة عمى فتركنى لشراء سندوتشات من المطعم المقابل، لم يتحدث ولكنه  
أشار إلى بما يعنى "هم" أو طعام، واصلت سيرى ولم اتجه للقاء أبى وأمى  
وعمى، بل سعدت إلى شقتنا المتواضعة والتي لا تقارن بشقة صديقتى  
رجاء فى الحجم والمساحة أو الموقع الجغرافى بل ما تشمله من أثاث فاخر.  
كنت أردد فى داخلى أن الله عليم قدير ويرزق من يشاء بغير حساب  
وهو علام الغيوب، يقطع الخير والرحمة من الأهل ويهبها إلى الأعراب والله  
فى خلقه شئون، وكما قالت لى رجاء إنها وشقيقتها والدها توجهوا فى  
مناسبة عيد الفطر الماضية لزيارة قبر والدتها بالعزبة وعلم بتلك الزيارة  
خالها منصور الذى أقبل شارد الفكر عديم الخلق والذوق موجهها حديثه  
لوالدها :

- "دى آخر مره تيجى البلد يا مصطفى، إذا كنت ح تعمل حجتك إنك  
تيجى تزور جبر مرتك فيمكنك إنك تاخذ إذن من النيابة وتاخذ عضمها  
وتدفنه فى أى حته تعجبك وبلاش دوشه وروح دوغرى أنت واصغارك ..  
يارب تحصلها عن جريب".

أتسائل: هل وصلت القسوة لهذه الدرجة من الغلظة وعدم الرحمة، لقد  
بكت الصغيرة على أمها التى أصبحت عظام وأن والدها سوف يلحق بأماها

وتظل وحيدة مع رجاء، واستمر بكائها والتف كل من كان بالمقابر حولنا  
والبعض صب جام غضبه على منصور، وكاد يحدث احتكاك بينه وبين  
أهل قرية لكنهم جميعا أجمعوا على أنه إنسان قاس لا قلب له.

دخلت من باب الشقة وألقيت بحقيبة يدي بعيداً وألقيت بجسدي على  
المريير وشعرت بأن روحي سوف تغادر جسدي وقاربت على الانهيار لولا  
أننى سمعت نداء عادل لى بأن أنهض كى نتناول الطعام معاً، نهضت  
متكاسله واندش لحالى وما أصبحت عليه فأسرع بى إلى الحمام يزيل عنى  
أثار الدموع التى حفرت ندوباً وأخاديد على خدودى وهو فى حالة من  
الدهشة.

عُدنا إلى حجرة النوم كى نجلس بها كعادتنا لأن الشقة ليس بها سوى  
تلك الحجرة وصالة صغيرة مزودة ببعض الكراسى القديمة المتهاكّة، تمائل  
عادل عما أبكاني، ألقىت برأسى على صدره باكية، حاول عدة مرات أن  
يعمل على هدوئى حتى زال عنى كثير من الانفعال واستطاع أن يبعدينى  
عما أثار شجونى وقد تأكد له أن رجاء قصت بعضاً من المآسى التى  
لحقت بأسرتها، ولهذا لم يرغب فى أن يزيل قشرة الحزن التى تكونت على  
هذا الجرح النفسى خلال الدقائق السابقة.

بعد أن تناولنا طعامنا أسرع بإعداد الشاى وأحضره لى فى المريير  
وجلس قريبا منى يركز بصره نحوى مما أصابنى بالحرج والخجل لكنه مازال  
مدققاً نظره فىّ ثم أعقب هذا أنه اقترب منى وطبع قبلة خفيفة على خدى  
ويعد قليل طبع الكثير من قبلاته الحانية والتى زاد عددها حتى أصبحت  
شبه مخدرة، فنهض وأطفأ ضياء الحجرة وشعرت به ينام بجوارى ويديه

تتحرك فى كل اتجاه بعد هذا لم أشعر به إلا بعد مضى فترة طويلة أفقت على شىء حالم سعيد حدث بينى وبينه، وعادت حياتنا هانئة واستطاع بذكائه وخبرته أن ينقلنى إلى جو الأساطير الساحر وعلاقتنا بالأتوبيس النهري والنيل والطريق الواصل بين كويرى الجامعة وكلية الهندسة مرورا بتمثال نهضة مصر .

صباح اليوم التالى نهضنا أكثر حيوية وارتدينا ملابس الخروج وهبطنا لشقة عمى فجلسنا معها ومع أبى وأمى، بعد قليل أحضرت كل من أمى وعمى طعام الإفطار الشهى فتناولناه بنهم وكان ما حدث بالأمس قد أرهقنا وأفقدنا الكثير من الطاقة فقمنا بالتهام الطعام بشهية أثارت حفيظة أمى التى تسألت بدهشة بأننا لم نتذوق طعاما منذ يومين، لكن عادل ضحك لهذا مؤكدا أننا تناولنا طعام العشاء ولكن طعامك وطعام عمى الشهى دفعنا لهذا فاندفعنا جميعا نضحك، وأعقب هذا كلمات طيبة (بالهنا والشفقا) و (ومطرح ما يمرى يمرى) .. غادرنا المنزل إلى الشارع حتى وصلنا إلى الكورنيش قريبا من مبنى التلفزيون انتظارا لوصول الأتوبيس النهري.

اقتربت من عادل وأسررت فى أذنه بأننى كنت فى خجل بأن تفضح أمرنا وأن السبب الذى دفعنا لالتهام الطعام هو ما حدث ليلة الأمس، ضحك وضغط بيده على كف يدي الملتصق بيده دائما أثناء سيرنا مشيدا بما حدث بالأمس فصحت معترضه بأننا فى الشارع ولاداعى لعملية الإثارة، فضحك وأكملنا سيرنا ووقفنا فى انتظار اللنش أو الأتوبيس النهري الذى أقبل ولم يكن هناك زحام فركبنا على مهل ووجدنا أن كراسى المقدمة غير شاغرة فجلسنا بها لنشاهد النيل مباشرة أمامنا واللنشات الأخرى المقترية أو

المبتعدة وأيضا كوبرى قصر النيل ثم كوبرى الجامعة فنهضنا وغادرنا  
الأتوبيس.

تأكد لى أن عادل حينما نكون معا فى داخل الأتوبيس ونشاهد النيل  
ونشم رائحة المياه فيه يتحول إلى شخص آخر مخالف لما كنت أعرفه قبل  
ركوبه تلك المواصلة التى أثرت فيه تأثيراً غريباً رغم أننى رفيقة تلك  
الوسيلة للانتقال لكن ليس بتلك الصورة التى عليها عادل لدرجة ملفتة للنظر  
وتبين لى أن أى شىء فقداه عادل أو أى موضوع نسيه يتذكره مجرد ركوبه  
الأتوبيس ويتنبه له، دائماً ما يتذكر أى شىء فقداه أو فقدناه معا بل إنه  
يتذكر أشياء منذ الطفولة الأولى وفى هذا اليوم طلب منى بعد أن تغادر  
الأتوبيس أن نجلس بكازينو جزيرة الشاي الجميلة الكائنة بحديقة الحيوان،  
وعلى أن اذكره بأن يقص لى حُبه للقطط وهو طفل صغير.

## ذكريات الحب الأول

غادرنا الأتوبيس النهري متشابكى الأيدي ولم نشعر بما حولنا من الناس سواء من الركاب أو من شباب الجامعة، سرنا كسابق عهدنا منذ ما يزيد عن تسعة أعوام فى بداية عام ١٩٦١ .. نحن الآن فى منتصف عام ١٩٧٠ وقد تبدل الحال وغادرنا موطننا الذى به نشأنا وبه نعيش وفى النهاية تلقى ربنا ونموت، كنت فى أشد الحاجه لحنان وعطف وحب عادل الذى حرمت منه عدة أشهر تعدت العام حينما اعتقد أننى لقيت ربي مع أسرتى بعمارة الإسماعيلية.

كنت أشعر بأننى الطالبة نسمة وليس الزوجة والمهندسة نسمة، ورغم ما نتمتع به من نشاط كنا نمير على مهل، فما زال عادل متأثراً بإصابته بمنطقة بحر البقر بينما إصابتي قاربت على الشفاء ولم يعد لها أى أثر سوى رباط من الشاش على ساعد يدي، وسوف أتخلص منه نهاية هذا الأسبوع كما أخبرنى الطبيب المعالج.

استقبلتنا حديقة الحيوان بأصوات الطيور المبهرة التى تمقبل البشر بكل ترحاب رغم أن هؤلاء البشر تسببوا فى حبسها وأسرها من موطنها والاتيان بها إلى هذا البلد الغريب، ولكن الطيور لم تتبدل تصرفاتها فمازالت أصواتها رائعة تتغنى بأغنيات وتعزف مقطوعات موسيقية محببة للقلب، ولا يعلم أحد ما تقول من أبناء البشر سوى سليمان الحكيم بن دواد عليهما السلام .. كما احتفظت تلك الطيور بألونها الطبيعية المبهرة والتى تعطيك

البرهان الصادق بأن الخالق أبدع فصور، ولن تستطيع يد أى فنان مهما وصل من إبداع أن تشكل مجموعة تلك الألوان بتلك الكيفية.

بعد أن جلسنا فى جزيرة الشاى الجميلة والتي تحيط بها بحيرة مياه تسبح فى داخلها طيور مائية جميلة من أنواع البجع والنوارس البيضاء أقبل الجرسون وطلب كل منا المشروب الذى يفضله .. شاهدت عادل يرشف عصير الليمون المفضل له ولى ثم سكن قليلاً وقال:

- " عايزه تعرفى حكاية القطة .. ولأ نأجلها لوقت تانى ؟ "

- " عايزه أسمعها منك، أنا عرفاك لما بتكون فيه حاجه عايز تتكلم فيها أكيد بتكون حاجه مهمة "

- " فعلا .. حكايتى مع القطة بدأت تقريباً وأنا عندى ثمن سنين، قطة جميلة جت فى يوم وأنا راجع من المدرسة وكان يوم حار جداً ودرجة الحرارة عالية، سمعت صوت نونوة ولقيتها جت ووقت جنب رجلي ولقيتها بتشد طرف البنطلون بمخالبها وهى تتونو، معرفتش هيا عايزه إيه، افكرت أنها عايزه تلعب معايا لكنى كنت تعبان من مشوار المدرسة البعيد، واحدة ست كانت ماشيه قريب منى سمعتها وهيا بتقول القطة عطشانة، ياريت يا بنى تسقيها وربنا ح يكرمك، رحمت ماسكها بالراحه وثلثتها ودخلت بيها البيت وجريت على المطبخ وجبت لها كوباية مايه، لقيتها بتحط رجلها فى الميه وترفعها لبقها، ماما جت فى اللحظة دية وجابت برام صغير من بتاع الزبادى وملته ميه وحطته قدام القطة إल्ली فضلت تشرب فيه لحد ما شبعت ووقفت تتونو وتمسك بنطلونى عرفت إنها عايزه تروح.

خرجت بيها للشارع وسيببتها، تكرر الحال معها عدة مرات لحد ما لقيتها مش عايزه تدخل البيت وراحت تحت سلم العمارة وسمعت صوتها تغير وبعد كده شفت حاجه بتظهر من ورا جسمها، خفت ورحت أقول لماما إللى نزلت تشوف حكاية القطة لقيناها ولدت أربع قطط صغيرة، فرحت أمى وطلعت وجابت أكل وقالت القطة عايزه تاكل وجعانه، إبقى خلى بالك منها يا عادل، فضل ده حالى كل يوم، الصبح قبل ما أروح المدرسة أنزل وأقسم السنودتس معاها ولما أرجع أجيب لها حنة عسلية !!".

- " يخرب عقلك يا عادل، بتأكل القطة عسلية ؟".

- " مكنتش أعرف وأنا فاكرها زينا بتاكل زينا وبتشرب زينا ولقيت أنها مبتكلشى العسلية قلت يمكن بتحب النوجة برده ما أكلتشى ".

- " عادل إنت تجنن .. نوجه وعسلية .. كنت أخذتها القهوه تشرب شاي !!".

- " كده برضه بتتريقى عليا يا نسمة حياتى ؟".

- " بلاش الكلام بتاعك ده إللى بيدوخنى .. خلينا حلوين كده وإبعد كلامك ونظراتك عنى".

- " حاضر .. حاضر يا سندريلا النيل".

- " وبعدين معاك".

- " حاضر .. المهم القطة تحسنت وأولادها بدءوا يتحركوا لأنى عرفت إنهم صغار ومبيشوفوش فى الأول، لما القطط كبرت شويه بقيت ألعب معاهم تحت السلم، جه مصطفى أخويا الكبير فى يوم وشفنى ويص ليا وضحك،

بعد كام يوم لاحظت إن القطعة الكبيرة بتتونو .. لأ مش بتتونو كانت بتعيط ."

- " بتعيط يا عادل ؟ !! "

- " حسيت بكده .. نزلت لقيت قطعة واحده والتلاته التانيين مش موجودين .. فضلت القطعة تتادى عليهم وأنا ماشى وراها وكل ما أقابل حد من الجيران أسأله ومحدث عرف راحوا فين، وبعد يومين واحد قال ليا أنا شفت مصطفى أخوك واخذ قطط صغيرة وحطهم فى صندوق ومشى بره الحى، رجعت بسرعة وقابلت مصطفى فى البيت وسألته، قال إيوه أخذت القطط لأصحابى يلعبوا بيها، عيطت واتخنقت معاه وضربنى وجة بابا وضربه وطلب منه يرجع القطط، وأمى قالت له حرام القطط لسه بترضع سيبيهم شويه لكن ما فيش فايده ."

- " حرام على إللى مصطفى عمله وبعدين ؟ "

- " رجعت لقيت القطعة بتعيط زى ما قلت لكنها كانت واقعه على منور مسلم البيت وبتتونو وسمعت صوت سرسعة القطعة الصغيرة الأخيرة، بصيت لقيت القطعة الصغيرة واقعه فى المسقط، لكن أمها مسكتشى وقدرت أنها تنزل على المواسير لحد ما وصلت لها وفضلت القطعة الصغيرة ترضع منها لحد ما نامت، حاولت مامتها أنها تشيلها ببقها وتتطلع بيها على المواسير معرفتشى ."

- " وبعدين يا عادل، حكاية غريبة ."

- " فعلا .. شفت بطن القطعة عند حلمات الرضاعة لونها أحمر ومتورمه وإحنا ماشيين واحدة ست قالت القطعة اللبن حينشف فى صدرها وح تموت

.. لازم ترضع ولادها وسألتنى عنهم وعرفتها أنهم ضاعوا ويندور عليهم، فضلت أفكر إزاي أجيب القطة الصغيرة لأمها لأنها عايشة لوحدها فى المسقط ويتنونو كثير، فى اليوم التانى جيببت السبت إالى ماما بتنزله لبتاع الخضار ولما بتنزله بيحط لها طلباتها وتسحب الحبل لحد ما تاخذ إالى موجود فى السبت، قلت فكره حلوة، نزلت السبت للقطة لكنها مدخلتشى السبت، حاولت كثير وأخذت منى وقت كثير لحد ما القطة الكبيرة جت رحى حاططها فى السبت ومنزلها وكانت خايفة، أول ما نزلت لقيتها مسكت بنتها الصغير من رقبته بأسنانها ودخلت بيها السبت ونونوت ليا فسحبت السبت وطلعت القطة الصغيرة، تعرفى القطة الكبيرة عملت إيه ؟ .

- " إوعى تقول أنها قالت لك متشكره يا عادل !! "

- " قالتها .. نطت على صدرى لحد ما وصلت لوشى وفضلت بلسانها تبوس فى وشى، كنت خايف يمكن تخريشنى . "

- " ياه يا عادل .. حكاية غريبة . "

- " قبل ما أروح المدرسة سمعت نونوة القطة على باب الشقة وأخويا قال إنه ح ياخذ إيد المقشة ويضربها، ماما منعتة وقالت كلها شويه وتمشى .. بالفعل بعد شويه بطلت القطة تعمل دوشة، فتحت باب الشقة عشان أروح المدرسة لقيت القطة الكبيرة نائمة قدام الباب ومبتحركشى، ناديت على أمى جت بسرعة وعرفت أن القطة ماتت . "

- " ياه يا عادل .. طيب وبنتها الصغيرة إيه إالى حصل لها ؟ . "

- " مشفتش بنتها وبعد ما رجعت من المدرسة عرفت إن ماما طلبت من الزبال ياخذ القطة الميتة مع الزبالة، قضيت اليوم ده فى المدرسة وأنا فى

حالة من الضيق والحزن ومكلمتش مع أى واحد من أصحابى ولا لعبت معاهم ."

- " لك حق يا عادل .. وبعدين ؟ "

- " رجعت من المدرسة لقيت القطة الصغيرة نايمه جنب الحجارة الكبيرة إالى ورا البيت ويتصوت وتسررع، رحبت لها وأخذتها البيت وماما جابت قطارة ملتها لبن وبقت تحط اللبن فى بقها لكنها مكنتش قابلاه، ماما قالت القطة دية ح تحصل أمها، خدها يا عادل رجعها مكانها عشان تموت بعيد عننا، شلتها ورحت رجعتها وقعدت قريب منها على الرصيف، بعد شوية لقيت قطة كبيرة جت بسرعة ومسكت القطة من ورا رأسها وجريت بيها خفت وجريت وراها لأنى عرفت أنها ح تكلها زى ما بتاكل الفيران ."

- " مش معقول يا عادل .. دا حكاية القطط دية زى حكاية رجاء وأختها .. يارب .. وبعدين ؟ "

- " فضلت أدور عليهم لحد ما لقيت قطط صغيرة بس أكبر من القطة اليتيمة إالى القطة الكبيرة خطفتها من شوية ."

- " حلوه يتيمه .. اسم على مسمى .. وبعدين ؟ "

- " اتسحبت بالراحة ومشيت ورا القطط الصغيرة إالى دخلوا حتة مزنوقة بين بيتنا والبيت إالى جنبنا .. شفت حاجه ولا فى الأحلام ."

- " شفت إيه يا عدول ؟ "

- " شفت القطة الكبيرة نايمه على جنبها والقطة الصغيرة اليتيمة بترضع منها ."

- " ياه يا عادل .. عملت إيه ؟ "

- " بكيت يا نسمة " .
- " عادل عينك بتدمع .. ح تعيط على قطة ؟ " .
- " أعيط على أى كائن حى يتحرم من أمه .. وخصوصا لما يكون صغير ومحتاج حنان الأم " .
- " بتفكرنى بهناء أخت رجاء .. تصور إنها بتمشى ورا رجاء فى كل حتته فى البيت ولما رجاء تروح الحمام بتقعد قدام باب الحمام، ولما بتتام جنب رجاء بتمسكها من قميص النوم ، طولة الليل، البننت بتخاف إن رجاء تبعد عنها زى مامتها " .
- " إيه رأيك يا نسمة فى حكاية القطة ؟ " .
- " حكاية عجيبة وياين عليها إنها مأثره عليك " .
- " فعلا .. افكرتها ليلة ما قابلت عم مصطفى الخطيب وبناته الاتنين، بكيت على كتفه بعد ما قالى على حكايتهم " .
- " لكنه كان عايزك تتجوز رجاء " .
- " الراجل عايز طوق نجاه لبنته الكبيرة عشان ياخذ بالله من الصغيرة " .
- " وافقت يا عادل على عرضه ؟ " .
- " أوافق إيه يا نسمة .. الراجل كان يائس ورينا ينتقم من أى حد يستغل ضعف المحتاج " .
- " لكن جوز أختك راجل جدع " .
- " المعلم عوض راجل خدوم وجدع، تصورى بعد حكايته مع عيلة عم مصطفى بشهرين وحدة عسكرية من الجيش عملت معاه اتفاق لتوريد حاجاتهم من الخضار والفاكهة وبيقوللى إن رينا فتح عليه من واسع " .

- " ياه يا عادل .. ربنا بيكافىء الناس الطيبة .. ويرزقهم بالخلفة ".  
- " دى أمنيته هو وأختى .. ربنا سميع مجيب ".

بعد تلك الحكاية المؤثرة التى أخبرنى بها عادل شعرت بمدى ما يتمتع به من قلب رحيم وضمير حى، فى صغره يعمل كل ما فى وسعه لإنقاذ القطة الأم وابنتها الرضيعة، وحين لقائى وفقدى لفردة حذائى يخلع ملابسه وينزل النيل من أجل ألا يصيبنى الضيق وليس لأن الحذاء مرتفع الثمن، وحين لقاء رجاء وشقيقتها هناء والدهم يستضيفهم فى بيت شقيقته ويخبر زوجها الشهم الطيب بما حدث لهم فيتحرك ضميره ويقوم بإيوائهم فى تلك العنقة التى اشتراها خصيصاً لهم بأثاثها الرائع، بل ومازال مستمرا لمدة تعدت العام على تزويدهم بالخضر والفاكهة مجاناً، ستظل الحياة مستمرة وبها الخير والبركة لوجود أمثال هؤلاء الرحماء كى يحاربوا أصدقاء الشيطان من أمثال منصور خال رجاء حتى تستقيم الحياة ويسيروا على فلك الرحمة التى هى اسم من أسماء الله الحسنى.

لن أقص على عادل ما جابهة تلك الأسرة من تصرفات مشينة من الخال سواء فى بداية اللقاء وموارة الأم التراب أو حينما قرروا زيارة قبرها وتهديده لهم بأن ينقلوا رفاتهما لمكان آخر، رغم أنها دفنت بمدافن الأسرة مع الأب والأم لكن قسوة الإنسان وطمعه لا حدود لها، يكفى ما نال عادل من مضايقات وسوف أتولى زيارة رجاء وشقيقتها من حين لآخر كى أخفف عنهم أحزانهم التى بدأت آثارها تتلاشى رويداً رويداً بما قام به المعلم عوض، ثم بزوغ نجم هذا الخطيب فى حياة الأسرة وأخيراً صدور قرار تعيين رجاء فى مكتب ضرائب التليفزيون.

لم يتبق من أجازة عادل المرضية سوى خمسة أيام يتوجه بعدها إلى وحدته العسكرية التى يعمل بها، سوف أنتظر خمسة وعشرين يوما بعد سفره لحين عودته وسوف تكون تلك الفترة قاسية على مشاعرى وأعصابى فقد عثرت على الحبيب وارتبطت به وعشنا معا أيام جميلة ممتعة سعيدة لا يعلم عنها سوى من اختبر الحب والإخلاص، لكن الله سوف يهون على فترة غيابه مثل الآلاف من العائلات المصرية التى لها أبناء يعملون فى الجيش وسوف أبدد طول فترة الانتظار تلك بقاء رجاء وشقيقتها من حين لآخر كى أهون عليهم فقد أمهم طنط صفاء تلك السيدة الجميلة الرقيقة التى أحبها الجميع.

عادل :

منذ غادرنا منزل عم مصطفى الخطيب وأنا الألاحظ على نسمة حالة من الصمت والهدوء والسرمان فى بعض الأحيان وحينما كنت أرغب فى الحديث معها تشير لى دون حديث ودون أن تنتظر نحوى بأن أتركها الآن وذلك بإشارة من يدها، أحترم مشاعرها وأنا أعلم الكثير عن مأسى تلك العائلة وبالطبع نسمة تتمتع بمشاعر رقيقة صادقة وقد أثرت فيها تلك الأحداث، سوف أقدر ظروفها تلك لكن فى الصباح سوف أصحبها للتنزه فى بعض الأماكن التى تحمل ذكريات جميلة لنا نحن الإثنين وخصوصا بأنه لم يتبق من إجازتى سوى خمسة أيام.

صباح اليوم التالى نهضت مبكرا واصطحبت نسمة وسرنا على مهل على كورنيش النيل من مكان ركوبها الأتوبيس النهري إلى ميدان التحرير حيث توجهنا إلى المتحف المصرى، وهناك شاهدنا آلاف الزوار من

السائحين الأجانب الذين قدموا من بقاع العالم المختلفة ليروا ويشاهدوا تلك الحضارة الفريدة، وينالوا من ثقافتها مما يشاهدوه ومما يترجم لهم من معلومات على أيدي المشرقيين العاملين بالسياحة.

بعد أن قضينا فترة طويلة في المتحف كَلَّتْ خلالها أقدامنا من كثرة السير من المشاهدة والتمعن في هذا الإعجاز غادرنا المتحف وتوجهنا إلى منطقة خان الخليلي، كنت راغباً في شراء هدية قيمة عوضاً عن عدم شراء شبكة خطوبة لها وعزوفها عن ذلك تقديراً للحالة التي يمر بها الوطن، هناك في منطقة خان الخليلي شاهدنا الكثير من التحف والجواهر التي تتميز بدقة الصناعة، تخيرت إحدى القطع الجميلة وقدمتها لها مشفوعة ببعض كلمات قليلة عظيمة المعنى، فقدمت شكرها وثنائها بطريقتها المميزة وذلك ببسمة رقيقة ونظرة أرق تشع نورا وبهاءا.

هذا هو صباح اليوم الأخير وقد ارتديت بدلتى العسكرية متوجهها لجبهة القتال، لم تكن البدلة سوى الأفرول الميداني فلا يسمح هناك بارتداء البديل العسكرية الأنيقة والتي يطلقون عليها بدلة المكتب، وقفت زوجتي الحبيبة نسمة تشاهد أناقتي وتعذل من تصفيف شعر رأسي كي تتأكد من وسامتي في نظرها، فلقد أصبحت مسؤولاً منها وأنا الآن زوجها وهذا هو حقها وواجبها، ألفت بدعائها وأمنياتها بعونتي سالما واحتضنتني قبل فتح باب الشقة للخروج، طبعت قبلتين خفيفتين على خديها كأنني أخشى أن أتلف بشرتها الرقيقة الناعمة.

هبطت السلم كالفهد، رغم هذا كان هناك شيء ما يعمل على انقباض عضلات القلب وإن شيئاً حزيناً قادماً في الأفق، طرحت كل تلك الأوهام

جانبا وانشغلت فى البحث عن وسيلة مواصلات حتى محطة السكة الحديد بميدان رمسيس حيث القطار الحربى ينقل الضباط والجنود إلى الإسماعيلية والسويس، توجهت إلى محطة كوبرى الليمون وركبت القطار الحربى المتجه إلى السويس حيث يتوقف هذا القطار بمنطقة المثلث غرب المدينة خشية قصف المدفعية المعادية ومن هناك تقوم السيارات الخاصة بالوحدات بنقل رجالها إلى مواقعهم تحت إشراف رجال الشرطة العسكرية.  
نسمة :

غادر عادل الشقة وأغلق الباب خلفه وانتابنى شعور وإحساس عميق بالحزن والضيق، لا أدرى السبب فى هذا، عولت كل هذا على أنها المرة الأولى التى نفترق فيها بعد أن أصبحنا أزواج واجتمعنا تحت سقف واحد، حاولت التمسك بالهدوء والسكينة، انشغلت بارتداء ملابسى وهندمت من نفسى وقررت الخروج والتنزه بعدها أعود ثانية يكون كل من أمى وعمتى قد استيقظتا من نومهما فقد قاربت الساعة على السابعة صباحا.

سرت فى الطريق العام فى شارع بولاق الجديد حتى وصلت شارع فؤاد أو شارع ٢٦ يوليو، انحرفت يمينا فى اتجاه كوبرى أبو العلا حتى وصلت إلى طريق الكورنيش الذى يودى إلى مبنى التلفزيون، أسير بهدوء وبيبىء على الكورنيش وحركة الناس بطيئة هادئة نظراً لأن الوقت مبكر ونحن على إعتاب فصل الربيع، أنظر إلى مياه النيل بتمتع ورهبة وحب، وقفت قليلاً وسمعت صوت رقيق يردد اسمى.

- " نسمة .. صباح الخير على الحلوين .. التفتت إلى مصدر الصوت الرقيق الناعم الحالم ".

- " مين ؟ .. رجاء، صباحك فل ومعطر، إيه النشاط ده، جايه بدرى ؟ "
- " استلمت الشغل إمبراح ."
- " ياه .. المكتب بتاعكم بيشتغل بدرى كد هـ ."
- " أبدأ .. فى المواعيد العادية بس أنا طلبت من المدير آجى للمكتب بدرى حوالى ساعة ."
- " وافق ؟ "
- " وافق .. وقال ياريت كل الموظفين يعملوا زيك ."
- " طيب .. سبتى هناء لوحدها فى البيت ."
- " لا طبعاً .. هناء هيا السبب إننى بانزل بدرى .. بعد ما ألبسها وأفطرها وأجهز لها كراستها وشنطتها واعمل لها السندوتشات وكمان حاجه حلوه أقوم أنزل معاها وأروح بيها للمدرسة .. المدرسة بتاعتها ماشيه بنظام اليوم الكامل من سبعة ونص لحد الساعة تلاته الضهر ."
- " على كده بتصحى بدرى ."
- " أصلى الفجر وأفضل صاحبة أروق فى الشقة وأجهز فطار بابا وأكوى القميص والكرافته وألم الغسيل من البلكونه وأجهز كل طلبات هناء ولو فيه وقت أجهز الخضار إالى ح أطبخه على الغداء ."
- " بتتعبى يا رجاء ."
- " طيب أعمل إيه يا نسمة .. كان لنا أم ورينا طلبها جنبه، لازم نغطى على جزء من نشاطها وعطائها ."
- " صحيح رينا معاكى ."
- " أخبار عادل إيه ؟ "

- " سافر النهاردة من ساعتين .. صحينا زيك بدرى وصلينا الفجر  
ومرضيش ياكل وخرج قبل الساعة ستة عشان يلحق قطر السويس ".  
- " رينا معاه ومع كل شباب مصر .. رينا ينصرنا ونرجع تانى بلادنا ..  
المثل بيقول ( من خرج من داره إنتقل مقداره ) مهما كان الناس إالى حواليه  
حلوة وطيبة .. تعرفى يا نسمة .. كل يوم فى الفجر بادعى للمعلم عوض  
.. متعرفيش إالى عمله الراجل ده أنقذنا من مصايب كنا ح نقابلها، أنا  
حكيت لكى عن الكام يوم وإللى حصل قبل ما نقابله، كمان مرات المعلم  
عوض أخت عادل وباباه وماماته .. ناس حلوة وطيبة ".  
- " طيب وعادل ؟ "

- " عادل .. رينا يخليه لكى وتسعدوا مع بعض .. شاب محترم وجدع  
وعشان كده رينا كافته بيكى .. أسيبك دلوقتى عشان أروح الشغل، ح  
أخلص على الساعة اتين بعدها أنزل جرى على البيت أجهز الغداء وقبل  
الساعة ثلاثه أكون واقفه قدام مدرسة هناء وأرجع بيها ".  
- " رينا معاكى .. مع السلامة "

هكذا سارت رجاء وتركتنى مع ذكرياتى الماضية ووجدت نفسى أعود  
ثانية إالى الحاضر بكل أحلامه وآلامه، كنت أفكر فى تلك الصديقة التى لم  
يتعد عمرها الرابعة والعشرين وتحمل على كتفها هم الأب والأخت الصغيرة  
ثم يقترب منها شاب راغب فى الزواج بها وأخيراً توفق فى عمل، كيف  
تستطع أن توازن بين كل تلك الأمور، ياه يارجاء .. تلك الفتاة الجميلة  
الدلوعة ونحن فى المرحلة الثانوية وحين يطلب منها مدرس الموسيقى الغناء  
ويخرج صوتها من فمها الصغير الدقيق وشفاهها الجميلة ومن حين لآخر

يظهر صفى أسنانها البيضاء اللامعة يصل صوتها فيشجى الجميع، حتى أن مدرس الموسيقى لم يرغب فى توجيهها إلا بعد إنتهاؤها من الغناء فيقدم لها النصيحة الواجبة.

كانت المكافأة التى نحصل عليها كفريق للموسيقى هو صوت رجاء حينما تشدو وكانت لها مقدرة كبيرة على الغناء لعدد من المطربين ولم تكن تقلدهم أثناء غنائها وكانت لديها مقدرة على حفظ كلمات كل أغنية وطريقة أداء المطرب لها، كل هذا فُقدَ وتلاشى فى السعى والجرى وراء خدمة شقيقتها الصغرى وخدمة الأب، لقد حُرمت من حنان وعطف الأم وتحملت أعباء بدنية ونفسية فوق طاقتها وكل هذا ناتج من الحروب وآثارها التى تصيب الكثير من الناس الأبرياء.

عُدت ثانية إلى منزل عمى بعد أن شعرت بأننى استنشقت كمية كبيرة من الهواء النقى المنعش التى قامت مياه النهر بتنقيته قبل أن ترسل به لسعداء الحظ الذين من حوله سواء فى حى الزمالمك هذا الحى الراقى أو فى حى بولاق أبو العلا الذى يتمتع أبناءه من الجنسين بالشهامة والمروءة، الحمد لله وصلت لبيت عمى وخلال الطريق وأثناء سيرى أقوم بعد الأيام المتبقية على نهاية إجازتى المرضية والتى تأكد لى أنها خمسة أيام بالتمام والكمال، عود بعدها لعملى لأتسغل به وأهون على نفسى غياب عادل.

## أخطاء الشباب

الرقيب فوزى :

أثناء جلوسى فى الموقع المحدد للفصيلة أراجع بعض الأعمال التى أقوم بها بالإنابة عن حضرة الضابط عادل الذى ابتعد عنا وفقدنا خطاه ونشاطه بعد إصابته أثناء قصف الأعداء لمدرسة بحر البقر أقبل الجندى سعيد يحدثنى وعلى وجهه علامات التوتر والاهتمام وأيضاً الترقب ويتلفت حوله :

- " شاويش فوزى " .

- " إيوه يا سعيد .. مالك مش على بعضك ؟ " .

- " فيه حاجه اكتشفتها وأنا راجع مع محمد العادل السواق من مدينة فايد من نص ساعة " .

- " إيه هيا ؟ " .

- " بس متعرفوش إننى إالى قلت لك " .

- " طيب يا سعيد .. اتكلم " .

- " واحنا راجعين من فايد سعيد وقف قريب من كشك عشان يجيب علبة سجائر ، ما أنت عارفه إنه مُدخن ، قمت فتحت تبلوه العربية شفت علامات رتبة ملازم أول موجودة فى التابلوه " .

- " بعدين .. عرّفته ؟ " .

- " لأ طبعاً .. إنت عارفه إنه جدع خُلقي وممكن يتخانق معايا " .

- " بقى الحكاية كده .. لكن أنا ملاحظ لما بتروحوا فايد بنتأخروا هناك والمشوار ميخدش غير ساعة ونص رايح جاى كمان نص ساعة بتشتروا طلبات زمايلكم، إيه سبب تأخيركم ؟ "

- " محمد العادل له قرابىب هناك، أول ما نوصل فايد يقولى إنزل يا سعيد جهز الطلبات وأنا ح أروح أشوف قرابىبى وأرجعلك، لكنه بيتأخر عليا وبأفضل مستنيه وممكن الشرطة العسكرية تحتك بيا "

- " متعرفش قرابيه دول ساكنين فين ؟ "

- " لا يا شاويش فوزى "

- " طيب .. روح شوف إالى وراك وكأنك ما شفنتش ولا اتكلمت، فاهم ؟ "

- " فاهم "

الواد محمد السواج ده من يوم ما جه من أربع تشهر وهو مش على بعضه وعامل فيها قلّه ومدلع نفسه ويفضل يحلج فى دجنه جبل ما ينزل فايد وكمان معبائى بنفسه حبتين، أكيد ورا الحكاية دية بت من بتوع فايد الحلوين إالى بيعاكسوا العساكر وكل واحده عايزه تتجوز واحد منهم، وكلهم عارفين إنهم معاهم شهادات وإن مكنشى جواز يبجى استغلال وتخلي العسكرى من دول يصرف عليها دم جليه، فاكده عساكرنا بينضحك عليهم، ما أشوف إيه إالى وراك يا محمد العادل، يعنى بجالك أكثر من شهرين يا محمد وبتلبس رتب الطباط، ودلوجتى الطباط عادل مصاب وجدامه شهر على الأجل لحد ما يعود تانى.

توجهت إلى مكان اللواري الخاصة بالفصيلة وطلبت حضور السواقين، أقبل السواقين الثلاثة فطلبت منهم فتح غطاء الموتور للتفتيش على اللواري

ونظافتها، نفذ اثنين منهم بينما تكامل محمد العادل، فصرخت فيه فأمرع  
يمثل للأمر، كنت أمسك بدفتر الملاحظات الخاص بى وأكتب ما أراه من  
نقاط ضعف، عندما جاء الدور على سيارة محمد العادل فتشت كيبنة  
السائق وجنتها غاية فى النظافة والعناية ولم تكن هناك أى ملحوظة تؤخذ  
عليه، فتحت تابلوه الكابينة وعبثت بما فيه وشاهدت رتبة ضابط ملازم أول.  
كانت دهشتى واضحة رغم أن زميله أخبرنى لكنى لم أصدق ما قاله،  
أخذت رتبة الضابط وأظهرتها له ولزملائه السائقين متسانلاً عن سبب تواجد  
تلك الرتب بصندوق التابلوه، لم يندش وكان هادئ البال وأجابنى بقليل من  
الاكتراث بأنها تخص الضابط عادل الذى طلب منه أن يقوم بنظافتها بقليل  
من البنزين ففعل هذا، وعندما شعر أننى لم أصدق ما يقول طلب منى أخذ  
الرتبة وتسليمها للضابط بنفسى مما دفعنى لتصديق روايته.

هذا الحادث أثار الشك فى نفسى ومن أجل هذا طلبت من ثلاثة من  
جنودى مرافقة العادل فى كل مرة يتوجه فيها إلى مدينة فايد وطلبت من  
أحدهم أن يظل قابعاً بصندوق السيارة الذى زونناه ببعض الأدوات حتى لا  
يشعر السائق بالشك والريبة، لأن وجود الجندى فى انتظار قدوم زملائه من  
مهامهم فى المدينة له ما يبرره حتى لا نفقد الأغراض المرصوفة بصندوق  
اللورى.

كان الجندى الذى كلفته بالمراقبة يتميز بالذكاء والفتنة ولهذا طلبت  
منه عدم إشعار السائق محمد العادل بأى شكوك، كما طلبت من زميليه أن  
يقفيا أثر اللورى بعد مغادرته والذى يظل قابعاً بجوار أحد المخابز التى تُعد  
الخبز البلدى والذى يقوم السائق بإخبار زملائه بأن صاحب المخبز قريب

له ولهذا فهو يترك اللورى فى حراسة العاملين بالمخبز بعدها يتوجه لداخل  
المباني لزيارة عمته المتزوجة من صاحب المخبز، شعر جنودى بأن وراء  
تلك المراقبة شىء غير طبيعى كما أنهم وافقوا على ما طلبته منهم مع  
الحذر حتى لا يرتاب الجندى فى تصرفاتهم.

صباح اليوم التالى وبعد أن قام المسائق محمد العادل بملىء تنك  
اللورى بالوقود طلبت منه إصطحاب الجنود الثلاثة مما سبب له ضيقاً  
فصرخت فيه بأنه لن يحملهم على ظهره ومن الممكن إرسال أحد زملائه  
من المسائقيين فأسرع بالابتسامه والترحيب وقاد اللورى الذى يحمل على ظهره  
الجنود الثلاثة وبعض معدات بسيطة من التى تستخدمها الفصييلة، كما  
نبهت على جندى الحراسة ألا يترك تلك الأغراض فى السيارة ويرافق زملائه  
بالتجول فى المدينة.

كنت فى وجل وفى حالة من الانتظار والترقب لخبر لا أعلم عنه  
شئياً ولهذا انتظرت وصول جنودى، قبل الغروب شاهدت اللورى قادما على  
موقعنا المختار قريبا من طريق السويس القاهرة غرب منطقة المثلث  
بالمنطقة الصحراوية، هبط الجنود وتقدموا جميعا نحوى يخبروننى بأنهم  
إشتروا كل أغراض زملائهم ولهذا توجهت بسؤالى للجندى الحراسة عن تمام  
العهددة التى لديه، أخبرنى بأنها سليمة لأنه ظل بجوارها طوال الثلاث  
ساعات التى أمضوها فى المدينة.

انتصف الليل وهدأ الجميع بعدها توجهت للمرور على قطاع  
الفصييلة للتأكد من وجود الحراسات فى أماكنها، أقبل نحوى الجندى الذى  
طلبته منه مراقبة محمد العادل ومعرفة ما يقوم به فى المدينة حيث اقترب

منى وهمس فى أذنى بأنه حصل على كل المعلومات عن زميله السائق محمد العادل حيث قال أفندم:

توقف محمد العادل السائق أمام مخبز (بخيت) كالعادة، ترك اللورى بعد أن نظر لزميلنا عبد السلام مؤكدا عليه عدم ترك اللورى حتى لا تسرق معدات الفصيلة التى فى الخلف مما أضحك عبدالسلام وتساءل إلى أين يتجه محمد فأجابه ضاحكا (ساعة الحظ مافيش أحسن منها) بعدها دخل إلى الفرن، واستقبله بخيت ببهجة وترحاب مؤكدا له على أن موعد كتب الكتاب على ياسمين ابنته الخميس القادم كما سبق وإتفق الاثنان، ضحك محمد قائلاً أنه ينتظر هذا اليوم بمسعادة ثم ترك بخيت وسار بضع خطوات مردداً ( أروح أشوف العروسة طلبتها إيه) كنت خلال تلك الفترة أفب بجوار شباك الفرن فسمعت وشاهدت كل شىء خشية أن يرانى محمد وأفضل فى مهمتى.

سار محمد بضع خطوات ثم دخل إحدى الحوارى الضيقة ووقف أمام باب منزل ينادى على فتاة تدعى ياسمين التى ظهرت بعد دقائق وفتحت له الباب فرحة وهى تردد ( إيوه كده .. لازم الكل يعرف أنك ظابط .. النجوم منوره كتفك يا محمد ) ضحك الاثنان ودخل إلى المنزل ووقفت بعض لحظات أفكر فيما سمعته وربطت هذا بتوقف محمد بعد أن دخل الحارة وأخرج شيئاً من جيبه وشاهدته يفك أزرار الإسبليت الذى فوق كتف الجندى ثم وضع شيئاً به وأعاد غلق الأزرار كما كانت وعدل من هندامه.

- "نهار أبوه إسود من جرون الخروب، الواد منتحل شخصية حضرة الظابط عادل، متأكد يا سعيد من الحكاية دية ؟".

- " مكنش متأكد لحد دلوقتى لكنى فضلت واقف قريب من البيت ومستخبى جنب عربية كارو واقفه وياين عليها إنها مش شغاله، بعد ثوية شفت محمد وياسمين خارجين من البيت وماسكين فى إيد بعض مبسوطين وراحوا لبيت جنبهم، هنا تأكد ليا أن محمد معلق رتبة ملازم أول "

- " الله يخرب أبوك يا محمد يا عادل، إكفى على الخبر ما جور لحد ما حضرة الضابط عادل يرجع بالسلامة من أجازته ونعرض عليه الحكاية ونشوف إيه إللى حيمعله "

اليوم التالى حضر النقيب مصطفى قائد السرية الذى يشرف على قيادة الفصيلة منذ إصابة الضابط عادل، كان النقيب مصطفى يقيم برئاسة السرية بمنطقة أبو سلطان ولا يأتى للفصيلة إلا كل ثلاثة أيام تقريباً، بعد أن غادر الفصيلة متوجها لقيادة السرية أقبل على الجندى محمد العادل السائق وأظهر لى تصريح نزوله دفعة أجازات خاصة به على أن تبدأ أجازته تلك صبيحة اليوم التالى ولفترة عشرة أيام مما دفعنى للدهشة وسألت كيف وافق قائد السرية على منحك إجازة طويلة، ضحك الجندى وأخبرنى أنه طلب من قائد السرية إجازته الميدانية وإجازة زواج لأنه سوف يعقد قرانه ويزف على عروسه ليلة الخميس القادم وأنه كان يتمنى وجود الضابط عادل لحضور تلك المناسبة لكننى علمت أنه مازال أمامه عشرة أيام مستحقة من إجازته المرضية.

لم أعلق وصمت وكنت افكر خلال حديثه: ما هو التصرف الملائم الذى ينبغى على أن أتخذه مع هذا الجندى الذى خالف تعليمات القيادة كما أن الإجازة التى حصل عليها لم يخطرني بها مسبقاً، ولكنى لا أستطيع

مخالفة قرار سيادة النقيب مصطفى وحينما طلب منى محمد العادل العريس أن أبعث معه بعدد من زملائه لحضور تلك المناسبة اعتذرت لظروف الخدمة الليلية، ووعده بإرسال الجندي سعيد لحضور الاحتفال، وافق مضطراً حيث شعر بأن سعيد يتلصص على أخباره.

الجندي سعيد مهنا :

صباح يوم الخميس والذي أخبرنا عنه الجندي محمد العادل بأنه يوم عقد قرانه وزفاهه منحنى رقيب الفصيلا إجازة لمدة ٤٨ ساعة أقضيها بمدينة فايد أحضر خلالها حفل زواج محمد العادل وأستمر لليوم التالي لمتابعة أخباره وقد أفتق رقيب الفصيلا سيادة النقيب مصطفى قائد السرية بأننا فى إحتياج منح الجندي سعيد تلك الإجازة القصيرة كى يقضيها فى مدينة فايد كى يقف ويساند زميلة فى مناسبة زواجه.

محمد العادل :

حصلت على إجازة لمدة عشرة أيام نصف تلك المدة منحة بمناسبة زواجى، لن يحضر حفل زواجى أى فرد من أسرتى نظراً لظروف الحرب وعدم استطاعتهم القدوم لتلك المناطق العسكرية والتي تحتاج إلى تصريح من الأمن الحربى التابع للمخابرات الحربية، ولهذا اكتفت أسرتى بالتهنئة المسبقة كما أنهم جميعا سوف يسعدهم انتظار زيارة وحضور العروس بعد الزواج لزيارتهم فى القرية والتعرف على باقى أفراد الأسرة من الأعمام والأخوال وباقى فتيات القرية.

استقبلتني العروس ياسمين بالفرحة والبهجة وحضر إلى منزلها على التوالى بعض صديقاتها، كنت أسمع وأشعر بحبيبتى ياسمين وهى تمتدح

مواصفاتي البدنية والشكلية وأيضا وظيفتي كضابط في الجيش المصري، بل إنها أقبلت نحوي وتشير نحو إحدى صديقاتها بأنها تتمنى الزواج مثلي من ضابط مثل محمد العادل، ولهذا فهي تتاشدني أن أعمل على تحقيق تلك الأمنية لصديقتها.

كانت ياسمين وأمها نرجس ترغبان في أن يتم عقد القران وأنا أرتدى أفروال التدريب الميري والتي تزينه رتبتي العسكرية، ولكني رفضت لأن هذا الوضع يترتب عليه إذا علم المأذون بأنني في الجيش أن أقدم له تصريح زواج وهذا صعب في تلك الأيام، ولهذا فلا يجب أن يعلم أحد بصفتي تلك وأن الجميع يعلم بأنني المهندس محمد العادل فقط ولهذا سوف أقدم للمأذون البطاقة الشخصية مثل أى شخص مدنى يتزوج، ولن أنقدم إليه بالكارنيه العسكرى لأن هذا يعتبر فى عداد الأسرار وأنتِ تعلمين أنني رفضت أن أظهر لك هذا الكارنيه، لأنه مخصص لداخل الوحدات العسكرية فقط.

اقتنعت ياسمين وأمها بهذا الطرح فقد كنت أخشى أن يقرأ أى شخص ما فى داخل الكارنيه ويكتشف أنني الجندى محمد عادل وأعمل سائقا فى الجيش، وبالتالي سوف تتدمر كل أحلامى وحبى لخطيبتى ياسمين التى فضلتى على الكثير من الشباب الراغب فى الزواج باعتبارى ضابطاً، وكان هذا من أهم ما أبهرها كما كنت أسمع حديثها مع صديقاتها، ورغم أن هذا كان يسبب لى الضيق إلا أنني كنت سابحاً فى أحلام الشباب برغبتى فى الزواج من تلك الغائتة، التى بجمالها أبهرت العديد من شباب البلدة ومن أترائها.

اتفقت مع عم بخيت أننى سوف أرتدى الجلباب البلدى أثناء عقد القران وحفل الزواج مثل أبناء البلدة ووافق الرجل ولم يعارض، وكان كل همه أن يتم زواج ابنته الجميلة خشية عليها من القيل والقال ومن كثرة ما تردد على مخبزه الكثير من الشباب الراغب فى الفتاة حيث كان يتحجج بأنها مخطوبة لضابط فى الجيش وطالت فترة الخطوبة، وفى تلك الأحوال تحدث المشاكل وتكثر السنة اللغو بكل ما يشين الإنسان.

الحمد لله .. لقد تم عقد القران بحضور العديد من أهالى المنطقة والتى تربطهم علاقات صداقة وقرى بأسرة ياسمين، كما حضر زميلى الجندى سعيد مهنا وهو شخصية مرحة وابن بلد وقادر على إلقاء النكات والقفشات التى أسعدت الكثير من الحاضرين، كما أضفت نوعاً من البهجة والمرح على الحفل البسيط الذى قامت فرقة السمسمية فى مدينة فايد بإحياءه كنقوظ للمعلم بخيت الخباز، الذى يسعدهم بخبزه الطازج وتسوية صوانى السمك وأيضاً صوانى الكعك والبسكويت بمناسبة عيد الفطر.

قبل أن يغادر سعيد الحفل تقدم منى وسلمنى هدية من رجال الفصيلة لتلك المناسبة وأسعدنى هذا أمام ياسمين وخصوصاً أن سعيد أشعرنى أمام الحاضرين بأننى القائد له وحينما، انفردنا معاً وتساءلت لماذا قال هذا التعبير ضحك وضربنى على كتفى بأننا يجب أن يساند بعضنا البعض بكلمات حلوة وفى تلك المناسبة لن تضر، لكنها سوف تضعك فى صورة أفضل أمام أهل العروس.

خصصت لنا العائلة حجرة متواضعة كى نتزوج فيها ونقضى أول أمسية بيننا بها وهى ليلة الدخلة والتى أسعدتى خلالها ياسمين برقتها

وأوثقتها، قضيت يومين بعد حفل الزواج وطلبت من ياسمين أن نسافر إلى بلدتنا في الشرقية كي نلتقى بالأهل والجيران، وطلبت منها التكرم في وظيفتي لأنها وظيفة سرية تقوم على خدمة الجيش ولا يجب أن تسمح لأحد بالخوض في طبيعة عملي، فكل ما يعرفونه أنني في الجيش فقط ولا يجب أن نزيد في المعلومات عن ذلك، وافقت على هذا بسعادة لأننى أودى أعمالاً مهمة للوطن.

كانت سعادة عائلتي غامرة والتف الجميع من حول ياسمين سواء من نساء القرية أو بناتها واللائى سمعت أمى بعض تعليقاتهن (بأن محمد العادل رينا فرجها عليه من واسع ولهط جطعة الجشطة) تجولت ياسمين في داخل القرية ومبانيها وحقولها والتي أسعدتها كثيراً، كما التقت بخطيبة المهندس أحمد العزازى الذى يقوم أبى على رعاية أرض والده الزراعية كانت فواكه خطيبة المهندس أحمد العزازى فى منتهى السعادة بلقاء ياسمين وظلت الاثنان يتحدثان معا لفترات طويلة، كدت خلالها أن يصيبني الخوف من أن تقوم فواكه بكشف حقيقتى وأننى جندى عادى بالجيش ولست ظابطاً ولا مهندساً، ولكن أشد ما أدهشنى أن ياسمين أقبلت تخبرنى بأن خطيب فواكه عسكرى مهندس وأنت ظابط مهندس.

الحمد لله انتهت فترة زيارتى للبلدة والتي لم تستمر لأكثر من أربعة أيام خلالها علمت أمى من ياسمين بأنها حامل مما أسعدها بقدم الحفيد المنتظر، وأيضاً حينما علم أبى بذلك ورفع الاثنان أيديهما للسماء بالدعاء أن يحفظنى من مخاطر الحرب كي أقوم بتربية ابنى المنتظر حضوره للعالم بعد تسعة أشهر، استطاعت ياسمين أن تكون صداقات كثيرة مع نساء

وفتيات القرية وشعر الجميع بكل حب نحوها سواء من جمالها ورقتها أو من أسلوبها المحبب والداعى للصدقة وحب المعاشرة والمؤانسة.  
سعيد مهنا :

غادرت حفل زواج زميلي محمد العادل وكانت سعادتي غامرة ووقفت بعيداً عن منزل العروس أفكر فيما طلبه منى الشاويش فوزى بالبحث والتتقيب خلف هذا الجندي الذي يحتفظ برتبة ضابط خشية أن يكون الجندي قد وقع في حائل عصابة أو عملاء للعدو، شعرت بأن هذا هو زميلي الذي سوف أخون صداقته وقد إستأمنني على أسراره وأن ما أقوم به نوع من التجسس والوشاية وسوف يتسبب هذا في توقيع الجزاء عليه بل سمعت الشاويش فوزى يقول لو ثبت أن هذا الجندي قد ارتكب هذا العمل فسوف تصبح جناية بانتحال صفة ضابط في القوات المسلحة، وسوف يقدم لمحاكمة عسكرية فوراً.

قررت عدم متابعة أخبار محمد العادل وسوف أخبر الشاويش فوزى بأنني لم أكتشف أى جديد وأنه كان كالأى شخص عادى رغم أن الشاويش فوزى لن يصدقني، بعد فترة وجيزة شعرت بأنني سوف أخون أمانة الوطن وسوف أصبح مثل محمد العادل، إن ما يقوم به مخالف للقوانين العسكرية ولا يجب علينا أن ندخل الصداقة والشهامة فى مثل تلك الأمور، ما الدافع لأن يقوم بمثل هذا ولماذا ؟ ! .. أنا أو آخرون لم نتصرف بمثل ما تصرف به، لا .. لن أتهاون فيما كُلفت به وسوف أجد وأبحث خلف هذا الزميل لأعرف الحقيقة وقد تكون الحقيقة بيضاء لا يشوب نصاعة بياضها سوى

وضع علامات رتب الضابط عادل الذى مازال فى إجازة مرضية منذ حادث بحر البقر الشهير .

على مقهى مجاور لمخبز بخيت والد ياسمين زوجة محمد العادل سمعت بعض من شباب المدينة ينادى على وتوجهت لهم وجلسنا جلسة طيبة وأثنوا على ما قمت به من مداعبات ونكات وقهقهات وطلبوا منى المزيد، بعد أن ضحك الجميع تحدث أحدهم بأن الضابط محمد العادل زوج ياسمين يتصنع الوقار والإحترام بل ويتعالى على الكثيرين من أبناء المنطقة، ظل البعض يذكر بعض صفات لمحمد العادل بينما صرح أحدهم بأن هذا الضابط مزيف وليس بضابط، ولو أنه ضابط فلنشاهد تحقيق الشخصية العسكرية خاصته وسألنى أحدهم هل هذا الشاب هو قائدك وبالتالي سوف نخبرنا بالخبر اليقين، فوجئت بمثل هذا السؤال الذى لم أكن أتوقعه.

صمت لفترة وقال أحدهم : " متفكرشى هو ضابط وإلا لأ " .. بين حيرة قول الحق والخشية عليه من مهاجمة الآخرين له قلت لهم إنه ليس بقائدى فأنا أعمل بوحدة أخرى ودائما حين نلتقى يهتم بأمورى العسكرية وفى آخر لقاء دعانى لحضور حفل زفافه، ولهذا فإن كل ما أعرفه عنه لا يزيد عن معرفتكم به، صمت الشباب وتأكدوا أن معرفتى به هامشية، وبالتالي فلن أستطيع أن أوكد أى حديث عن شخصه.

صباح اليوم التالى عدت إلى الفصيلة وأخبرت الشاويش فوزى بكل شىء حدث سواء أثناء حفل الزفاف وعقد القران أو من لقاء شباب المدينة وتشكك بعضهم فى شخصه، مما جعل الشاويش فوزى متوترا بأن الله مسلم

ونجيت من هذا الموقف السيء الذى لم نكن قد وضعناه فى حساباتنا وبإجابتك تلك الغامضة استطعت حماية هذا المجنون الأهوج من ثورة الشباب عليه بل والاعتداء عليه لأنه كاذب ويتقمص شخصية غير شخصيته، ومن الممكن أن تهاجمه عائلة زوجته بل زوجته أيضا، لنترك هذا الحدث ونستكمل أعمالنا.

عادل :

وصلت إلى قيادة السرية بمنطقة أبوسلطان بعد انتهاء إجازتى المرضية، استقبلنى الزملاء والقيب مصطفى الذى تولى الإشراف على الفصيلة خلال تلك الفترة، كانت سعادتهم غامرة بشفائى مما ألم بى من إصابة أثناء الغارة الجوية للطيران الإسرائيلى على مدرسة بحر البقر الابتدائية، زاد من سعادتهم عندما علموا بخبر زواجى بل وازدادت دهشة البعض الذى كان يعلم بحادث وفاة نسمة أسفل أنقاض العمارة التى كانت تعيش فيها بالإسماعيلية.

توجهت إلى موقع الفصيلة على طريق القاهرة السويس الصحراوى بالقرب من منطقة عجرود، هناك استقبلنى الجنود والشاويش فوزى أحسن استقبال، فقد تغيبت عنهم ثلاثة أسابيع بين العلاج فى المستشفى والإجازة المرضية، ولهذا فقد جلس معى الشاويش فوزى كى يخبرنى بأخبار الفصيلة والأعمال المكلفين بها وأحوال الجنود، ومن ضمن ما أخبرنى به بأن الجندى محمد عادل منحه قائد السرية أجازة زواج ومتبقى له ثلاثة أيام يعود بعدها للفصيلة.

استمرت الفصيلة في الأعمال المكلفة بها والتي تتحصر في دعم التجهيز الهندسي لمواقع قوات المشاة على خط المواجهة مباشرة والتي يقوم العدو بتدميرها من حين لآخر، ورغم المجهود الذي كنا نقوم به ونتحمل مشاقه إلا أن الجنود كانوا في حالة نفسية متميزة لحدوث حالتين زواج بالفصيلة، سواء حينما علموا بزواجي وقاموا بتقديم التهنئة الممزوجة بالسعادة أو لزميلهم محمد العادل الذي تزوج قريبا في منطقة فايد.

## مهمة ضد العدو

اليوم الثالث لوصولي للفصيلة طلبني قائد السرية لاجتماع مهم في مقر القيادة ولهذا طلبت المائق محمد العادل وعلمت أنه لم يعد من إجازته والتي تخطاها بيوم وأصبح الجندي متغيباً عن الوحدة وسوف يتم تسجيل هذا في دفتر الأوامر ومن أجل هذا طلبت من الشاويش فوزى بأن يرسل أحد الجنود الذي يعلم مكانه كي ينبهه للخطأ الذي سيقع فيه والذي سوف يعرضه للمسائلة القانونية، بعد إنتهاء نقاشي مع الشاويش فوزى أقبل أحد الضباط الذي يحتل موقعا قريبا مني وحضر بسيارة اللورى، توجهنا معا للقيادة نظرا لعدم وجود سائقين لدى لأن المائتين الآخرين قادا اللورىان وتوجها لقيادة الجيش لتحميل بعض المعدات وتبقى لوي دون سائق، وهذا هو اللورى الذي يتولى قيادته محمد العادل.

فى اجتماع القيادة الذى حضره جميع الضباط تحدث قائد الكتيبة وأخبر قادة الوحدات الفرعية بأن العدو الإسرائيلى قام بعملية إغارة على الرادار بمنطقة الزعفرانه، واستطاع تفكيك الرادار وحمله بواسطة طائرات هليكوبتر ضخمة تحت حماية طائراته المقاتلة والقاذفة كثيرة العدد، والتي لم تستطع قواتنا الجوية التصدى لها لعدم الكفاءة بين أنواع الطائرات لكل دولة وكثرة عددها.

أفاض القائد فى الشرح والتفصيل وأن بعض المعلومات وردت بأن العدو الإسرائيلى سوف يقوم بعملية إغارة على بعض طرق الاتصال بالجيوش الميدانية سواء الجيش الثانى أو الجيش الثالث وعمل كمانن من

الشرطة العسكرية كأنها مصرية وتوقيف اللوارى وأسر بعض الضباط، ومن الممكن قتل البعض من صغار الضباط والجنود أثناء ذلك ولهذا يجب الانتباه والتحذير لمقاومة مثل تلك الأحداث، كما أكد القائد أن المعلومات تشير إلى احتمال أن تتم عملية من هذا النوع بعد بضعة أيام على طريق السويس القاهرة بالقرب من منطقة الشركة الشرقية للبترو، ويجب على الضابط عادل ورجاله الانتباه لمثل هذا الموقف وأن يسرع الرجال بمقاومة جنود العدو.

عدت ليلاً مع زميلي الذي تركنى فى الفصيلة واستكمل طريقه لفصيلته التى تبعد عن موقعى مسافة تزيد عن خمسة عشر كيلو مستخدماً اللورى التابع له، أصبحت قليل الحركة لغياب السائق الذى تزوج وأهمل خدمته فى الجيش بينما اللورى الأخران مازلا مكلفين بمهام أخرى، بعد قليل أقبل الرقيب فوزى وأخبرنى بأن الجندى السائق محمد العادل سوف يأتى مساء اليوم حيث وصله مندوب من الفصيلة يحذره من مخاطر تغييره عن الوحدة. شكرت الرقيب فوزى وأخبرته بما دار فى اجتماع اليوم وطلبت منه تحريك رجاله بالقرب من طريق القاهرة السويس قريباً من منطقة الشركة الشرقية للبترو واحتمال أماكن جيدة للتعامل مع العدو، وحين سماع استغاثة أو نداء حرس سلاح فيجب أن تسرع ببعض الرجال وليس الجميع جهة نداء الاستغاثة لإنقاذ من أوقعه سوء حظه مع الإسرائيليين.

أسرع الرقيب فوزى للتنفيذ بينما توجهت لخيمتى وقمت بأشغال بعض الأخشاب الصغيرة، ووضعت إناء من أدوات التعيين به ماء كى أعد لنفسي مياه ساخنة لأحصل على حمام لأتخلص من إفرازات العرق والأثرية عن

الأيام الماضية والتي تعدت الثلاثة أيام، فمنذ انتهاء إجازتي وأنا فى شغل شاغل بالمهام والتحذيرات من هجمات مفاجئة للعدو، ومن بين المواقع المختارة موقعى هذا الكائن على طريق السويس القاهرة وبالتالى سوف تصبح الفصيلة عرضة لآى هجمات قادمة.

علقت سترة الأفرول على العمود الخشبى الملاصق لإناء تسخين المياه كى أتخلص من رائحة البنزين التى سقطت على أثناء تزويد سائق اللورى التابع لزميلى بالوقود، بطبعى لا أطيق رائحة البنزين ولهذا تصرفت على هذا المنوال وظللت مرتدياً باقى ملابسى إلى أن يحين وقت تسخين المياه وبالتالى أحصل على حمامى المنعش بعدها أتوجه لرجالى وأجلس بينهم أشد من أزرهم فإذا أقبل العدو كنا فى انتظاره، وإذا لم يحضر فنحن نشد أزر بعضنا البعض.

محمد العادل :

أقنعت ياسمين بأن أعود لوحدى لأننى تغيبت يومين وسوف يوقع على جزء بالحبس ولن ترانى قريباً مما أزعجها، فى نفس الوقت ضحكت من حديثى وبأنتى أرغب فى هجرها بعد أن شبعت من معيشتى معها تلك الفترة موضحة بأنك ضابط ولا يستطيع أحد أن يحبسك، مما جعلنى أسخر من نفسى وأردد فى داخلى أننى إنسان مزيف ولن أعود لمثل هذا العمل مرة ثانية، وسوف أظل مثل باقى الجنود الذين لا يزيفون شخصياتهم وينتحلون صفة الضباط.

بعد قليل سمعنا طرقاتاً على الباب حيث أخبرتنا حماتى نرجس بأن أحد الجنود التابعين لى يسأل عنى واستكملت حديثها بأن الجندى غير

مهذب ولم يسأل عن حضرة الضابط محمد العادل، بل سأل مباشرة أين محمد العادل وتطلب منى أن أوقع عليه جزاء كى يحترم الرتب العسكرية وخصوصا أمام العائلة التى قمت بمصاهرتها، أسرعت وهبطت والتقيت بزيملى الجندى سعيد مهنا وشعرت بفرحة عارمة للقائه وبعد تبادل التحية أخبرنى بتحذير الشاويش فوزى، وحينما سألته هل عاد الضابط عادل من إجازته أفاد بأنه عاد منذ يومين وعلم بأنك متغيب، والفصيلا تحتاج للورى الذى تتولى قيادته لأن باقى اللوارى فى مهمة بقيادة الجيش.

تركنى سعيد بعد أن أخبرته بأننى سوف ألقى به بعد قليل وقبل حلول ظلام الليل سوف أتواجد فى موقع الفصيلا، لكن أشد ما ضايقتنى هو ما أخبرنى به من انتظار الفصيلا لغارة إسرائيلية تتقمص رجال الشرطة العسكرية المصرية، ولهذا فكل من يقع حظه العاثر فى قبضتهم عليه أن يستغيث بندااء حرس سلاح كى تتجده أقرب وحده عسكرية قريبة فى موقع الحدث.

كنت راغباً فى ألا أضع علامات رتبة الضابط على كتفى لكن هذا الموقف غير الكثير من أفكارى ويجب علىّ بعد أذان العصر أن أغادر منزل العروس وأتوجه لموقع الفصيلا، وقبل ترك اللورى الذى سيوقعنى حظى فى أن ينقلنى سوف أخلع تلك الرتب وألقى بها فى الرمال حتى لا يرانى أحد بها بعد هذا، ولتذهب ياسمين وصديقاتها للجحيم فلا يجب علىّ أن أعرض نفسى مرة ثانية لمثل هذا الخطر، وكفى ما سوف يبالنى من تغييبى عن الموقع وسوف أستميل عطف قائد الفصيلا الذى علمت بأنه

سوف يصبح عدیل صديقه المهندس أحمد العزازى بلدياتى لأن يسامحنى تلك المرة ولن أعود إليها ثانية.

واقفت زوجتى ياسمين على أن أغادر عش الزوجية بعد أن علمت بأن أحد جنودى طلب عودتى لمهمة عاجلة، ودعتها وداع المحب، وقمت بتوصيتها بالمحافظة على ابنتا الذى بدأ يتكون فى أحشائها منذ عشرة أيام مما أسعدها كثيراً، قامت ياسمين برعاية ملابسى كى تشاهد أناقتى بزى الأفرول الذى أرتديه وتساءلت متى يضيف الجيش دبورة ثالثة على الائتنتين ضحكت من حديثها وقبلتها، سارت معى حتى الشارع الرئيسى وشاهدت إحدى لوارى الجيش تقف قريباً فسألت سائق اللورى إلى الجهة التى سوف يتوجه إليها، فأخبرنى بكثير من الاحترام أنه عائد لمعسكر وحدته بمنطقة الروبيكى القريبة من القاهرة مما أسعدنى كثيراً، طلبت منه أن يقلنى لموقع فضيلتى القريب من الشركة الشرقية للبتروى فوافق سعيداً لأنه عائد بمفرده وهو يخشى كمائن الجيش الإسرائيلى التى حذرت قيادة الجيش جميع الأفراد منها، هكذا ودعت العروس عائداً لموقعى ومازلت مصمماً أن أتخلص من رتبى العسكرية بعد مغادرة اللورى حتى لا يشاهدنى أحد من زملائى الجنود ويوشى بى.

كنت أجلس حالماً أثناء وجودى بداخل كيبنة السائق والذى كان يتحدث فى مواضيع مختلفة كى ينشط ذاكرته لأنه يعمل منذ عشرين ساعة ويحتاج للنوم، بينما كنت أعود لأحلام الواقع وتلك الجميلة التى ارتبطت بها وكان اسمها على مسمى (ياسمين) .. نبهنى السائق بقوله :

- " أفندم .. كشك الشرطة العسكرية جدامنا دوغرى " .

- " ولا يهملك .. يبقى معاك ظابط وخايف يا عسكري ؟ "
- " لا مش جصدي .. أنا خايف يكون البعدا الإسرائيليين "
- " متصدقش كلام الضباط الكبار ، دول عايزين يخوفوا العساكر عشان ما تتأخرش فى الإجازات "
- " ح أوجف اللورى يا فندم .. العسكري ببشاور "
- " أيوه وقفه وحنمشى على طول أول ما يشفىنى عسكري الشرطة " ..
- جندى الشرطة العسكرية يقترب من السائق متحدثا معه.
- " رخصك يا عسكري "
- " تفضل " يتحدث الضابط محمد العادل لجندى الشرطة العسكرية
- متسائلًا :
- " إيه يا شرطة .. مش شايفنى موجود فى العربية ؟ "
- " صحيح .. طيب اتفضل قابل القائد "
- " وماله .. فين القائد ده .. إيه شوية العساكر الملتفين حوليا " .. أحد جنود الشرطة يسأل الضابط :
- " ورنى الكارنيه بتاعك "
- " لأ .. محدش يشوف الكارنيه بتاعى " .. أحد جنود الشرطة العسكرية يعتدى على الضابط بالضرب باليد.
- " بتضررنى .. والله ح أشكيك للأكبر منك " .. بالعبوة حصل جنود الشرطة على كارنيه محمد العادل وأحدهم يقرأه:
- " كارنيه عسكري ولابس ظابط .. يا نصاب يا ابن الكلب، خد ... "
- " آه .. بتضررونى .. حرس سلاح .. حرس سلاح "

- " شاويش فوزى .. سامع حرس سلاح ".  
- " إضرب نار ناحية الصوت يا عسكرى أنت وهوه ".  
الضابط عادل :

سامع زيطة وحرس سلاح .. ما أسيب الميه إللى بتسخن وأجرى أشوف  
رجالة الفصيلة بتعمل إيه .. ياه .. ضرب نار .. باين الحكاية جد .. مش  
معقول .. سترة الأفرول .. سترة الأفرول .. ياه السترة أتحرقت بالخشبة إللى  
كنت معلقها .. أعمل إيه دلوقتى .. ألبس فائلة ضرب النار مش ح تعاكس  
ومش معقول أضيع وقتى فى السترة المحروقة .. الله يخرب بيت البنزين ..  
السترة إتحرقت باللى فيها .. المحفظة والفلوس والكارنيه العسكرى .. لسه  
صوت الضرب شغال .. دا الضرب من ناحيتين .. هما الإسرائيليين .

ياه المشوار طويل وح أتأخر عليهم، أقوم أدور لورى محمد العادل، دا  
مسايب المفتاح فيه .. كويس أهه .. الضرب جاى ناحية اللورى كمان ..  
كويس كده وحأطفى أنوار اللورى .. الشاويش فوزى يشاهد اللورى الساكن  
منذ أكثر من عشرة أيام يتحرك فى اتجاه المعركة فينادى :

- " عسكرى سعيد، شوف مين راكب اللورى ونبيهه أن اللورى فيه برميل  
مازوت مليون ويمكن ينضرب وتتحرق كلنا .. مين يارب يركب اللورى  
ويجرى بيه كده .. ما فيش غير المغفل محمد العادل تلاقيه رجع من  
أجازته من شويه وفضل نايم لحد ما سمع الضرب قام ركب اللورى وعازب  
يهرب ويروح لعروسته " .

- " حاضر يا شاويش فوزى " .

سائق اللورى الذى كان يستقله محمد العادل :

بعد أن توقفت باللورى وحضر جندى الشرطة العسكرية وطلب منى  
رخصة اللورى ورخصة القيادة والكارنيه العسكرى، صاح به حضرة الضابط  
الذى كان يركب بجوارى وطلب منه ألا يقوم بتعطيل اللورى الذى يستقله  
ضابط بالجيش، أشار جندى الشرطة إلى زميليه اللذين أقبلا وطلب من  
الضابط أن يترك اللورى ويتوجه معهما إلى القائد، قفز الضابط خلفهما  
متوعداً لهما مع بعض المسباب مثل عدم الفهم وسوف يدخلهم السجن  
وخلافه، توقف الجنديان والذين لاحظت أن ملبسهما مخالفة عما نرتديه.

طلب أحدهما من الضابط الكارنيه العسكرى فرفض فقام أحدهما  
بتكتيف الضابط وحصل منه على حافظته وبتفتيشها عثر على الكارنيه وقرأ  
ما به ونظر إلى زميله ضاحكا يخبره بأن الضابط الذى معنا مزيف وأنه  
جندى ويرتدى رُتب عسكرية، قال أحدهم ليلتك مهيبة عليك وعلى بلدك يا  
ابن الكلب وضربه باليوكس، مما دفع الضابط إلى الصياح مردداً حرس  
سلاح مما أضحك باقى جنود الشرطة العسكرية وأحدهم أمسك بيدي وسار  
بى بعيداً، وشاهدت طائرة هليكوبتر تقف بين الرمال بمنطقة منخفضة.

بعد قليل سمعت أصوات طلقات رصاص قادمة من الجهة الأخرى مما دفع  
بجندى الشرطة العسكرية بأن يأمرنى بالانبطاح وفى نفس الوقت دفعنى  
أرضاً، ثم تبعنى وشاهدت الطلقات المضيفة تمر من فوقنا لكن أشد ما  
أدهشنى أننى شاهدت سيارة لورى قادمة من الجهة التى تطلق الرصاص  
وكانت كشافاتها تضىء المنطقة مما دفع برجال الشرطة العسكرية  
الإسرائيلية لإطلاق الرصاص عليها، فأطلقت أنوارها ومازالت مسرعة فى  
اتجاه كشك الشرطة ومن داخلها أحد الجنود يطلق الرصاص وفجأة انفجرت

السيارة من قذيفة رجال الشرطة العسكرية التي تبين لى وتأكدت أيضاً بأنهم إسرائيليون وأن مصيرى القتل أو الأسر.

كان الانفجار شديداً ورغم ظلمة الليل إلا أن الدخان الداكن الكثيف ملأ سماء المنطقة حتى لم أعد أشاهد كشك الشرطة العسكرية الإسرائيلية، بل والطائرة الهليكوبتر فى الخلف كما شاهدت الجندى الإسرائيلى المجاور لى يمسح عن وجهه آثار دخان أسود مردداً:

- " المصريين المجرمين هاجمونا بعبوات دخان مركزة ويمكن فيها مواد وغازات كيماوية قاتلة، سمعته ينادى على بعض زملائه " حاييم، مورديخاي، موسى، إبراهيم، وغيرهم " .. ولم يسمع أى إجابة .. قفز من جوارى كالمجنون مردداً يا قتله وتوجه ناحيتى يضرينى فى وجهى بحذاءه ويدفع الرمال فى وجهى ومازال يصرخ حتى أقبل بعض زملاؤه وطلبوا منه حمل الأسير إلى الطائرة، وعندما سألتهم عن زملائه أجابوه بأنهم استطاعوا جمع رفات أربعة منهم وقد أحرقت النيران أجسادهم وتفحموا جميعاً مع مجموعة من الجنود المصريين.

الرقيب فوزى :

انتهت المعركة التى لم تدم سوى عشرة دقائق وفقدت الفصيلة سبعة من رجالها الشجعان وأيضاً الضابط عادل الذى تعرفنا عليه بصعوبة بالغة حيث أتت النار على جثمانه، ولم نستطع التعرف عليه سوى من رتبته العسكرية ورغم هذا لم نعثر فى داخل بقايا جيب الأفرول على حافظته أو الكارنيه العسكرى الخاص به، لقد كانت معركة شديدة الخطورة ورغم أن الجندى السائق محمد العادل تسبب فى تلك الحروق التى أتت على القتلى

إلا أن الانفجار الذي أتى على اللورى الذى كان يقوده قد تسبب فى هزيمة المعتدين الإسرائيليين الذين أسرعوا فى جمع ضحاياهم، وفروا إلى الطائرة الهليكوبتر التى طارت بهم بعد وصول العون من الطائرات القاذفة الإسرائيلية التى ألهمت المنطقة بقنابلها شديدة الانفجار.

كنا نبحث عن الجندى محمد العادل حتى عثرنا عليه مصاباً قريباً من موقع اللورى المدمر وقد فقد سترة الأفرول الخاصة به وأيضاً فقد تحقيق الشخصية العسكريه لكنه مازال على قيد الحياة، وقد لفحت النيران الشديدة بدخانها الأسود وجهه وجزء من نراعيه وقدميه، كنا فى حيره حينما وصلنا إلى جثمان الضابط عادل الذى كان يردد : " أنا مش عادل أنا العادل " .. مما دفعنا للبكاء عليه عندما خرجت روحه الطاهره لأنه بالفعل كان عادلا بيننا وكان اسما على مسمى، بل إن آخر قرار اتخذه ألا يرسل السائق محمد العادل بأوراقه إلى المحكمة العسكرية لغيابه لأكثر من ثمانية وأربعين ساعة عن موعد عودته دون إذن، وقرر أن يخصم تلك المدة من إجازته القادمة لكنه رحل عن دنيانا.

صباح اليوم التالى أقبلت قيادة الكتيبة وعاینوا موقع الحادث وأخبرناهم بكل ما حدث ولم نتطرق لما قام به الشهيد الملازم أول عادل من حماية الجندى السائق المتغيب من محمكة عسكرية، لكن الضباط قرروا أن الجندى محمد العادل كان شجاعاً ولولا اندفاعه باللورى ناحية المهاجمين لكانوا نفذوا خطتهم دون خسائر، رغم أن برمیل المازوت أثر على حالة الشهداء من حالة تفحم أجسادهم ومنهم الضابط عادل الذى لم يتبق من ملبسه إلا القليل وجزء من رتبته العسكرية دون باقى الوثائق.

## عودة محمد العادل لعائلته

قبل ظهر اليوم التالي كان جميع شهداء الفصيلة قد تم دفنهم بمقابر الشهداء بمنطقة المثلث غرب مدينة السويس، كان إخطار أهاليهم يحتاج إلى البيانات الشخصية الخاصة بهم، والتي لم يعثر للبعض منهم على تحقيق الشخصية العسكرية لهم، ورغم هذا كنا جميعاً على علم بعنواين هؤلاء الزملاء لهذا تقرر البحث عن عنوان الضابط عادل لأنه من أبناء السويس ومُهجر وكنا نسمعه يخبرنا بأنه كل فترة ينتقلون من مكان لآخر جاءت لنا فرصة طيبة حينما كنا نبحث بحاجياته وهناك شاهدنا بلوك نوت وبالإطلاع على مافيه لاحظنا أنه كتب خطاباً لزوجته يخبرها بموعد نزوله إجازة ويطلب منها الاتصال بزوج شقيقته المعلم عوض تاجر الخضر والفاكهة بسوق روض الفرج.

تم نقل الجندى المصاب محمد العادل (الضابط عادل) إلى مستشفى كوبرى القبة العمكرى للعلاج من الحروق التى أصيب بها، وكما قال الطبيب المعالج أنها من الدرجة الثالثة وهى حروق خطيرة أثرت بشكل عام على الوجه وجزء من الأطراف، كما تحركت مأموريات عدة للتوجه إلى عائلات الجنود لإخبار عائلاتهم بنبا استشهد أبنائهم، ومن ضمن تلك المأموريات مأمورية إلى وكالة الخضر والفاكهة بروض الفرج لإبلاغ المعلم عوض زوج شقيقة المرحوم الضابط عادل (محمد العادل المسائق) بنبا استشهاده.

أنهت المأموريات ما قامت به وعادوا يشملهم الحزن لما شاهدوه وعاصروه من حزن عائلات الشهداء ولم يتطرق أحد من زملاء الشهداء لوصف حالة أجساد الشهداء التي طالتها الحروق الشديدة كي لا تتسبب في زيادة حالة الحزن عند عائلاتهم التي فقدتهم، أما عن عائلة الضابط عادل فقد أخبرنا الضابط المكلف بتلك المأمورية بأنه التقى بالحاج عوض الذي تلقى الخبر بهدوء وسكينة مردداً : (إنا لله وإنه إليه راجعون).

المطمع عوض:

هذا يوم مثل باقى الأيام يمر على وعلى الآخرين ولا يفترق فى أى شىء، أخبار المعارك بيننا وبين العدو الإسرائيلى مازالت مستمرة منذ ثلاثة أعوام، وبالتالى لا يمض يوم من الأيام علينا دون سماعنا عن قُعد مصر لبعض شبابها بين شهيد وجريح، رن جرس التليفون فى الوكالة وقمت بالرد وجاعنى من الجانب الآخر صوت شخص هادىء يتكلم ببطىء وثقة وعرفنى بنفسه بأنه الرائد صفوت من إدارة سلاح المهندسين ويرغب فى لقائى ورحبت على الفور، ولهذا أخبرنى بأنه قادم على الفور ولن يمض نصف ساعة زمن يكون وقتها أمام الوكالة بسوق روض الفرج.

جلست ساهماً هائماً أفكر فى تلك المكالمة وتأكد لى أن سلاح المهندسين يرغب فى أن يتعامل معى وأصبح المورد الرئيسى لهم سواء للخضر أو الفاكهة مثل وحدات المنطقة المركزية، حمدت الله وأن الرزق قادم نحوى مهرولاً، تنبتهت من تأملاتى على توقف سيارة عسكرية أمام باب الوكالة وهبط منها ضابط وعرفنى بنفسه:

- "الرائد صفوت البحيرى".

- " أهلا بسيادة الرائد، محسوبك عوض فى خدمتك ".  
 - " كنت أرغب فى لقاء الحاج زكى خاطر نسيبك ".  
 - " خير يا حضرة الطابط ؟ ".  
 - " خير .. ممكن أقابله ؟ ".  
 - " تفضل نروح له البيت، هوه عايش معنا فى شُجة واحدة، البيت جريب،  
 خمس دجايج مشى ".  
 - " أنا عارف إنى عطلتك عن شغلك لكن الموضوع مهم ولازم أقوم به  
 على قدر المسؤولية ".  
 - " إنت كده وغوشتنى، متعرفنى بالحكاية جبل ما نروح للجماعة ونجولهم  
 وتبجى الحكاية مش ولابد، حضرة الطابط عادل عمل حاجه وحشه ؟ ".  
 - " لا أبدا .. كل حاجه بيعملها حلوه زييه، معلم عوض أنا جاى أقولكم  
 البقية فى حياتكم، الطابط عادل استشهد أول إمبراج فى معركة مع العدو  
 الإسرائيلى، مالك يا حاج عوض، إمك فى كتفى، عسكرى عثمان تعالى  
 بسرعة واسند معايا الحاج عوض ".  
 - " أنا بخير يا باشا .. بخير .. ربنا يبشرك بكل خير .. روح إنتى  
 وسيبلى الحكاية دية أعرفهم على مهل .. له أم وأخت وزوجة وأكيد ح  
 يصوتوا ويلطموا وفرجه ملهاش عوزه ".  
 - " طيب ممكن تمضى ليا على محضر إنك عرفت بالخبر ".  
 - " أمضى يا بيه، هوه فيه أعلى من الحياة والروح، إللى راح راح وعمره ما  
 ح يعود .. حتبجى إيه البصمه جيمتها ريح روحه الطاهره، مع السلامه  
 يا بيه ".

- " طمن العيله وإن كل مستحقاتهم المالية حتوصلهم بالتمام والكمال ".  
 - " مستحجات إيه، هو فيه بعد الروح حاجه تستحج إن النفر يفكر فيها  
 رينا يستر طريجكم وينصركم على أولاد الأبالة ".  
 \_ " كده لجيت نفسى أشيل أسوأ خبر فى حياتى والواجب على أن أنجله  
 للعيلة ومش عارف عم زكى ح يتحمل الخبر إزاي ولأ الست حماتى ومراتى  
 مديحة وإلا نسمة العروسة إالى معدش عليها شهر جواز".  
 لا أستطيع وصف ردود الأفعال التى حدثت سواء من صرخات زوجتى  
 المؤلمة أو من حالة الإغماء التى صاحبت حماتى أو من حالة السكون  
 والتيه التى أصبح عليها عم زكى خاطر، لقد إنقلب الحال وتجمع الجيران  
 وأصبحت العمارة تسكنها وتعيش فى داخلها الملابس السوداء والخدود  
 الحمراء من كثرة اللطم والنواح.  
 أجلس فى الوكالة كعانتى وأصبحت قليل الحديث وتركت لغلمانى أمر  
 البيع والشراء وأصبحت مراقباً لهم دون حديث مع ندرة الضحك، شاهدت  
 مصطفى بك مدير البنك قادماً نحوى مهرولاً متمسلاً هل صحيح الخبر  
 الذى نقله إلينا الصبى عيد الصغير بوفاة المهندس عادل، حركت رأسى  
 علامة التأكيد، بكى الرجل أمامى وحينما طلبت منه التماسك وألا يبكى  
 عليه أجاب : بأنه لا يبكى على الذى راح لكنه يبكى على المنتظر رواجه  
 طلبت منه التفسير فأخبرنى أن ابنته رجاء تسبب لها هذا الخبر بحالة  
 صدمة عصبية اصبحت ساكنة تنظر ببلاهة لمن حولها، ولا تستطيع  
 التركيز أو حتى الاستجابة لطلبات شقيقتها الصغرى التى تحتاج الرعاية  
 والإشراف.

مضى على هذا الحدث أسبوعاً كاملاً ثم جاء لزيارتي المعلم يونس والد زوجة الشهيد عادل وجلس معي حزيناً ويردد الدعاء للمغفور ويطلب من الله أن يثبت إيمان ابنته نسمة على قفد زوجها وأخبرني أن ابنته تلقت الخبر ساكنة صامتة، ولم تصرخ أو تولول وكل ما فعلته هو ارتداء الملابس السمراء لليل الحزن وامتعت عن التزين بالمساحيق وأصبحت شاردة الفكر تأتي من عملها لا تتحدث وتتناول طعامها بكميات قليلة دون رغبة وقد هزل بدننا خلال تلك الفترة، أما أمها فقد قضى الحزن عليها بعد أن أصبحت ابنتها أرملة والتي تنتظر مولودها الأول والأخير بعد ثمانية أشهر.

نسمة :

لا أستطيع وصف حالتى حينما بلغنى خبر وفاة عادل، لم أنزعج أو أصرخ أو ألطم الخدين، بل وقفت ساكنة أنظر لمن حولى فى دهشة شبه متسائلة : لماذا كل هذا الحزن ؟ إنسان لقي ربه فما الغريب فى هذا ونحن نعلم جميعاً بأننا سوف نلقى الله فى أوقات محددة لكل إنسان، قبل ثلاثة أيام من تلقى خبر استشهاد عادل شاهدت رؤيا وأن عادل يحيط بيديه ورأسه ووجهه الشاش الأبيض، ويقول لى كنت ح أروح فيها يا نسمة لكن عمر الشقى بقى، لسه مشبعش منك إزاي أمشى بدرى، يعنى أفضل منه بحالها معتقد إنك قابلت ربنا ولما أقابلك ونجوز أميب الدنيا بسرعة، مش معقول .. توافقى على كده .. دا يبقى ظلم.

وضعت يدى على فمه فقبلها وطلبت منه عدم الاعتراض على قدرة الله فضحك من حديثى مردداً بأنه كان يمزح معى وأنه مصاب بالفعل وسوف

يتم شفاؤه، لكن بعد وقت طويل وعليك الانتظار ومازال أمامنا حلم كبير نرغب في تحقيقه، ثم أوصاني بابنتي ودهشت بأننى لا أعرف هل المولود ولد أو بنت لكنه قال لى إنها فتاة يائعة مثل أمها، وقبلنى وتركنى ونهضت من نومى متسائلة ما الذى يخبئه القدر لى ؟

علمت من مديحة شقيقة عادل بأن أسرة رجاء فى حزن شديد لهذا الخبر، لا أعلم كيف وانتتى الشجاعة وتوجهت لزيارتهم دون موعد، مجرد أن شاهدتتى رجاء حتى اندفعت فى البكاء وألقت بنفسها على صدرى باكية مرددة الكثير من التعبيرات التى تقال فى مثل تلك الأحوال، انفتحت رجاء معى فى الحديث واعترفت لى أنها كانت تحب عادل بجنون ولم تكن تعرف أنه مرتبط ولم تكن تعرف بحادثة وفاتى بالإسماعيلية فقد أغلق عادل مفتاح خزانته على هذا الحادث وظل هذا الحادث يخصه هو وحده دون الآخرين.

كنت أشاهد عيون رجاء الباكية وأفكر فى داخلى، لقد تغيبت عن عادل عام وشهر ويحدث منه كل هذا، يلتقى بكريمان الطالبة بكلية الهندسة وأيضا يلتقى برجاء ويتزهران معا على كورنيش النيل بالمنطقة المحببة لنا لماذا كل هذا حدث منك يا عادل الذى اعترف لى بعد زواجنا بأسبوع بأن زميلنا أحمد العزازى حينما قام بزيارته ببلدته فى الشرقية أعد له عروساً جميلة صديقة خطيبته، ما دهاك يا عادل، لقد تركت مفتاح الكرار ولعب القط مع الفار، لم أعلق على تصرفات رجاء وشعرت بأن الفتاة فى حالة شديدة من الحزن رغم أنه قد تم قراءة الفاتحة على الطبيب كريم ابن صاحب العمارة.

### قيادة المنطقة الجنوبية العسكرية فى إسرائيل :

وقف الجنرال جونين قائد المنطقة العسكرية بوجه نقده اللازح لقائد قوة الإغارة التى تمت على طريق السويس القاهرة الصحراوى مردداً أقواله السابقة بأنها عملية فاشلة بامتياز، لقد فقدنا ثلاثة من أشهر وأعظم جنودنا حرقاً مع تدمير عربتين جيب وأصبح المصريون يتندرون علينا وتقوم بعض الوحدات الخلفية بعمل تمثيلية مضحكة عن رجال الشرطة العسكرية الإسرائيليين الفاشلين وتساءل لم تعودوا من تلك العملية إلا بالجثث الثلاث وأسر جندى، حتى الضابط الذى حاولتم أسره تبين أنه مزيف وأعتقد أن المخابرات المصرية دفعت به كى يلقاكم ويتم أسره ثم تقوم أجهزة الإعلام المصرية بفضح ما حدث.

### الضابط المصاب عادل :

كنت أقود اللورى بسرعة كبيرة، فقد شاهدت رجالى مشتكين مع قوات العدو الإسرائيلى التى تقوم بدور شرطة عسكرية كما سبق وتم إخبارنا، كنت راجباً فى الدخول باللورى بقوة فى منتصف القوة المعتدية وأثناء هذا كنت أسمع صوت يردد ( اللورى عليه برميل مازوت يا محمد يا العادل ) .. رغم هذا ظللت فى قيادة اللورى ودهشت كيف يقوم محمد العادل بقيادة اللورى فأنا الذى أتولى قيادته بعد أن فقدت سترة الأفرول الخاص بى وأرتدى بدلاً منها فائلة ضرب النار المشابه للبلوفر المصنوع من الصوف.

انطلقت نحوى دفعه من رشاش إسرائيلى فأطفاة أنوار اللورى وسرت فى الظلام معتمداً على إتجاه الطلقات الرصاص المتبادلة، سمعت صوت

ارتطام طلقات رصاص بجسم اللورى أعقبها إنفجار ضخم بيرميل المازوت الذى لم أشاهده من قبل وتطاير فى السماء، وشعرت بأننى أطير فى الهواء وسقطت أرضاً وشعرت بالأم شديدة كما سقطت فوقى بعض شظايا من اللورى المحترق، خلال هذا شعرت بأن جسدى تم شيه ولم أستطع أن أتبين أى شىء من حولى وشعرت وقتها بأن أجلى قارب وتلك نهاية حياتى، ولم أتذكر أى شىء آخر فى حياتى ورحت فى سبات وكنت خلال هذا أسمع بعض الأصوات التى كانت تردد اسمى وأنا لا أستطيع المحادثة أو التعبير.

كنت أشعر أن أيادى كثيرة تتلقفنى وأسمع أصوات تكرر محمد العادل ولم أعد أستطيع أن أميز بين محمد العادل وبينى فهل هذا هو اسمى أو أنه اسم شخص آخر، أشعر بأننى فى إحدى المستشفيات وأن البعض يقوم بفحص حالتى وسمعت معلومات كثيرة لكنها تؤكد أن الحالة صعبة للغاية وأن تلك الحروق من الدرجة الثالثة، وبدا أن هناك خلافاً بين الأطباء على وصف الحالة حيث قام أحدهم وأعتقد أنه رئيس المجموعة الطبية بتوضيح لماذا قرر بأن تلك الحروق تعتبر من الدرجة الثالثة حيث قال: إن الحرق الشديد من الدرجة الثانية التى لا يتم التعامل معها بصورة صحيحة يمكن أن تتسبب في وصول الحرق إلى المرحلة الثالثة، نتيجة انخفاض الدورة الدموية وتورم الأنسجة بينما حروق الدرجة الثالثة هي التي تدمر كل خلايا البشرة الأدمية سواء اللحمية أو العظمية.

إن ضحايا الحروق من الدرجة الثالثة قد يعانون من الخطر إذا تعرضت الأعصاب لنوع من التلف، وسوف يبدو الجلد كأنه جاف أو يني أو

أبيض أو متفحم اللون، ويمكن أن تحدث صدمة عصبية للمريض، في تلك الحالة من الواضح أن لون الجلد تغير إلى اللون الأسود المتفحم، ويمكن تغطية المنطقة المحترقة بضمادات معقمة رطبة، مع استخدام ملابس ومناشف نظيفة، ولهذا فقد أمر الطبيب بتطهير مكان الحروق دون عنف ووضع المطهرات عليه ثم تغطية أماكن الحروق بالضمادات المعقمة والشاش المغطى بمادة الفازلين الطبي لمنع التصاقه بالجلد الحى.

سمعت من الأحاديث المتبادلة يومياً بين الأطباء أثناء مرورهم على المرضى والمصابين أن تلك الحروق سوف تستغرق وقتاً أطول في الشفاء علي حسب شدتها، وسوف تتطلب الاستمرار فى العلاج فى المستشفى أيام أو أسابيع قد تتعدى الشهرين، وسوف يتطلب علاج الجلد التالف الدائم إلي عمليات تجميل أو عمليات ترقيع للجلد المصاب.

عائلة محمد العادل :

كنت أقوم برعاية الأرض الزراعية التى أعمل بها والتى تخص الحاج عزازى، فشاهدت عواد خفير العمدة قادماً وتوقف على رأس الحقل وأشار إليّ فتركت ما بيدي وأسرعت فى اتجاهه ملبياً إشارته لى وحينما وصلت إليه بادرنى قائلاً:

- " واد يا سغان .. حضرة العمدة عايزك فى الدوار حالاً " .. تسائلت :

- " فيه حاجه يا عواد ؟ " .

- " إيوه ياوله .. أنا جايّ أهزر معاك وإلا أهزر معاك .. إنفض إللى فى يدك وورايها دوغرى على الدوار ".

- " حاضر يا عواد .. رتيبة .. ياولية .. إنتى يا أم محمد ".

- " خبر أيه يا سعفان .. مالك عامل دوشه كده ليه ؟ ".

- " حضرة العمدة عايزنى فى الدوار .. ربع ساعة وأرجعلك .. فكى الجاموسة من الساجيه وحطى جدامها شوية خضرة لحد ما أرجع .. أنا جاهز يا عواد ".

كنت أسير خلف عواد وأنا أفكر لماذا العمدة أسرع فى طلبى، لو كان شيئاً غير مهم لانتظر إلى بعد العصر حتى أنتهى من أعمالى ولكنه يلح فى طلبى ولا بد أن الأمر مهم، ربنا يسترها يا سعفان .. سمعت صوت عودة يصرخ فىّ بأن أتبعه لداخل الدوار وهناك وجدت شخصاً يرتدى ملابس الجيش يجلس قريباً من العمدة فتوجست خيفة، لأننى أعلم أن أى شاب من شباب البلد جُند بالجيش وفى حالة استشهادة يرسلون بمندوب ليخبر أسرته، توقفت لاهت الأنفاس وانظر للاثنين معاً وشعر العمدة بما يعتمل فى صدرى فطلب منى الجلوس، وبعد تردد جلست أرضاً كعادتنا فى حضور حضرة العمدة الذى أشار إلى المقعد الخشبي المجاور له بأن أجلس عليه وفى تلك اللحظة شعرت بأن كارثة أطبقت على صدرى وفرت الدموع من عيني لكنه أسرع يردد بعض الكلمات كى يهدىء من توترى :

- " خير يا سعفان .. حضرة الصول جاى دوغرى من الوحدة إالى المحروس ابنك مجند فيها، عَرَفَه يا حضرة الصول باللى جلتَه ليا من شوية ".

- " أهلا عم سعفان، متخضش، الحكاية جت بسيطة، ابنك محمد بخير ورينا سترها لكنه بطل وجام بالحرب مع العدو لكنه مصاب ودلوجتى يتم علاجه فى مستشفى الجيش، أيوه مستشفى الحلمية العسكرية الموجودة بمصر جريبه من منطجة تجنيد القاهرة فى حى الحلمية، محجوز هناك فى جسم الخروج ممكن تزوح تزوره وتطمئن عليه ".

- " رينا يطمئن جلك يا حضرة الصول، يعنى الواد لسه عايش وفيه الروح ؟ ".

- " أيوه طبعا، ما أنا جلتاك أنه بيتعالج ورينا كان معاه، أسبيكم دلوجتى ".

هكذا غادر حضرة الصول دوار العمدة الذى أسرع فى وداعه حتى السيارة التابعة للجيش والتي كانت تنتظر فى منطقة الجرن الواسعة لأن تلك السيارة كبيرة الحجم ولا يمكنها الدخول حتى دوار العمدة، لأن الشوارع ضيقة ولا تسمح بالمرور إلا للبنى آدمين والحمير التى تحمل السباخ أسرع بالتوجه للحقل وهناك إستقبلتني زوجتى رتيبة متسائلة عما كان يريده العمدة، فجلست وطلبت منها إحضار قلة المياه كى أشرب بعض الماء نظراً لجفاف حلقى مما اعترانى من الخوف، بعدها حمدت الله

وأخبرتها بما حدث وسرعان ما أطلقت بعض العويل تجمع على أثره بعض نفر من الحقول المجاورة للاستقمار عما حدث وقامت النسوة بإستكمال معزوفة العويل بينما الرجال صرخت فى النساء بأن تكف عن هذا العويل الذى هو تشير شؤم على الشاب، لأنه مصاب وسوف يعالج ويعود مفرود القوام يمسير مختالاً بزیه العسكرى كما كان يفعل فى السابق.

اليوم التالى منذ الصباح ركبنا مواصلة حتى مدينة الزقازيق ومنها ركبنا القطار لمدينة القاهرة وفى المحطة سألت البعض عن الحلمية وكيفية الوصول إليها فدلنى البعض على ركوب الأتوبيس رقم ٢٨ الذى يصل إلى الحلمية، وطلبوا منى أن أخبر السائق بطلبى بالنزول فى محطة مستشفى الحلمية العسكرى وكانت زوجتى تمسير بجوارى وتكاد تسقط أرضاً من لهفتها على رؤية ابنتنا محمد، رغم أن لدينا ثلاثة شباب لكنهم لم يصلوا لمن الجندية بعد.

توقف السائق مردداً : (مستشفى الحلمية قدامنا أهه يا بلدينا) .. غادرت الأتوبيس مسرعاً بينما لحقت بى زوجتى ولم تلاحظ ارتفاع سلم الأتوبيس فسقطت أرضاً على وجهها وعاونها بعض المارة على الوقوف والبعض أحضر لها كوباً من الماء، على باب المستشفى تساعل جندى الحراسة عما نريده وأخبرته بأننى والد الجندى مجند محمد العادل، بعد قليل حضر زميل له وطلب منا أن نسير خلفه ودخلنا إلى مبنى المستشفى وكنا نشاهد الجنود المصابين بردهات الممر وهم فى طريقهم للعلاج والبعض منهم يضع الجبس الأبيض حول ساقه أو ذراعيه حتى وصلنا إلى باب متسع به العديد

من الجنود المصابين، وتساءل الجندي الذى نسير برفقته أحد الممرضات عن الجندي المصاب بالحروق واسمه محمد العادل فسارت برفقتنا وهى تنظر إلينا وتقول :

- " إنتم والده ووالدته ؟ "

حركت رأسى مجيباً بأننا بالفعل والداه، دخلنا إلى العنبر ولم نتعرف على ابنا لكنها أشارت لأحد المصابين الذى غطى وجهه بالشاش وبعض الجبس حول ساقيه، اندفعت زوجتى رتيبة تنادى عليه لكنه لم يستجب لنا وطلبت منا الممرضة ألا نزعجه لأنه قادم من جبهة القتال منذ ثلاثة أيام طمأنتنا على حاله وأن أمامه شهر على الأقل ويغادر المستشفى بعد أن تتحسن أحواله الصحية، جلسنا بعض الوقت وأقبلت رئيسة الممرضات وطلبت من الزوار مغادرة المكان وأن الزيارة تبدأ من الساعة العاشرة صباحاً حتى الواحدة ظهراً ويمكن لأى منكم الزيارة يومياً دون رسوم تدفع وكررت تلك الجملة مرتين.

هكذا عُدنا إلى قريتنا والوجوم والسكون يسيطران علينا وشعرنا بأن ولدنا محمد إصابته شديدة، وكنا ندعو الله أن يمنحه الشفاء قريباً وقد خفف حزننا على إصابته مشاهدتنا للكثير من الجنود والضباط المصابين القادمين بسيارات الإسعاف التابعة للجيش تحمل العديد منهم.

اليوم التالي جاء إلى الحقل المهندس أحمد العزازى ابن صاحب الأرض حينما وصل إلى علمه إصابة ابنتنا محمد، فقد حصل على إجازته الشهرية ولم يعلم بالحادث إلا فى المساء وطمأننى على ابنى وأنه سوف يتحدث مع صديقه الضابط عادل الذى حضر لزيارتنا أكثر من مرة، وتناول طعامه فى الحقل وتذكرت هذا الضابط ودعوت للمهندس أحمد بالصحة ولا ينسى هذا الأمر.

أحمد العزازى :

تأثرت لما أصاب محمد العادل هذا الشاب الأنيق الذى كان يسير بملابس الجيش مختالاً بنفسه، عدت إلى وحدتى وقررت التوجه إلى فصيلة المهندسين التى يتولى قيادتها زميلى عادل، وهناك كانت الصدمة القاسية حيث أخبرنى الرقيب فوزى بأن الضابط عادل نال الشهادة فى تلك المعركة مع جنود العدو الذين أتوا للمنطقة كأنهم رجال الشرطة العسكرية وأسهب فى الحديث وبأن الجندى محمد العادل كان فى إجازة زواج وتغيب يومين ورغم هذا رفض الشهيد عادل أن نحرر له شهادة غياب، وأرسلنا أحد الجنود فى طلبه الذى عاد وأخبرنا بأن محمد العادل سوف يأتى للفصيلة بعد العصر.

حضر محمد العادل ولم نشاهده حيث أقبل من المنطقة الخلفية وشاهد المعركة فأسرع بقيادة اللورى الذى يتولى قيادته متجهاً بسرعة غير عادية فى اتجاه قوات الأعداء، وكنا نصرخ فيه بأن يتوقف لأن فى صنوق اللورى

برميل مازوت ومن المحتمل أن تخترقه رصاصات العدو التي كانت تبادلنا إطلاق النار لكنه لم يسمعنا وهجم على كمين العدو باللورى وانفجر اللورى ببرميل المازوت فحرق الجميع ومن بينهم الضابط عادل وبعض جنود العدو، وتدمرت ثلاث سيارات جيب للعدو الذى فر هارباً بعد أن تدخلت قواته الجوية فى المعركة حتى تتمكن الطائرات الهليكوبتر من الفرار بعد أن شاهد بعض قواتنا تحضر مسرحة للدخول فى المعركة.

لكن من المؤكد أن إصابات شديدة لحقت به، لقد كان الشهيد عادل دمث الأخلاق حيث كان يردد وهو فى حالة احتراق تام أنا العادل أنا العادل، لقد كان يوصينا على محمد العادل الذى اكتشفنا أن النيران لحقت به ووجدناه يبعد عن أرض المعركة بحوالى مائتى متر وقد غطت الحروق جزءاً كبيراً من وجهه وبعض أجزاء من ساقيه ولم يدلنا على جنمان الضابط عادل سوى بقايا رتبته العسكرية.

عدت إلى وحدتى حزناً كبيراً فقد أصيب عادل إصابات جسيمة أدت إلى وفاته وقررت فى الإجازة التالية أن أقوم بزيارة الجندى محمد العادل بلدياى وأن أطيب من خاطره، فى تلك الفترة ظلت أعتصر الألم النفسى وأتذكر زميلى عادل أثناء الدراسة وقصة حبه لزميلتنا نسمة والتي انتهت بوفاتها تحت أنقاض العمارة التي كانت تسكن فيها أمام عينية بأحد شوارع الإسماعيلية فى بداية شهر مارس من العام الماضى يوم استشهاد الفريق عبدالمنعم رياض، لقد رحل عادل ليلحق بحبيته فى الفردوس الأعلى.

هذا يوم أجازتى وهناك فى قرىتى أخبرت خطيبتى نبأ استشهاد عادل وحزنت كثيراً وفرت الدموع من عينيها وأخبرتتى بأن صديقتها جواهر كانت قد طلبت منها أن أخبرك بدعوة عادل لزيارة قريتنا مرة أخرى، لأنها ازدادت إعجاباً بشخصه وأنها كانت تعول بأن من المحتمل أن يُعجب بها ويتخذها زوجة، اليوم التالى أخبرت عم سغان نبأ استشهاد زميلى عادل يوم إصابه ابنه محمد وبكاه الرجل كثيراً هو وزوجته.

باسمين زوجة محمد العادل :

بعد أن سافر محمد إلى وحدته لانتهاه الإجازة التى حصل عليها للزواج انتابتنى حالة مزدوجة من السعادة والخوف، كانت سعادتى لا مثيل لها محمد رقيق المشاعر والأحاسيس ويحببنى بكل جوارحه ودائماً يسمعنى أعذب الكلمات ويثنى على جمالى وفتنتى ودائماً ما يكرر كلماته بأنه سوف يفقدنى حين عودته لوحده، وسوف ينتظر حصوله على إجازة بفارغ الصبر بالإضافة إلى أنه سوف يقوم بكل مأمورية لمدينة فايد من أجل أن يرانى ويجلس بجوارى ولو لمدة ساعة زمن.

أما عن مشاعر الخوف والرهبة كانت خميتى على حياته كبيرة نظراً للحرب الدائرة بين المصريين والإسرائيليين ونحن نعيش قريباً من مواقع القتال، ونعلم الكثير عن الإصابات التى تلحق بالضباط والجنود المصريين وأعداد الشهداء الذين يقعون كل يوم فى مواقع كثيرة بجهة القتال، ودائماً ما كانت بعض صديقاتى يطلبن منى أن أقوم برقى محمد زوجى نظراً

لوسامته وهو يرتدى لباس الضباط، وأنه لا يقل عن بعضهم وسامة إن لم يزد ويتفوق على البعض منهم.

مضت أيام كثيرة وأسابيع متتالية ولم يأت محمد لزيارتي وكأنه كان ينتظر الزواج ولياليه الجميلة كما كان يعبر عن ذلك، لا أعرف سبباً لهذا وتشاورت مع بعض صديقاتي اللاتي أيدن أن تلك حالة عامة في جميع وحدات الجيش لأن الطيران الإسرائيلي يطارد سيارات الجيش ويقصفها ويقتل من فيها، وما أيد حديثهن هذا هو عدم حضور أحد من جنوده الذين كانوا يتبعونه بل وينتظرونه بجوار اللورى الذى ينقله بعد شراء ما يحتاجون إليه من شاي وسكر ومسجائر وأشياء تخص الجنود ولا تتوافر في وحدات الجيش كما كان يصرح.

أنتظر حضور الجندى سعيد الذى علمت من محمد أنه الجندى الذى يعمل مراسله لديه أى الذى يقوم بخدمته، أنا فى دهشة إذا لم يكن محمد قادراً على زيارتي لظروف العمل ألا يفكر فى أن يرسل الجندى سعيد لى برسالة كى يطمئن على حالى وحالة الحمل التى تعدت الشهرين حتى الآن والذى أسعدته بل وأسعدت والديه أصحاب الأرض الزراعية التى شهدتهم يعملون فيها رغم أن منزلهم قليل الإمكانات لكنه أكد لى أن هذا هو وضع منازل الفلاحين فى الريف.

كل يوم أثناء صلاتى سوف أدعو الله بأن يأتى محمد حبيبي وزوجى لزيارتي ولو لليلة واحدة سوف أسعده خلالها حتى يعود لوحده كأسعد زوج

وإذا لم يتمكن سوف أدعو الله بأن يأتي أحد جنوده وليكن الجندي سعيد ولهذا طلبت من أبي بخيت أن يخبرني مجرد أن يشاهد أحد جنود زوجي قريباً منه وهو يعرفهم جميعاً.

كنت أجلس في منزلي ودائماً كانت صورة محمد وهو يرتدى رتب الضباط ماثلة في خيالي وقد وعدني بأنه بعد ثلاثة أشهر سوف يحصل على الرتبة الأعلى ويضع على كتفيه نجوماً ثلاثة بدلاً من اثنتين، سمعت طرقاتاً على باب المنزل وشاهدت عرفه صبي المخبز ومعه سعيد الجندي الذي يعمل مع محمد زوجي الحبيب.

أسرعت للترحيب به وسألته عن العادل فأخبرني بالخبر الصادم بأن محمد أصيب أثناء معركة مع العدو وراح ضحيتها قائد الفصيلة وأربعة جنود من زملائه، بينما أصيب محمد ببعض الحروق ونقل للعلاج في مستشفى الحلمية العسكري وعلمنا من الضابط المسؤول عن تسليم المرتبات للمصابين بأنه خرج من المستشفى وعاد إلى بلده في إجازة مرضية ولن يعود للوحدة ثانية حيث ألحق على الرئاسة بالقاهرة لكنه في إجازة طويلة.

كانت دموعي تتساب ويكيت كثيراً ورغم هذا صحت فيه بصوت مرتفع

مرددة :

- " عمّال تقول عليه محمد العادل ومبتقولشنى حضرة الظابط محمد ليه عشان بعد عنكم تقوموا تتسوه ". شاهدت الجندى سعيد ينظر إلى فى دهشة ولم يعلق وترك المكان عائداً لوحده.

الجندى سعيد مهنا :

أنهيت مهمتى والتي طلبها منى الرقيب فوزى بأن أخبر زوجة محمد العادل بنبأ إصابته فى الحرب وأين يعالج وأنه غادر المستشفى منذ عدة أيام عائداً إلى قريته، أثناء حديثى مع المشاويش فوزى أخبرته بما قالته ياسمين زوجة محمد بأننى لا أقول عنه حضرة الظابط محمد، توقف الرقيب فوزى عن الحديث ونظر إلى بدهشة وهو يردد :

- " هوه الجدع ده كان لسه مصمم إنه ظابط، تلاقيه عرف مرته بأنه ظابط كبير ".

- " يمكن يا رقيب فوزى ".

- " تعرف يا سعيد يمكن حصل لخبطة وافتكرونا أن محمد العادل هوه الظابط عادل والظابط عادل أتعرفنا عليه أنه محمد العادل، لو حصل كده تبقى مصيبه وحنروح كلنا فى داهية ".

- " ولا داهيه ولا حاجة، واحد مات متقم ولابس رتبة ملازم أول يبقى الظابط عادل، والتانى كان لابس فائلة ضرب النار، لو مش الضابط عادل

تبقى فين رتب الضابط عادل، خليها في سرك وبلاش نلت في الموضوع ده  
والا حنكون بلغنا القيادة ببلاغ كاذب والظابط عادل مات واندفن في مقابر  
الشهدا ومحمد راح المستشفى وباقي العساكر تعرفنا عليهم سواء من جزء  
من شكلهم أو من الكارنية العسكرية إالى في جيب كل واحد ."

## محمد العادل بقريته

كنت أتلقى العلاج في مستشفى الحلمية العسكرى وقد أصبت بحالة من العمى فلا أشاهد أى شخص يأتى لزيارتي أو لعلاجى، ولكن تبين لى من أحاديث الأطباء الذى كان يتم باللغة الإنجليزية أن حالة بشرتى سيئة للغاية وقد تقحم جزء كبير من وجهى، ولم يطل أنناى وأن الجفون أصابها التلف ولا علاج لى إلا فى خارج الوطن وهذا صعب فى تلك الظروف ومن يمكن أن يهتم بعلاج جندى على نفقة الدولة بالخارج.

قرر الأطباء أنه لعلاج حروق الدرجة الثانية التي تقل في قطرها عن ثلاث بوصات، يجب تهئة المنطقة المصابة من خلال وضع الكمادات الباردة علي المنطقة المصابة أو استخدام الماء البارد عليها حتي ينحسر الألم ويتم وضع ضمادات شاش معقم علي المنطقة المصابة واستخدام بعضاً من المسكنات الطبية مع المريض للتخلص من الألم كما يجب استخدام الواقيات من الشمس وتجنب أشعتها لأن هذا قد يتسبب في مزيد من التغييرات الصبغية لأن حروق الدرجة الثانية كانت من النوع العميق.

كنت أستمع لنداء هيئة التمريض لى باسم محمد ولا أتذكر أن هذا اسمى وفي نفس الوقت لا أتذكر اسمى الحقيقى حتى أن من قام بزيارتي يدعون أنهما والدى لم أسمع عنهم قبل هذا، من أكون ولماذا فقدت الذاكرة والنطق ولم يعد يعمل من حواسى سوى السمع والشم.

غادرت المستشفى بصحبة والدى وأخى الأصغر وأقلتنا سيارة أجرة حتى وصلنا إلى القرية، كنت أعلم كل تلك التفاصيل من الأحاديث المتبادلة بينهم، مجرد وصول السيارة سمعت أصوات مرتفعة تشكر الله على نجاتي من الموت على يد الأعداء وتبرز البطولات التي قمت بها والتي لا أعرف عنها شيئاً ولا أعلم من أين حصلوا على تلك المعلومات الزائفة، أقبل العديد من أهل القرية لزيارتي ولا أعلم عنهم شيئاً لكن إحدى الزيارات تمت وشعرت بأننى أعرف الزائر الذى أخبرنى بأنه المهندس أحمد العزازى زميل الشهيد عادل خاطر.

أتذكر اسم عادل خاطر هذا، أتساءل أين التقيت به، أنا لا أتذكر أى شىء سوى أننى كنت أقوم بكتابة خطاب وسمعت نداء حرس سلاح أعقبه سماع إطلاق نيران الأسلحة الصغيرة المتبادل مع الأعداء، أسرعت أبحث عن سترة أفرولى فوجدت أن النار أتت عليها وعلى حافظة نقودى وما بها من أوراق مهمة وتحقيق الشخصية العسكرية، ارتديت فائلة ضرب النار ووقفت إلى كبينة اللورى الذى يتولى قيادته الجندى السائق محمد العادل الغائب عن الفصيلة، سمعت أصوات تنادى بأن فى صندوق السيارة برمىل مازوت، لم أهتم أو أفهم معنى تلك الجملة، فقد كنت فى عجلة من أمرى أبغى اقتحام الكمين باللورى ولكن الأعداء أصابوا اللورى ولم أعد أتذكر سوى أننى أطير فى الهواء وسقطت أرضاً، شعرت بالنيران تلهب وجهى وبعض أجزاء من جسدى بعدها سمعت لغطا بأن محمد العادل أصيب.

أشعر بدوار فى رأسى ولا أعلم هل أنا محمد العادل أو شخصاً آخر، سوف أترك كل شىء على حاله وما هى حكاية الضابط عادل الذى نال الشهادة، كنت أعتقد أننى الضابط عادل لكن كل اعتقادى هذا ضاع أدراج الرياح فقد تأكدت أن الضابط عادل لقى الشهادة ونُفن، لا أعتقد أننى محمد العادل هذا .. أه رأسى سوف تتفجر من التفكير، تنبتهت على صوت سيدة تتحدث خارج الحجرة التى أقيم فيها بتلك الدار وتخبر صديقتها بأن محمد العادل وجهه يخيف أى إنسان وأنه مثل وجه البومة، لقد عرفت شكلى الآن، فأنا مثل البومة لكن البومة لها عيان وتشاهد وأنا أصبحت كفيفاً لا أبصر.

فى نت أتردد على مركز تاهيل المحاربين بمنطقة العجوزة كما سبق وأخبرنى أبى، قامت أمى بوضع غطاء على وجهى كى لا أتسبب فى نشر الخوف لكل من يشاهدنى، هكذا سمعت صوتها وهى تتحدث مع الرجل الذى يقول إنه أبى، بعد عدة أشهر من العلاج الطبيعى ووضع بعض الأدوية والكريمات على الجلد شاهدت الضوء بحيز ضيق من بين أحد الجفون التى استطاع الأطباء علاجها علاجاً جزئياً وتليين الجلد المحترق، أحد الأيام شاهدت فتاتين جميلتين أقبلتا نحو الحقل وجلستا معى لفترة من الزمن تقدمان مواسمتهما لى بأن الشفاء قادم بإنن الله، تأكد لى أننى شاهدت إحداهن وحينما تحدثتا سمعت أن إحداهما تدعى فواكه والأخرى جواهر، لا أعلم كيف عانت بى بعضاً من الذاكرة مع سماعى لتلك الأسماء التى ظلت ترن فى أذنى وهى أسماء غريبة على أذنى.

كان أبى يصطحبني كل يوم للجلوس على رأس الحقل مستنداً بظهرى على جزع شجرة سمعت أنها شجرة المنط ويأتون لى بالطعام والشراب وكان بعض وجهاء القرية يأتون للحديث معى محاولين تذكيرى بما كنت أقوم به، تطور الحال إلا أن البعض منهم كان يضع فى حجرى وأنا أرتدى الجلابب بعض النقود، وتطور الأمر بأن أصبح هذا هو حالى بأن يقوم العديد من الناس بمنحى بعض النقود ويقوم أبى أو أمى بالدعاء لهم ويكثر من خيرهم ويجازيهم الله على حُسن صنيعهم مع ابننا الذى أصبح عاجزاً.

أثناء جلوسى المعتاد سمعت صوت نساء وإحداهن تبكى بشدة وأقبلت نحوى ووقفت وكنت أشاهد بصيصاً من وجهها، كانت فتاة بيضاء جميلة الشكل وضربت على صدرها وهى تتوح بما أصاب زوجها الحبيب عادل، وجلست بجوارى تبكى تارة وتتحدث معى تارة بأنها زوجتى ياسمين وأنها حامل فى الشهر الثالث ويجب علىّ أن أشد حيلى كى أشاهد المولود القادم نتاج ثمرة حبنا.

أقبل أحد شباب القرية وعرفت من حديثه مع السيدة التى تدعى أنها زوجتى ياسمين وتحدث الاثنان معا وأخبرته كيف يحدث هذا لضابط بالجيش، نظر إليها الصديق المجهول بالنسبة لى متسائلاً من هو ضابط الجيش التى تقصده فأشارت نحوى وهى تردد:

- "الضابط العادل سغان" .. سمعت ضحكة صغيرة من هذا الصديق الذى قال لها :

- " ده محمد العادل بن عم سعفان الفلاح إल्ली بيشتغل فى الغيط ده، لا هوه لا ظابط ولا حاجه، ده عسكرى فى الجيش " .

سمعتها تصرخ فيه وتسبه وحضر على إثر هذا والدى ووالدتى وتساءلاً عما حدث فأخبرتتهما ياسمين بما قاله الصديق فأيدا حديثه وأن هذا ابننا محمد العادل عسكرى الجيش، وتلك أرض أحد الأعيان وأنا أعمل فيها وليست ملكا لنا، بكت ياسمين وشهقت وهى تردد :

- " يا خبتك القوية يا ياسمين، طلع بختك عسكرى فقير، يا فرحة عدوينك والشمتانين إल्ली ح يفرحوا فيكى " .

اليوم التالى لم تحضر ياسمين وسمعت أبى سعفان يخبر أحد الفلاحين جيرانه بأن زوجة محمد ابنى سافرت وتركت الدار وطلبت منى أن أخبر محمد بتطليقها، حدث حوار بين الاثنين وعلى أثره أخبره جاره الفلاح بأن البنية لها حق، لأن محمد أصبح لا ينفع طبله ولا طار، الآن علمت حقيقتى المرة، لقد أصبحت دون فائدة ومن تدعى أنها زوجتى رفضتتى وطفشت وتطلب الطلاق وأنتى لا أنفع طبله ولا طار وأصبحت أتلقى الإحسان على قارعة الطريق سرعان ما تحول إلى هذا بأن قام أحد إخوتى بمرافقتى واجلسنى فى مكان ما وبجوارى صنوق أو سبت لا أعرف ما هو، علمت فيما بعد أن هذا المكان هو مقابر البلدة وأن النسوة تأتى كل خميس كى تتصدق على أمثالى ببعض الفطائر والفاكهة والبلح وتطلب منى الدعاء بالرحمة على نويهم وهكذا أصبحت من أصحاب طلب الصدقة فى المقابر .

وصل بى الحال بأن بعض أهل البلدة أكدوا للأخريين أن محمد العادل مبروك ورينا بيستجيب لدعائه ولهذا ازدادت الصدقات والمنح وأصبحت دار أبى مزاراً للمرضى وأصحاب الحاجة، وكل واحد منهم يمسك بيدي المحترقة ويدفع بها إلى جسده كى أرقيه مما ألم به وتناثرت الحكاوى والروايات فى القرية بأن محمد العادل مبروك وسره باتع، وتطور الأمر إلى قيام بعض نساء القرية اللاتى حرمهن القدر من الإنجاب بالحضور إلى الدار والهمس فى أذن أمى بأن الشيخ فلان طلب منهن الاستحمام بماء بارد فى حضرة محمد العادل، وهو كفيف ولن يراكم أو يشاهدكن وهو أخرس ولن يتحدث، ومن أجل هذا فقد كرمه الله وكشف عنه حجاب المستقبل والأسرار وأى فرد يقوم بالدعاء أمامه سوف يلبي الله لهم حاجاتهم.

قرر أحد أثرياء القرية أن أقيم بأحد الدور الصغيرة التى تبرع بها كى تصبح مزاراً لأهل الحاجة من القرى المجاورة نظراً لزيادة أعداد أصحاب الحاجة مما أدى إلى ازدحام طرق وممرات القرية، كما تطور الأمر إلى حضور بعض الفتيات اللاتى يرغبن فى الزواج من أحد الشباب أو أحد الرجال وتهمس صاحبة الحاجة فى أذنى بما ترغب وتتفوه بكلمات غريبة على سمعى، جميعها تدور حول الحب والرغبة فى معاشرة هذا أو ذاك، لم أكن أبدي أى تصرف بل مازلت على عهدى بالجلوس صامتة لا أتحرك إلا حين قضاء الحاجة فيصلطحبنى شقيقى الأصغر لدورة المياه أعود بعدها إلى مكانى.

حينما كنت أسير إليه برغبتى فى الوضوء والصلاة يتهلل أبناء القرية  
لمرى الباتع الذى هبط على من السماء، فى أحد الأيام حدث موقف مماثل  
أشرت فيه لأخى بالحضور كى يصحبنى إلى ظلمبة المياه للوضوء  
والصلاة وفى تلك اللحظة كانت القرية تتبع جنمان توفى صباح اليوم إلى  
المدافن فشهد أحدهم يدى تلوح فى الهواء فاعتقد أننى ألوح لهم بأن هذا  
المتوفى من أهل الخير وأن مثواه الجنة وسوف يجرى مسرعاً إلى مدفنه،  
تعالى الأصوات مهللة : " (الله أكبر) .. الحاج طعيمة بيجرى عشان  
مستعجل لأنه شاف مكانة فى الجنة، الشيخ محمد العادل شاف كده وهو  
كفيف وشاور له بأن يجرى للقبر لعشان الملايكة مستنيه " .. هرول أبناء  
القرية خلف الجنمان وتوقف النحيب والعويل واستبدل بالزغاريد القوية وهلل  
الرجال بصيحة الله أكبر وانقلب مآتم القرية إلى فرحة عارمة لوصول أحد  
أبناء القرية للجنة الموعودة.

لكن الشئ المدهش أننى كنت أسمع تعليقات نساء القرية لبعضهن  
البعض بأن الله استجاب لمحمد العادل وأن سره باتع وحملت فلانة وأنجبت،  
وأخرى تشيد ببركاتى ويأن من كانت ترغبه زوجاً لها أقبل يطلب يدها  
وودها، بل وصل الأمر إذا حدث عراك أو خلاف بين رجل وزوجته بأن  
تحذره بأنها سوف تقوم بزيارة محمد العادل وأن اسمه على مسمى حتى  
يقتص منك فيرتدع الزوج فى الحال، كل هذا عاد على أسرتى بالخير  
الوفير بالإضافة إلى الراتب الشهري الذى كان يصل لأسرتى من الجيش.

بعد مُضى عدة أشهر أصبحت خلالها من مشاهير القرية بل من مشاهير المنطقة حيث أقبل العديد من أبناء وبنات القرى المجاورة لزيارتي والحصول على البركة والدعم ولم أكن أتحدث سوى بكلمة (عَدَّ) .. فى البداية كان الناس يطلبون التوضيح لكن أحد المثقفين أخبرهم أن تلك الكلمة المكونة من حرفين تعنى (وَعَدَّ) لكنه لا يستطيع نطق حرف الواو، ومن أجل هذا أصبح عمدة القرية يتباهى بأن فى بيته أحد العارفين المقربين من الله، بل إن بعضهم ذكر أن محمد العادل من أهل الخطوة وأنه يستطيع أن يخطو خطوة واحدة يزيد طولها عن خمسين كيلو بين تكبير البعض (الله أكبر) وأنه شاهد محمد العادل أثناء زيارة قريب له فى محافظة سوهاج وعندما عاد شاهده مازال فى مكانه واندھش كيف سافر إلى سوهاج وهو كيف يحتاج لمن يمد يد المساعدة له كى يُوجهه للمرحاض.

سارت الأمور بى سيراً طبيعياً على هذا الوضع وأصبحت لا أعلم من أنا وما عليه حالى، وأصبحت مثل الإنسان الذى وجد نفسه فجأة فى منطقة مزدحمة من الناس يسرون فى اتجاه ما عكس ما يريد لكنهم يدفعون به للسير معهم لعدم قدرته على المقاومة أو لسكونه وخموله ولانصياعه لقضاء الله وقدره، حاولت تذكر بعضاً من الماضى لكنى كنت أشعر بأن حالة من الضباب الفكرى يشوب الذاكرة ولم يكن يعيدنى إلى بصيص الماضى سوى رائحة وأحاديث المهندس أحمد العزازى الذى كان يأتى لزيارتي حين حصوله على إجازة من الجيش، كنت أستمع له بسعادة لدرجة أنه أخبر من حوله بأن محمد المبروك يتسم أثناء حديثي معه، وأن هذا فال حسن بأن

جيش مصر سوف ينتصر على العدو الإسرائيلي، وهكذا أصبح الجميع يطلقون على : (محمد المبروك) .

أقبل أحد الأيام مندوب من وزارة الحربية يتسائل عن سبب عدم قيام الجندي المصاب محمد العادل بالتوجه للعلاج بمركز المحاربين القدماء كما تقرر منذ عدة أشهر وأن هذا ضار بصحته، فوجيء المندوب بما يدور فى البلدة وأنتى أصبحت محمد المبروك وليس محمد العادل، وأن وجهاء القرية قرروا إقامة ضريح لى أمام تلك الدار التى أعيش فيها كى يقام لى مولد سنوى يتم فيه الاحتفاء بى كرجل صاحب الكرامات ومن أهل الخطوة.

طلب أحمد العزازى من أسرتى أن أقوم بزيارة مركز علاج المحاربين كما تقرر وإلا سوف تقوم الحكومة برفع قضية على أبى لعدم تنفيذ التعليمات، ولشدة خوف أبى تطوع المهندس أحمد العزازى بمرافقتى إلى المركز كي يساعده على أن ينجو من عقاب الدولة، كما رفض أن يرافقتى أهل القرية بالدعوة التى انتشرت فى القرية بأن الحكومة راغبة فى القبض على محمد المبروك متحججة بأنه يحتاج للعلاج وتسائل البعض منهم : " محمد المبروك بيعالج كل الناس فى الناحية تجوم الحكومة تجول أنه محتاج علاج، والله إنتم إالى محتاجين علاج على يد محمد المبروك " .. هل الناس لتلك المقولة، لكن أحمد العزازى أعاد تحذيره وأن فترة زيارته للمستشفى لن تزيد عن عدة ساعات يعود بعدها ثانية للقرية.

بمركز المحاربين استقبلنى بعض المسؤولين عن علاجى بضيق نظراً لسوء حالتى الصحية، فجاءت دببت الحركة فى المركز نظراً لقدم زوجة الرئيس السادات للزيارة واستطاع أحمد العزازى أن يلفت نظر السيدة إلى حالتى فأقبلت نحوى وشاهدت حالتى واستاءت أن يكون هذا مكافأة المحارب الشجاع، وأمرت المسؤولين على الفور بعلاجى وتبين لها أن حالتى تستدعى سفرى لخارج البلاد فأصدرت أوامرها بذلك.

يوم سفرى رافقتى المئات من أهل القرية والقرى المجاورة للمطار وهناك تسلمنى مندوب وزارة الحربية وركبت الطائرة دون معرفة أحد من الذى كنت أسمع عنهم طوال الفترة الماضية والتى علمت من أحاديثهم أنها تعدت العامين، وصلنا إلى إنجلترا وتلقفتنى أيادٍ كثيرة لم أشاهد منهم أحداً إلا من خلال بصيص بسيط لا يسمح لى بتحديد شكل الشخصية بوضوح، فى المستشفى تبين لى من أحاديث الأطباء الذين التقوا من حولى أن علاجى سوف يزيد عن السنة أشهر، ولا بد من إجراء عمليات ترقيع كثيرة للجلد والوجه ويتم الحصول على مساحات الجلد السليم من باقى أجزاء الجسد الداخلية.

كان السؤال المتداول بينهم: هل نبدأ بعلاج العدمات المحترقة بالعين واستبدالها بأخرى كى يستطيع الإبصار بعد أن تبين لهم أن أجزاء العيون من الداخل سليمة ولكن العدمات هى التى أصابها التلف ولا بد من علاجها بعد علاج العينان، علمت من أحاديثهم الدائمة أنه يجب البدء بعمليات التجميل والترقيع قبل النظر حتى لا يصاب المريض بصدمة

عصبية حينما يشاهد الحروق التي أثرت على بشرة الوجه تأثيراً شديداً، هكذا دخلت في دوامة العلاج الجراحي وكنت أنتهى من عملية لأدخل في أخرى خلال تلك الفترة كنت أشعر بآلام شديدة ببعض أجزاء جسمى، ولم أكن أتالم أمام أحد منهم وكنت صابراً حيث تذكرت الآية القرآنية التي تبشر الصابرين.

علمت أن الأطباء استخدموا نظريات طبية علاجية حديثة مثل " الموسعات الجلدية tissue expander التي تقوم بتوسيع الجلد الطبيعي المجاور للمنطقة المحروقة بأحجام وأشكال مختلفة عن طريقها يمكن تغطية مساحة محروقة واسعة بجلد طبيعي، كذلك الترقيع الجلدي skin grafts له دور كبير في تغطية مساحات محروقة واسعة، كذلك استخدام بعض الكريومات والأنسجة الصناعية الضاغطة silicon sheaths, tube grips للحروق والتي كان لها دور لا يُستهان به في تقليل آثار الحروق في مناطق الجسم المختلفة.

سمعت الأطباء يثنون على تحسن حالتي بنسبة كبيرة وأن باقى البقع التي فى الوجه سوف تزول بمضى خمس سنوات ويصبح الوجه طبيعياً، بعد أن قاموا بالحصول على عدة صور بالكمبيوتر الذى كنت أجهله تماماً، واستطاعوا من شكل الجمجمة تحديد مواصفاتي الشكلية بنسبة كبيرة.

انتهى العلاج الجراحي والتجميلى وبدأ فى زرع عدسات جديدة، كنت خلالها لا أستطع الإبصار بالجزء اليسير الذى كنت أعتمد عليه قبل

العلاج الطبى، ظللت تحت العلاج فى مستشفى تخصصى للعيون بعد أن غادرت مستشفى الحروق مع استمرار الممرضات بوضع الكريمات والشرايط المزودة بمواد مطهرة على وجهى ومن بينها الفازلين الطبى كى لا تلتصق بالجلد، تقرر أن يقوم الأطباء برفع الضمادات عن عيونى فى الصباح الباكر وشعرت من أحاديثهم التى كنت أسمعها وأتفهما لإجادتى للغة الإنجليزية بأنهم فى حالة من الترقب، وبأنهم يأملون بأن تنجح تلك التجربة لأنها الأولى فى تلك الفترة الزمنية.

صباح اليوم التالى تحدث معى أحد الأطباء وأخبرنى بأنهم سوف يرفعون الضمادات عن عيونى ويجب علىّ ألا اتحرك وأن اظل صامتاً وأن أنفذ تعليماتهم لكل أمر يلقون به لى، لأن الحجرة التى سيتم بها رفع الضمادات شبه مظلمة، هكذا تجمع رهط من الأطباء والممرضين ومن حركاتهم وأحاديثهم شعرت بمن يقوم برفع أحد الضمادات عن عين واحدة وطلب منى ألا أحرك جفونى التى كنت أشعر أنها أصبحت بعد العمليات الخاصة بالترقيع والجراحة والتجميل بأنها تتحرك دون إبطار.

عاد الطبيب كى يحذرنى للمرة الثانية وقام برفع الضمادة عن العين الأخرى وظل الجميع فى سكون ثم طلب منى أن أحرك جفونى بهدوء، نفذت ما قال بعد هذا بقليل طلب منى أن أخبره بما أشاهده، أخبرته بأننى لا أشاهد شيئاً، شعرت بأن جميع الأطباء قد أصابهم الحزن، أسرع أحدهم يحدث زملائه فأسرع الآخر بوضع نقاط بالعينين وطلب منى غلقهما وأن اظل هكذا لفترة، سألتى ما الذى أشعر به بعد وضع النقاط فأشرت بأننى

أشعر بنوع من الحرقان، وسمعتهم يبتهجون وحينئذ قال أحدهم لقد نسينا وضع القطرة التى تقوم بإزالة كل الكريمات والشحوم الطبية أثناء العملية عن العين ولهذا فلم تستطع الإبصار.

أعاد على أحد الأطباء حديثه بأن أقوم بتحريك الجفنين مرة ثانية ويهدوء، فعلت وشعرت بأننى أشاهد خيالات فقلت لهم فلم يتحدث أحد، وطلب أحدهم من زميله رفع درجة الإضاءة، بعد هذا بدت تتضح الصورة أمامى وكان هذا عامل مهم فى سعادتهم وشعرت بأنهم يتماسكون غير راغبين فى إظهار فرحتهم وسعادتهم، ظل الأطباء يزيدون كل فترة من درجة الإضاءة ثم توقفوا وسألنى الطبيب هل تشاهد وتبصر الآن ؟ أشرت بيدي بعلامة النصر فظل صامتاً ولم يظهر مشاعر الفرحة، طلب منى أن أقوم بوصف ما أشاهده فقلت بوصف ما أشاهده ولحظتها ضجت الحجرة بأصوات السعادة والفرحة وأقبل العديد منهم يشد على يدي مهنتاً.

ظللت على هذا الحال فترة زادت عن الأسبوع كانت درجة إضاءة الحجرة التى أعيش فيها ضعيفة كما واطبوا على وضع نقاط من القطرات فى عيوني وكانت تحدث لى حالة من الحرقان مجرد دخولها إلى عيني ثم تتلاشى، ظلت حالة حرقان القطرة تقل حنتها حتى تلاشت وكل مرة كنت أخبرهم بما أشعر به كما كانت درجة الإضاءة تزيد يوماً عن الآخر، أقبل كبيرهم مصافحاً على نجاح العملية مهنتاً على سلامتى مؤكداً أنه لا توجد أى آثار جانبية أو مضاعفات لأنهم وضعوا عدسات طبيعية لشخص توفى حديثاً وليست عدسات صناعية.

هكذا تقرر أن أعادر المستشفى والمملكة المتحدة عائداً لوطني وكان الملحق الطبي للسفارة المصرية مواظباً على الحضور للمستشفى وزيارتي ومعرفة حالتي ومتابعتها بدقة، فيما بعد علمت أن سكرتارية الرئيس في مصر كانوا يتلقون نتائج العلاج أولاً بأول، أخبرني الملحق الطبي بأننا سوف نغادر مطار لندن صباح الغد متوجهين للقاهرة وأنه أرسل مندوباً لأسرتي كي يبلغهم نبأ وصولي بعد نجاح العمليات الجراحية التي تمت لي وطلب مني أن أشاهد إحدى الصور، شاهدت الصورة التي عرضها عليّ والتي كانت لشخص احترق وجهه بالكامل ثم بعد هذا اصطحبتني لمرأة الحمام كي أشاهد حالتي وحين أخبرني أن ما شاهدته في الصورة هي حالتك قبل الجراحة وما تشاهده الآن هي حالتك بعد نجاح العمليات الجراحية المتتابة والتي تحملت الدولة كل تكاليفها، كانت صورتي في المرأة جميلة ورائعة بعكس الصورة التي شاهدت نفسي عليها قبل إجراء العملية.

خلال فترة علاجي كنت أحاول التذكر والتفكير فيما كنت ولكن لم تسمعني ذاكرتي بأي شيء يُذكر، ومن أجل هذا أهلت نفسي على هذا الوضع، فتلك قريتي وهؤلاء هم عائلتي والفتاة التي غضبت مني كانت زوجتي ورفضتني، اليوم التالي أثناء جلوسنا في المطار برفقة الملحق الطبي الذي كان يحمل دوسيتها بيده ووضعها بجواري، أشرت له بأن يسمح لي بالنظر إليه فسلمه لي ضاحكاً، تأكد لي أن التصميم المعماري كان خاصاً بالمستشفى الذي كُنْتُ أعالج فيها وطلب الملحق الطبي رسومات تصميم بناء المستشفى من الشركة المصممة كي يعرضه على المسؤولين في الجيش المصري لمحاولة إنشاء مبنى مماثل.

قلبت فى الدوسيه وكنت أتتابع الخطوط المرسومة بعناية وطلبت منه  
ورقة وقلمًا ثم كتبت بعض المعادلات الرياضية خلال هذا كان ينظر إلى  
بشغف واهتمام، ثم مال علىّ وسألنى هل أنت مهندس قلم أتذكر هذا  
وضحكت وصمت، ولكن الملحق الطبى أكد لى أن معادلاتك تدل على أنك  
مهندس والحمد لله أن شفاك الله كى تعود لقرينتك وتعمل على نهضتها.



## عودة محمد العادل بعد العلاج

أثناء جلوسى للراحة أسفل شجرة السنط وضعت زوجتى أمامى قطعة جبن قريش وأحضرت بعضا من إنتاج الأرض عبارة عن حبة طماطم وعدد من ثمار الخيار والخبز الفلاحى وإناء للشرب ثم جلست أمامى تنتظر إلى وقالت :

- " إسمع يا سعفان، الجدع إالى اسمه محمد إالى بيجولى عليه إنه ابننا أنا مش مصدجة الحكاية دية "

- " إزاي يا ولاية تجولى كده، هو إنتى بتعرفى أحسن من الحكومة ولآ أحسن من الحكومة، الحكومة جالت الجدع ده ولدكم نجول حاضر على طول "

- " أنا مش شاعره ناحيته بأى حاجة، مش داخل جلبى ذى اسم النبى حرصه محمد ابنى جبل كده "

- " شايفه عمالك الشينه، أهو الغفير عواد جاى نواحيننا، يارب عديها على خير "

- " السلام عليكم يا سعفان، إزيك يا رتييه "

- " شله تعلم من الشين، عايز إيه يا عواد، كل شويه فاطط نواحيننا، ما فيش غيرنا فى البلد ولآ ما فيش غيرنا "

- " جرى إيه يا بت يا رتييه، متلمى نفمك إمال، لوكان لكى جوز عترة مكنتيش جلتى كلام ذى ده لواحد مستوظف فى الحكومة "

- " خلاص يا عواد، خليك معايا، مد يدك وكُل معايا "

- " الوليه رتيبة سدت نفسى ".  
 - " جومى يا رتيبه شوقلنا لحسة عسل إسود ولأ شوية لبن رايب عشان  
 خاطر الحكومة، خير يا عواد ؟ ".  
 - " خير يا سعفان .. جناب العمدة ايزك فى الدوار ".  
 - " متعرفش ليه ؟ ".  
 - " جرى أيه يا سعفان، إنت اتخبطت فى نفوخك ولأ اتخبطت فى نفوخك،  
 جناب العمده يجول الأمر يتنفذ على الفورم ! ".  
 - " رحى فين يا رتيبة ".  
 - " سيبك منها يا سعفان، نخلص اللجنتين دول ونروح حمامه لجناب  
 العمدة ".

هكذا تناول الغفير طعامى الشحيح ونهضت خلفه من أجل لقاء العمدة  
 الذى قال لى كلمتين فقط دون أن أخبر أحد بهم " يا سعفان .. المحروس  
 ابنك جاى بكره من بلاد بره ويجى عال العال، الحكومة عرفتنى بكده، تروح  
 المطار إنت ومرتك وما فيش صريخ ابن يومين يعرف الخبر ده وإلا  
 الحكومة حتاخذك السجن على طول، هناك فى مدخل المطار الجديد ح  
 تشوف واحد من الشرطة العسكرية تسأله عن طيارة محمد ابنك إالى جايه  
 من بلد الإنجليز عارفهم .. والله ما أنت عارف حاجه يا سعفان .. الإنجليز  
 إالى بيعملوا الشربة الإنجليزى إالى النفر يشربها من هنا والتعابين إالى فى  
 البطن تنزل صفوف .. تحرك على غيطك عدل وعرف مرتك أم لسان  
 طويل إنها تجفله .. فاهم .. اطلع معاه بره يا عواد ولو جلت كلمة يا عواد

حترق وتسلم سلاحك وطربوش الغفر وتروح تجعد مع نفيسه مرتك  
تساعدها فى لزج الجلة " .

هكذا وجدت نفسى صباح اليوم التالى بعد صلاة الفجر أتحرك مع  
زوجتى إلى أول الطريق الزراعى ومن هناك أخذنا مواصلة حتى مدينة  
الزقازيق ومنها القطار المتجه للقاهرة ومن ميدان باب الحديد ركبنا أتوبيس  
تحرك بنا حتى المطار وبالسؤال وصلنا إلى صالة الوصول وشاهدت أحد  
جنود الشرطة العسكرية حيث دلنى أحد العاملين فى النظافه عليه وأخبرته  
بما قال العمدة، اختفى عن نظرى قليلاً ثم عاد وطلب منى أن أتبعه ودخلنا  
إلى حجرة بها جنود مثله وأقبل قائدهم وهو كبير الحجم، ورحب بنا وأخبرنا  
بأن نظل فى ضيافتهم حتى موعد وصول الطائرة بعد عشر دقائق.

وصلت الطائرة كما أبلغنا هذا الشخص ورافقنا حتى باب خروج  
المسافرين، بعد قليل ظهر ضابط وبرفته أحد الشباب الذى كنت أشبه عليه  
وتحدث معنا بعد أن علم بأننا والدا محمد العادل قائلاً :

- " محمد ابنكم رجع بالسلامة، حافظوا عليه ثم ودعنا واختفى مع رجال  
الشرطة العسكرية، وقفت أنظر من حولى أين محمد وسألت الشاب الذى  
كان قادماً معه هل شاهدت محمد العادل، نفى هذا وبعد قليل أفادنا بأن من  
حوله يطلقون عليه اسم محمد العادل، صرخت زوجتى وغادرت المطار  
وهى تصيح وتولول مرعدة : " عليه العوض ومنه العوض، ياما جلّت لك يا  
سغان الجدع ده مش ابنى " .. تجمع البعض من حولنا وحينما علموا  
بقصتنا طلبوا منا أن نتقدم بشكوى للحكومة لأنه من المحتمل أنه قد حدث  
خطأ واستبدلوا ابننا بشخص آخر .

## محمد العائل :

كنت أجلس بداخل الطائرة وأشعر بسعادة أننى أصبحت أشاهد الناس وودعت حالة كف البصر التى كانت تثير ضيقى ومشاعرى وكنت أسمع أصواتهم، بل إن بعض المضيفات أقبلن نحوى يحملن بعض المشروبات بينما الضابط المرافق لى يغط فى نومه، كنت أحاول أن أستعيد الأحداث الماضية متسائلاً هل سأعود ثانية لتلك القرية وهذا الأب وتلك الأم اللذين لا أعلم عنهما شيئاً، كانت أسئلة كثيرة تدور فى عقلى ولم أعثر لها على الإجابة الشافية، لكن ما حدث بعد مغادرة صالة الوصول وعويل السيدة التى يقال عنها إنها أمى أفزعنى واضطرب الناس من حولى ثم انصرف الجميع، البعض يصفق يد بيد وآخرون فى دهشة وتحدث أحدهم بأنه من الجائز أن حدث خطأ وأحضروا شخصاً آخر غير ابنكم وعليكم التقدم بشكوى، أشعر بأننى شاهدت هذا الرجل وتلك السيدة قبل ذلك.

وقفت فى مكانى لا أعرف كيف التصرف، بعد قليل أقبل أحد العمال الذين يقومون بنظافة أرض صالة المطار وطلب منى التحرك كى ينظف أسفل وقوفى وتحركت وبعد ساعة أو أكثر عاد ثانية وشاهدنى واقفاً وتساءل ألا زلت فى مكانك، ألم تسافر أو تجد أحد فى انتظارك، أشرت له بأننى لا أعرف شيئاً لأننى مريض ولم يحضر أحد ليتعرف علىّ، أمسك الرجل بيدي وسار بى لخارج صالة المطار وطلب منى الجلوس بأحد الأماكن بجوار حائط قائلاً أنه بعد الانتهاء من عمله سيعود كى يعاوننى فى إيجاد حل لتلك المشكلة.

ظللت جالماً فترةً طويلةً وشعرت بالتعب والإرهاق والحاجة للطعام، بعد مضي فترة طويلة شاهدته قادماً نحوى وتحدث معى وكان يحمل بيده لفافة سرعان ما قام بفتحها وتبين لى أنها طعام، فردت تلك اللفافة أمامنا وطلب منى تناول الطعام ثم ضحك ونحن نأكل معلقاً بأن تلك اللفافة تخلص منها أحد الركاب متحججاً بأن الطعام الذى بها قد تلف ولا يستطيع تناوله، ثم عاد ونظر إلى متسائلاً بأن هذا غير صحيح والطعام كما تشعر شهى ولذيذ الطعم، تناولنا طعامنا ثم نهض وأشار إلى بأن أتبعه، توقف أمام أحد صنابير المياه التى تروى منها حديقة المطار شرب منها وتبعته ثم سألتى هل تحتاج التوجه للمرحاض فأشرت له بأن يدلنى عليه وتبعته وهناك شاهدت مرحاض كثيرة وأنهيت مهمتى وعدت لأجلس فى المكان الذى طلب منى أن أظل به.

قبل أن تغرب الشمس هذا اليوم أقبل علىّ باسمأ واستبدل ملابس العمل بملابس أخرى وأخبرنى بأنه سوف يعود لمنزله وأنه أوصى زملائه الذين يعملون ليلاً بمراعاة ظروفى، وصافحنى متمنيا لى العثور على أسرتى بعدها سمعته يردد بأن الدنيا بها أناس مساكين وهذا الأفندى الوجيه لا يعلم أين عائلته، أثناء الليل أقبل بعض عمال النظافة مرحبين بى وأخبرونى بأن زميلهم (....) أوصاهم بى خيراً وطلبوا منى أن أظل فى مكانى وسوف يأتون لى بعد قليل بالطعام كى نأكل معاً، بعد عدة ساعات حضروا وجلسوا حولى محاولين الاستفسار منى عن أحوالى وظروفى وكل ما استطعت أن أخبرهم به بأسلوب الإشارة ما يخص علاجى فى الخارج

وإصابتي في الحرب، لم تساعدكم أحوالهم بأن يقدموا لى يد العون، كنت خلال إشارتي لهم أردد كلمة " عد " .

شاهدت أحدهم ينهض مسرعاً وطلب منى اللحاق به، شاهدته يقف ويتحدث مع أحد الركاب ثم أشار لى بأن أقبل وحينما وصلت لمكان الحقائق رفع عامل النظافة بعض الحقائق الثقيلة ووضعها على كتفى وطلب منى أن أسير خلف البية مشيراً للرجل صاحب الحقائق، كررت هذا العمل مرة أخرى، شاهدت العامل يأخذ شيئاً من الرجل ويضعه فى جيبه، وحينما حاول الرجل أن يقوم بنفس التصرف معى أخذ منه عامل النظافة ما رغب فى دفعه لى مردداً : " أنا مسئول عنه لأنه غلبان وعنده لطف والعياز بالله " .

ظلت على هذا الحال مع مجموعة عمال النظافة وتبين لى أنهم يخبرون بعضهم البعض بأن أقوم بمساعدتهم فى أعمال النظافة وحمل حقائق الركاب ذات الأوزان الثقيلة، لا أعلم الوقت الذى أمضيته معهم لكنى شعرت بأننى أمضيت وقتاً طويلاً لأن ملابسى اتسخت وطالت لحيتى وكنت فى أشد الحاجة للاستحمام، أحد الأيام أقبل أحد عمال النظافة وطلب منى ركوب سيارة نصف نقل متجهة لمسوق الخضار وعلى أن أقوم بتحميل البضاعة التى سوف ينقلها السائق، شاهدته وسمعتة يخبر السائق بالآ يناولنى أى أجر لأننى على قدر حالى وهو المسئول عنى كما حذره منى وأشار بيده نحو رأسه بما يعنى بأننى لا أفهم، وافق السائق وطلب منى الجلوس فى صندوق السيارة، أثناء سير السائق بطريق المطار توقف

بالسيارة وقام بربط يدي وأرجلي بداخل صندوق السيارة خشية أن أقفز من فوق السيارة ويتعرض للمسائلة القانونية.

توقف السائق في منطقة المديح وسمعتة يأمرني بحمل جزء من ديبحة لوضعها على ظهر السيارة، حملتها وكدت أسقط بها لولا أن عاونني بعضهم، سار بالسيارة إلى منطقة قال عنها سوق روض الفرج، تذكرت هذا الاسم وشعرت أنني شاهدته قبل هذا وشاهدت لواري كثيرة تحمل أقفاصا للظماطم وياقي الخضروات، طلب منى السائق بعد أن توقف أمام محل جزارة أن أحمل العجل (نصف عجل) إلى داخل المحل، حملته بصعوبة وعلق الجزار قائلاً " لواد الشيال بتاعك هدمه كلها بقت لحمه، النفر منا ميقدرشى يفرقه عن العجل وأتبع هذا بضحكة مرتفعة الصوت شاركه فيها السائق "

طلب منى السائق الجلوس قريباً من السيارة لأنه سيتوجه للجلوس على المقهى، بعد قليل نهضت وسرت بشوارع السوق وغادرت محيطه وطففت ببعض شوارعه الجانبية، فجأة شاهدت فتاة جميلة أعتقد أنني أعرفها، دخلت الفتاة إلى عمارة فدخلت خلفها مباشرة وتأكد لي أن امها رجاء، أسرعت خلفها منادياً رجرج ولم أستطع تكلمة باقى الجملة حيث أطلقت الفتاة صرخة مدوية شاهدت على أثرها جموعاً غفيرة متجه نحوى وأحدهم يردد " لواد أبو لبس كله دم كان عايز يموت الست هانم "

عيد الصغير :

أثناء عملنا فى الوكالة حيث كا نقوم على تفريغ حمولة لورى محمل بالبلح الذى نضج وكان وقتها المعلم عوض يؤدى صلاة العصر فى

المسجد القريب سمعنا أصوات إستغاثته وأصوات تطلب العون للسيدة التى هاجمها أحد المجرمين، تركت ما بيدي واندفعت لتقديم العون، شاهدت العديد من الشباب وأبناء الصعيد العاملين بالوكالة يعتقدون على شاب بالضرب المبرح، أسرعته كى أقدم يد المساعدة، بعد صفتين على وجه هذا المجرم توقفت وطلبت من الجميع التوقف، تساءل العديد ممن حولي لماذا توقفنا عن ضربه، لابد أن نقضى عيه قبل وصول الشرطة، نظرت إليهم وبدأ على وجهى حالة من الخوف والتوتر، تساءل أحد الأشخاص:

- " مالك يا عيد .. معروف عنك قلبك جامد ؟ "

- " أشرت للشباب وقلت لهم إن هذا ليس إنسيا، إنه عفريت المهندس عادل نسيب الحاج عوض .. لم أستكمل الجملة إلا وأسرع الجميع بالهرب ومما زاد من خوف البعض أن السيدة التى كان مغمياً عليها تبين لى أنها السيدة رجاء التى أقوم على توصيل الخضر والفاكهة لها منذ أكثر من ثلاثة أعوام وحين سمعتى أقول هذا ارتفع صوتها وأسرعته لصعود السلم وهى تردد :

- " ده عفريت عادل .. عفريته "

غادرت الجمع والمكان متجها للوكالة لاستكمال عملى وبالتالى لحقت بمن سبقونى وتوقف البعض للمراقبة وشاهدنا سيارة الشرطة تأتى على أثر بلاغ سابق بوجود مشاجرة، توجه رجال الشرطة وشاهدوا الشاب ملقى على الأرض والدماء على وجهه وجلبابه، طلبوا له سيارة الإسعاف التى أقبلت وفحصته لأنه لو كان ميتا فلن تحمله، حملته سيارة الإسعاف إلى مستشفى بولاق أبو العلا عُدت بعدها لاهت الأنفاس إلى الوكالة، بعد قليل أقبل المعلم

عوض وتساؤل ما الذى حدث فقد نمى لسمعه أصوات مرتفعه وصياح وما السبب فى هذا ؟ أشار باقى زملائى بأن عيد هو الوحيد الذى يعلم لأنه توجه لمعرفة ما يدور بينما ظللنا جميعاً فى العمل، أشار لى المعلم بأن أدنو منه وأمسك أذنى بقوة مردداً :

- " يا مجرم نبهت كام مرة محدش يعيب الشغل ويمشى وأنا مش موجود حتى لو أبوه مات، فاهم يا ابن الجزمة " .

- " فاهم يامعلم، تركته عائداً أنظر لزملائى الذين كانوا يدارون ضحكاتهم ولكن المعلم صاح ينادى علىّ " .

- " رايح فين، مش تعرفنى بالحكاية ؟ " .

- " الحكاية يا معلم أن الست رجاء كانت بتصرخ خايفه من واحد مجرم لحقها على السلم " .

- " ينهار أبوه طين، مين هوه ؟ " .

- " مش عارف يا معلم، لما رحلت لها لقيت كل الصعايده بتوع الوكالة نازلين ضرب فى الشخص ده " .

- " عفارم عليهم، أكيد ضحضحوه " .

- " مش مهم أنه إضحضح، يا معلم ده طلع عفريت لا مواخذه الباشمهندس عادل " .

- " بتقول إيه يا مغفل ؟ " .

- " بأقول إالى سمعته وإن مكنتش مصدقنى اسأل الست هانم " .

- " لا سؤال ولا حاجه، الأستاذ مصطفى والدها جاى ناحيتنا " .

- " السلام عليكم يا معلم عوض " .

- " عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ".  
 - " عرفت إلی حصل لبنتی رجاء من ساعة ".  
 - " أبوه یا بیه، الواد عید لسه بیحکی لیا ".  
 - " ورأیک إیه فی الحکایة دیه، رجاء بنتی مش علی بعضها ".  
 - " لیه یا بیه، الواد أخذ طریحه معتبره والبولیس والإسعاف شاله ".  
 - " یا معلم الحکایة مش کده، رجاء بنتی بتأكد أنه المهندس عادل صهرک ".  
 - " یا بیه قول کلام غیر ده، المرحوم عدی علیه ثلاث سنین والحکومة دفعت لأهله الدیه ومراته وأبوه وأمه بیستلموا معاشه من یومها، کمان الجيش سلما باقی حاجاته ولبسه وکل حاجه تخصه ومدفون فی منطقة المثلث قبل ما نوصل السویس وعرفنا رقم المدفن واسمه موجود علی لوحه عشان نزوره لما الأحوال تتحسن، سبیک من کل ده، المثل یقول (یخلق من الشبه أربعین) .. ".  
 - " کل إلی قاته فضلت أقوله لرجاء لكنها مش مصدقه ینقول یا بابا لغة العیون لا یمکن أنها تتشابه بین اتین ".  
 - " لا مواخذه .. هوه فیه لغة تانیة اسمها العیون غیر اللغة العربیة والإنجلیزیة؟ ".  
 - " مش دا المقصود .. القصد هنا أن الواحد لما بیص ناحیة واحد بیشوف عیونه ولما یمکن له شبه ویبص ناحیته یمکن عینه غیر عین الأولائی ".  
 - " والنبی کلام المدارس ده معرفوش، المهم الست بخیر، ح أروح وأبعث مدیحة مراتی تقعد معاها ".

- " بلاش يا معلم خليها بعد كام يوم " .

مستشفى بولاق العام :

تجمع العديد من الأطباء بحجرة الاستقبال نظراً لوصول شاب مصاب من عراقك بالأيدي بين رجال الوكالة كما هو معتاد بينهم، قام الأطباء بالاسعافات الأولية وتبين لهم أن الشاب به إصابات جسيمة أثرت على سطح جلد الجسد الخارجى وبالأخص بمنطقة الوجه واليدين، تم عمل أشعة على الأماكن المصابة كما حضر أطباء قسم الجلدية وأيضاً تبعهم قسم التجميل، ثم طلبوا أحد إخصائين من قسم الحروق نظراً لأن أطباء الجراحة أكدوا أن الشاب المصاب سبق أن أصيب بحروق كثيرة، وتمت له اجراء عمليات ترقيع جلد وأيضاً تجميل وكانت على مستوى عال من الكفاءة.

تقرر حجز الشاب حتى انتهاء العلاج وحضر مسؤولوا قسم الشرطة لسؤاله فتأجل إلى موعد قادم كى يتتبه الشاب ويستطيع الإجابة عن الأسئلة الموجهة له، انهمك أطباء قسم الحروق فى العلاج وتبين لهم أن العلاج لا يحتاج إلى ترقيع لأن كل الإصابات عبارة عن تسلخات وقطوع وخدوش بمناطق الجلد وأن تلك العملية سوف تدعم الجلد الذى تم ترقيعه بإعطاءه المزيد من القوة، وأيضاً إزالة البقع التى ظلت بعد عملية الترقيع لأن الجلد الجديد سوف ينمو تدريجياً ويحصل على نفس لون البشرة.

مديحة خاطر والمعلم عوض :

فى تلك الليلة عُدت إلى منزلى أحمل كثيراً من الذكريات لعادل شقيق زوجتى المهنّب نمث الأخلاق المخالف لشقيقه الأكبر مصطفى فى تصرفاته، لدرجة أن عمى زكى كان دائماً يردد حين تم تجنيد عادل ويقول

: " مكنش الكبير إجند عشان الجيش كان أدبه ووراه نجوم الضهر لكن ح نقول إيه عشان بيعرج شويه وله رجل أطول من رجل بإئتين سم يقوم ينفد منها " .

بعد أن تناولت الطعام جلست قليلاً فأحضرت لى مديحة ابنتى اللاتى رزقنا بهما الله بعد وصول مصطفى الخطيب وابنتاه للحي، لقد كان قدومهم قدم سعد فتم رزقنا من واسع كما وهبنا الله البنيتين بعد زواج دام أكثر من سبعة عشر عاما، بعد أن قاربت زوجتى مديحة من الأربعين من عمرها، قبلت الطفلتين والتي تعدى عمرهما العامين وهما توأم، عادت مديحة تجلس أمامى وتتنظر إلىّ تحاول الوصول لأغوار أفكارى ثم تشجعت قائلة :

- " مالك يا أبوسمر، فيه حاجه مغيراك، مش عوايدك ؟ " .

أخبرت مديحة بالقصة التى حدثتى عنها العامل عيد الصغير وبعد أن انتهيت منها ترجمت على شقيقها وطلبت منى أن (أكفى على الخبر ماجور) كما يقولون فى الأمثال حتى لا أعشم والديها بهذا الأمل، هكذا عاد عادل ذكرى وانتهى الهرج والمرج الذى حدث بعد عصر اليوم، وأيضا حديث مصطفى بيه الخطيب الذى تحدثت معه ابنته وسألت نفسى : " واحد فيه شبه من المرحوم نقوم نلغى عقلنا ونصدق الخرافات، فيه شهيد بيصحى من الموت ويرجع تانى، ناس مخها فاضى، لما أقوم أريح جنتى شويه ، أدى نومه .. " .

## كشف حقيقة محمد العادل

ظل عادل فى مستشفى بولاق أبوالعلا تحت العلاج قرابة الشهرين تم خلالها علاجه من الجروح الشديدة التى أصيب بها نتيجة تعدى أبناء وعمال سوق الخضار عليه بالضرب المبرح، لما قام به من مضايقة ابنة الحارة التى يعمل الجميع على إرضائها هى ووالدها وشقيقتها الصغيرة عوضاً عن غربتهم من مدينتهم المدمرة الإسماعيلية والتى لاقت أمها ربها نتيجة العدوان الإسرائيلى على أهل المدينة.

طلب رئيس قسم الجراحة فى مستشفى بولاق العام من رئيس قسم الأمراض النفسية والعصبية ترشيح أحد الأطباء للقيام بالعلاج النفسى للمريض مجهول الشخصية والذي ظل تحت العلاج فترة الشهرين كمحاولة لفك لسانه بالحديث الذى توقف عند كلمة " عَد " .. ولهذا وافق رئيس قسم النفسية والعصبية على ترشيح أحد أطبائه النوابغ لتلك المهمة حيث طلب لقاء الطبيب كريم الذى التحق بالمستشفى منذ ثلاثة أعوام بعد عودته من بعثة تعليمية تخصصية من فرنسا.

أقبل الطبيب على المريض والذي اشتهر باسم المريض " عَد " او المريض " Z " جلس معه طويلاً وتحدث معه ولاحظ الطبيب النابهة أن مريضه لا يستطيع التحدث أو النطق سوى بالحرفين "عَد" وأوعز سبب هذا لصدمة عصبية أثرت على حالته النفسية فتوقف لسانه عن الاسترسال فى الحديث مثلما يحدث لبعض الأشخاص الذى يتوقف أو يتلعثم لسانه أثناء إلقاء خطبة فى جَمع من الناس، ويتوقف لسانه أمام حرف بإحدى الكلمات

ولا يستطيع نطقها النطق الصحيح أو مثلما يحدث لمحب لإحدى الفتيات  
وعندما تجمعهما الظروف والأحوال فجأة يعجز عن الحديث ويتوقف لسانه  
ويتلجلج إذا تحدث.

خرج الطبيب بتلك النتيجة التي درس العديد من الأمثلة لهذا المرض  
وهو التأثير العصبى والنفسى على أعضاء الجسم، وكيفية علاج مثل تلك  
الأحوال والتي تمرس عليها أثناء تدريبه فى جامعة ليون بفرنسا على يد  
أستاذه النابغة الدكتور فرانسوا، عاد الطبيب مساء إلى منزله يفكر فى هذا  
المريض الذى تأثر لحالته والذى لا يردد سوى كلمة " عَد " وخلال هذا  
كانت تظهر الدموع فى عينيه وهو يشير إلى صدره وينطق تلك الكلمة أكثر  
من مرة يردها أمام الطبيب الذى كان ينظر إلى مريضه بنوع من الحب  
والعطف، وأيضاً محاولة التعرف على شخصه وأنه سبق وأن شاهده قبل  
هذا وهل سبق علاجه سابقاً بتلك المستشفى لكن كيف ونحن لا نملك أى  
بيانات عنه.

بعد أن تناول طامعه وخذلت طفلته فى مهدها بعد أن قامت أمها بكل  
أنواع الرعاية والحنان بعدها أقبلت زوجته فشاهدت ولاحظت حالة التفكير  
والسرحان التى بدت على وجه زوجها، بل سلوكه أيضاً بأنه لم يتنبه  
لوجودها وحديثها خفيض الصوت بجواره، ظلت قابضة بجواره تفكر وتبحث  
ما الذى قلب كيان وفكر زوجها بتلك الكيفية، لابد أن جاءت مريضة  
بالمستشفى على درجة عالية من الجمال وأثرت عليه وهو يفكر الآن فيها،  
إن الرجال ليسوا على حال واحد وأنهم مثل طقس الربيع متذبذبى العواطف  
والمشاعر بل إن زميلتها نيفين بقسم المحاسبة بمبنى التليفزيون كانت تردد

أن الرجال مثل الأطفال فإذا أشرتي لأى طفل بورقة سلوفان ملونه يُسرع فى أترك، حتى لو كانت ورقة السلوفان تلك بداخلها قطعة من الخشب أو الزلط لكن المظهر يغويهم ويمكن لأى امرأة أن تسيطر على مشاعر أى رجل خلال عدة دقائق لو جلس الاثنان معاً دون رقيب.

تتبه الدكتور كريم لوجود زوجته بعد أن وضعت بجوار السرير الذى يجلس عليه صينييه صغيره عليها كوب ماء مع فنجان من القرفة كما اعتاد أن يتناوله يومياً، شاهد النظرات المتوجسه فى عيون زوجته الجميلة رجاء وبها معالم الريبة والخوف، ولهذا ابتسم فى وجهها وداعبها ببعض كلمات طيبة أراحت نفسها المضطربة وتناول بعض رشقات من فنجان القرفة وعاد ثانيه ينظر لزوجته فى براءة يتحدث معها بحديث طيب يخصهما ويخص طفلتها ثم تطرق إلى المشكلة التى تواجهه:

- " تصورى يا رجاء .. عندى مريض باعالجه نفسياً، أول مره أشوفه النهارده لكنى فاكرا إنى شفته قبل كده، شكله مش غريب عليا " .

- " ده شىء طبيعى يا كريم، الناس فى مصر فيهم شبه كبير من بعض وحتى لو مفيش شبه بيكون صوتهم وسلوكهم قريب من بعض " .

- " المشكلة أن المريض ده مبيكلمشى، مش أخرس لكنه مبيكلمشى " .

- " إزاي مش أخرس ومبيكلمشى " .

- " أكيد مش أخرس لأنه بيسمع الكلام الداير بنا كأطباء كمان بيقول كلمة واحدة من حرفين " عَد " .. " .

- " عَد .. عَد يا كريم !! " .

- " أبوه يا رجاء " .

- " رينا معاك .. خلص فنجان القرغه وطفى النور عايزه أنام ورايا شغل كثير اليومين نول عشان الاستعداد لمسلسلات شهر رمضان، كلها شهر وكام يوم ويهل علينا الشهر الكريم، إحنا نهاية رجب "

- " كل سنة وأنتى طيبة يا رجاء يا حبيبتي "

- " وأنت طيب يا كريم "

هكذا أطفئ كريم ضوء حجرة النوم وقد أثر على أعصابه فنجان القرغه فسمعت صوت شخير المنخفض الذى ينبهنى عادة إلى أنه نام بعمق، كان حديث كريم لى مفاجأة سارة ومخيفة، فالشخص الذى يتحدث عنه كريم هو من شاهدته منذ أكثر من شهرين وصرخت خوفاً وخشية منه، لقد اعتقدت وقتها أنه عفريت عادل الذى ارتبطت به وجدانياً ونفسياً لعدة شهور ولم أبتعد عن حبه إلا حينما أقبلت على إحدى الفتيات الجميلات ذات يوم أثناء وقوفى على كورنيش النيل أمتع عيناي برؤياه كعادتى انتظاراً لموعده خروج هناء من المدرسة وعرفتتى بنفسها:

- " صباح الخير .. أنا المهندسة كريمان "

- " أهلا يا باشمهندسة، أى خدمة، إنتى كمان مستتية أختك تخرج من المدرسة ؟ ! "

- " لا أبدا، تعارف بسيط بينى وبينك "

- " أهلا بتعارفى عليك، أنا رجاء الخطيب "

- " إنتى جميلة يا رجاء وعادل له حق أنه يحبك ويتعلق بيكى "

- " إيه الكلام ده يا كريمان، ده مش مكانه ولا وقته، ودى حاجه شخصية "

- " أنا عارفه .. هما كلمتين ح أقولهم وإنتي نتصرفى على مسؤوليتك " .

- " تفضلى .. " .

- " عادل بيحب مهندسة زميلته ومخطوبين لبعض ويظهر إنه حصل بينهم مشكلة وبعدوا عن بعض ولحد دلوقتى تلاقيه لسه لابس دبله فضة وعليها اسمها " .

- " طيب إيه مزعلك إن عادل بيحبنى ويمكن نجوز قريب ؟ " .

- " مافيش حاجه مزعلانى، أنا بالنسبة لعادل تجربته سابقة يعنى أنا وعادل كان فيه بينا قصة حب ولما لاقيته فى مرة بيقول على خطيبته السابقة واللى كانت زميلتنا فى الكلية إنها ماتت زعلت وعرفت إن إالى بينهم شوية غبار وحيروح بعد فترة، وعشان كده أثرت السلامة وقطعت علاقتى بيه وعرفته بكده ومزعلشى، أنا بأقولك كده لأن عادل بيحب خطيبته دية بجنون لدرجة لما حصلت مشكلة بسيطة بينهم اعتبر إنها ماتت عشان مفكرشى أنها ح تتجوز واحد غيره " .

- " كلامك غريب يا كريمان وعلى كل حال أنا شاكره النصيحة ومسيبىنى أفكر " .

- " على أقل من مهلك وربنا ينور طريقك عشان من نخرش على حبيبته " .

- " على فكره يا كريمان، خطيبته اسمها إيه ؟ " .

- " مقدرشى أقولك على اسمها لكن إبقى إسألبيه عن سندريلا وح تعرفى كل حاجة " .

- " باى .. " .

- " مع السلامة يا كريمان " .

هكذا تركتني كريمان بعد أن أطاحت باتزانى وبعثرت بأقة الورد التى غرسها عادل فى حياتى وأضاء لى طريق الحياة بعد صدمة وفاة أمى أمام عينيّ، لماذا يفعل هذا بى وبكريمان، هل يرغب فى تناول مسكنات كى يُشفى من حالة الغضب والحزن التى لبسته لفراق خطيبته الأولى وتوجهها لشخص آخر أو لعدم التقاهم بينهما رغم أننى أشد إعجاباً بعادل وهذا ليس تقصيراً فى حبى وإخلاصى لزوجى الحبيب كريم، لكن عادل ظهر فى وقت لا يستطيع أى أحد أن يناقسه فى حبى له وليس حبه لى فأنا المبتدأ لهذا الحب وكان عادل هو الخبر كى تكتمل الجملة الاسمية ونشعر بلذتها، لكن تبين لى أن تلك الجملة لا محل لها من الإعراب ولا يمكن أن تستمر لأن قواعد النحو واللغة والعلاقة الإنسانية انحرقت بتلك الجملة الرقيقة إلى نوع من خيانة إنسانة طيبة تركها عادل، وأقبل مثل النحلة على كل زهرة لفترة يتمتع بأريج عطرها ويحصل إذا استطاع على بعض من طلعتها يتغذى عليه ثم يتركها زهرة جرداء لا تعطى خصوبة.

لا أنسى أنه فى اللقاء الذى أعقب زيارة كريمان التى نصحتنى بعدم ذكر اسمها أو زيارتها تلك وألا أخبر عادل بأى شىء عن هذا اللقاء حتى أستطيع أن أحصل منه على كل ما يجب أن أعرفه عنه وعن ماضيه، لأن هذا هو الشاب الذى سلمته قلبى منذ عدة أشهر على أثر ما حدث لنا أثناء ركوب القطار القادم من الزقازيق للقاهرة بطريقة غريبة علىّ حتى الآن عن طريق شباك عربة الركاب مثل البضائع وحقائب السفر، لقد كانت كريمان شديدة الذكاء لأنها شاهدتني وأنا وعادل نسير معاً أكثر من مرة خلال فترة

انتظاري لخروج هناء شقيقتي الصغرى من المدرسة واستطاعت أن تقتني  
أثرى وتأتى إليّ وأنا أقف على الكورنيش فى حالة من الانتظار لخروج  
شقيقتى كى أمتع عينيّ بمشاهدة مياه النهر الفضية وأتذكر التاريخ الذى  
أخبرنى عنه عادل بأنه سوف يحصل على إجازته الميدانية من جبهة  
القتال، كنت مشغولة فكرياً بإعداد برنامجاً ممتعاً كى نسعد به معاً بصحبة  
الطبيعة والناس من حولنا، وقبل كل هذا يجب علىّ التأكد من كل  
التحذيرات التى نوهت عنها كريمان، ولن أصدقها على الفور لأننى  
أصبحت الغريمة لها والتى استطعت أن أزيحها من قلب وفكر عادل بعد أن  
تعلق بى وبحبى.

حينما التقيت بعادل بعد لقائى بكريمان لم يلاحظ علىّ أى تغير وسرنا  
كالمعتاد على الكورنيش وحينما قمنا بزيارة الكازينو المصغر التى تملكه  
زوجة الشهيد طلبت من عادل أن يقص علىّ قصة سنديلا فضحك لهذا  
ولم يتوتر ونظر إليّ قائلاً :

- " اكيد واحدة زميلتنا فى كلية الهندسة حكّت لكى على الحكاية دية، ظل  
عادل يقص علىّ قصة حبه لسنديلا التى أدهشتنى وأعجبت بكل ما قام به  
من أجلها، ثم نزع الدبلة الفضية من إصبعه وأعطاها لى وقرأت عليها  
(نسمة ١٩٦٥) وتأكد لى أن عادل مُحِب ولهان ومخلص فى حبه، ولا  
نظير له بين المحبين سوى عشاق التاريخ الذى نقرأ عنهم، لهذا تخلّيت عن  
حبى طوعاً لأن كريمان أثبتت لى صدقها وأن نسمة تلك ستعود لعادل لأنها  
لن تعثر على محب مخلص لها ورغم أن بُعدى وفراقى عن عادل سوف  
يسبب لى ألماً نفسياً لكن كل هذا كان من أجل حبه النقى حتى إذا أقبلت

سندريلا تجد عادل فى انتظارها، بصعوبة بالغة دخلت فى نوم متقطع وغير مريح وطافت بخيالى الكثير من الأفكار والأحلام.

فى الصباح أخبرت زوجى بأننى سوف أقوم بزيارته فى المستشفى لمشاهدة مريضه هذا والمسافة بين مبنى التلفزيون ومستشفى بولاق أبو العلا لا تزيد عن خمسة عشر دقيقة سيراً على الأقدام مما أسعده وبأننا يمكننا أن نركب ترام رقم ١٣ المتجه لمنطقة روض الفرج بعد انتهاء يوم العمل، غادرت المنزل مبكراً كعادتى وبصحبتى هناء وتوجهنا معاً إلى مدرستها حيث إنتقلت للمرحلة الثانوية، كُنت قد أعددت زينتى على أحسن ما يكون وارتديت ملابس رائعة جميلة ووضعت عطراً مميزاً كنت أستخدمة أثناء فترة صداقتى وحبى لعادل مما لفت نظر كريم وابتسم ضاحكاً مردداً:

- " كل الشياكة والجمال ده عشان جاية تزورينى فى شغلى " .

- " أقل ما فيها يا كريم، عشان تعرف مراتك أم بنتك صفاء جميلة إزاي، نهض من سريريه وطبع قبلة رقيقه على مقدمة رأسى حتى لايزيل اللون الذى وضعتة على شفائى " .

كنت أستعجل الوقت للذهاب إلى المستشفى لأشاهد هذا المريض الذى حدثنى عنه كريم، كنت فى شك من أمره، لقد أخبرنى كريم أنه شاهد المريض قبل هذا ويعرفه معرفة قوية، كنت فى نفس الوقت أرغب فى التأكد مما شاهدته قبل هذا من الشخص الذى أقبل خلفى أثناء دخولى من باب العمارة وسمعت صوتاً يردد " رجرج " وحينما نظرت للخلف وشاهدته صرخت بأعلى صوتى وسقطت أرضاً مغشياً على، وسمعت خلالها الكثير من أبناء الحى يتوجهون نحوى ما بين مسعف والأكثر قاموا بالتعدى

بالضرب على هذا الشاب الذى كان يصرخ فى البداية يردد كلمة من حرفين " عَد " وتلك هى الكلمة التى يرددتها مريض كريم.

إن الشاب الذى كان يقفنى أثنى أثناء دخولى العمارة وحينما شاهدته تأكد لى بأن هذا هو عادل خاطر الشاب الذى أحببته عدة أشهر تقارب العام، هذا الشاب هو زوج صديقتى وحبيبتى نسمة يونس زميلتى فى المدرسة الثانوى فى الإسماعيلية، هذا الشاب الضابط فى سلاح المهندسين والذى وصل إلينا من الجهات الرسمية بوزارة الحربية بأنه استشهد نهاية شهر مايو عام ١٩٧٠، وتم دفنه فى مقابر الشهداء فى منطقة المثلث غرب مدينة السويس، هذا الشاب عادل الذى قامت إدارة سلاح المهندسين بتسليم زوجته نسمة متعلقاته الشخصية ومن ضمنها الخطاب الذى سطره لها قبل استشهاده وبعضاً من ذكرياتهما، هذا الشاب هو أمير سندريلا التى كانت نسمة دائماً ما تتحدث عن فروسيته ومآثر أخلاقه، كنت فى حيرة هل هو عادل فعلاً الذى نعلم جميعاً أنه لقى ربه وأن أسرته قامت بصرف التعويض الذى قرره الدولة والمعاش الشهرى وقد مضى على هذا الحادث أكثر من ثلاثة أعوام، أو أنه شبيه له أو أن روحه أقيمت نحو المحبين تقوم بزيارتهم فى وضوح النهار وهل تظل الروح مستمرة وتتوجه للمستشفى للعلاج، نفس ما قاله قبل أن يغمى على " عَد " قالها لزوجى كريم بالأمس.

لم أستطع الانتظار إلى موعد نهاية العمل وطلبت من مديرى الإنز لى بمغادرة العمل فأعطانى تصريح مدته ساعتين غادرت المبنى متجهة لمستشفى بولاق أبوالعلا وأنا فى حالة من التردد والتوتر واليوم سوف أقرر

شيئاً هاماً له ذكرى جميلة منذ أكثر من ثلاثة أعوام وذكرى سيئة منذ أكثر من شهرين، حينما ظهر خلفى فجأة مما أصابنى بالخوف والصدمة العصبية التى أدت لصراخى وسقوطى مغشياً علىّ.

وصلت لمستشفى بولاق واستقبلنى حارس الباب بما يليق بى كزوجة طبيب وتوجهت لقسم الأمراض العصبية والنفعية وتبين لى أن زوجى الحبيب فى اجتماع هام مع رئيس القسم وأمامه نصف ساعة قبل أن ينتهى الاجتماع، ولهذا توجهت لإحدى الممرضات التى تعرف شخصيتى وطلبت منها أن تقوم بإرشادى عن المريض الذى استقبله القسم بالأمس، أوضحت لى بأن هذا المريض حُول لهم من قسم جراحة التجميل لأن البعض اعتدى عليه بالضرب المبرح ونظراً لسابق إصابته إصابة شديدة فقد تمزق جزء من جلد الوجه، وقام الأطباء بأعمال مجيدة وطيبة معه لدرجة أنهم يقولون أنهم أزالوا بعض من أجزاء كانت قد تركت أثراً على الوجه منذ عدة أعوام نتيجة حريق من الدرجة الثالثة، وأنه بحمد الله فى تحسن لكن المشكلة التى تواجهه عدم استطاعته الحديث إلا بكلمة واحدة وهى " عَد " ومن المحتمل أنه كان يعمل صرافاً ويقوم بعد النقود، كل هذا الحديث الذى دار بيننا تم أثناء مرافقتها لى لحجرة المريض والذى تبين لى أنهم وضعوه فى حجرة منفردة كى لا يتندر عليه البعض لعدم قدرته على الحديث فتعود عليه بنتيجة عكسية.

تركتنى الممرضة وعادت لعملها وقمت بالقبض على أكرة الباب وأنا فى حالة من التوتر وشعرت بأن كفى يدى كأنه قطعة من الثلج وحينما فُتح الباب على مصراعيه شاهدته جالساً على السرير ونظر إلى دون اكترات ثم

عاد ليدقق فيما كان يقرأه من أوراق أمامه، اقتربت من السرير بهدوء وظل باب الحجرة مفتوحاً خشية أن يهاجمنى مثلما حدث فى السابق، فى تلك المرة كان بادياً عليه النظافة والعناية عكس ما شاهدته المرة السابقة وأفزعى وقتها، لقد تأكد لى أن الشخص الذى أمامى هو عادل وليس شخصاً آخر ولا يختلف عن عادل منذ ثلاثة أعوام سوى بعض من بقع بنية اللون بالبشرة على أحد الأجناب، وأخرى قريبة من الأذن عدا هذا فالشخص الذى أمشاهده هو عادل خاطر الذى اقتربت منه قرابة العشرة أشهر أنظر فى وجهه وعينيه وأسمع صوته ويسمعنى ولهذا بدأت به الحديث :

- " صباح الخير يا عادل " شاهدته بيتسم ويشير نحو صدره ويحرك رأسه دليلاً على السعادة .. ثم سألته :

- " إنت عادل ؟ " .. صمت قليلاً وبدت عليه علامات الضيق ونظر إلى يردد " عد " .. أكثر من مرة ثم وضع يديه على كتفيه وهو يشير بإصبعين لكل يد على الكتف ثم وضع يده اليسرى على رأسه وباليدي اليمنى أدى التحية العسكرية، لقد امتطاع عادل أن يعرفنى بنفسه بأنه " عد " أى عادل ولا يستطيع أن يستكمل كلماته ثم أكمل التعارف بأن أشار لى بأنه ضابط برتبة ملازم أول.

جلست على الكرسي المجاور لسريره أقص عليه بعض الحكايات القصيرة، كان يستمع لى باهتمام ولا يستطيع الحديث، نهضت ونظرت فيما يقرأ ولشدة دهشتى أنه كان يطالع أحد الرسوم الهندسية بإحدى الجرائد اليومية وفى تلك اللحظة شاهدته يشير بيده للرسم بضيق، بما يعنى أن به

خطأ وأشار بإصبعه إن كان معى قلم وبالفعل قدمت له قلما وشاهدته يعيد  
تخطيط بعض خطوط الرسم الهندسى ويقدمها لى فى سعادة.

لم أكن أنظر للرسم ولكنى كنت أنظر لعادل لهذا الأمير زوج سنديلا  
هندسة القاهرة الحبيبة واحدى العازفات معى فى فرقة المدرسة الثانوى ابنة  
الأسطى يونس أحد عمال قناة السويس المهرة، وكما أخبرنى أبى بأن  
الأسطى يونس كان من أبطال المقاومة الشعبية ضد الاحتلال الإنجليزى  
قبل الجلاء.

شاهدت كريم أمامى سعيداً فرحاً بمريضه وتساءل هل شاهدت هذا  
الشاب من قبل، نظرت إليه وبكل ثقة قلت له :

- " كريم .. إالى قدامك ده المهندس عادل خاطر جوز صاحبتى نسمة  
يونس " .. بدهشة !!.

- " بتقولى مين .. عادل خاطر إالى استشهد فى حرب الاستنزاف ؟ " .

- " أبوه يا كريم، هو عادل " .

- " ياه على الدنيا .. شوفى يا رجاء .. عايز أعرف كل حاجه عنه ..  
صاحبتك عرفت باللى حصل ؟ " .

- " مش عارفه لكن لازم أعدى عليها وأعرفها " .

- " كويس .. أنا عايز أعرف منها عن حاجه مهمة فى حياة عادل عشان  
نعملها معاه ونخلى عقدة لسانه تتفك، تعرفى لو حصل ده يبقى عادل رجح  
لأكثر من ٩٠% من حالاته قبل الإصابة، أطباء جراحة التجميل بيقولوا  
عملوا معاه خلال الشهرين إالى فاتوا شغل كويس وزى ما أنتى شايفه حالته  
أحسن " .

- " طبعاً .. حالته فعلاً زى قبل الإصابة ما فيش غير البقع إالى موجوده فى وشه ".  
- " دى حتروح بعد خمس أو ست سنين ".  
الصليب الأحمر الدولى :

تم الاتفاق بين كل من مصر والصليب الأحمر الدولى وإسرائيل على تبادل بعض الأسرى المصريين من المتبقين منذ توقف حرب الاستنزاف منذ ما يزيد عن الثلاثة أعوام مع بعض العملاء الإسرائيليين، أقتيد الأسرى المصريون الذى تم الإفراج عنهم إلى إحدى مجموعات المخابرات الحربية للتحقيق معهم فى كيفية أسرهم، أمرنى القائد المباشر بالتحقيق مع الجندى الأسير قائلاً:

- " رائد عبدالسميع، إنهى الحكاية دية وشوف إيه إالى ورا العسكرى ده، أنا مش مستريح لحكاية أسره ".  
لهذا أشرت لهذا الجندى الذى تبغنى لداخل المكتب وأغلقت الباب وطلبت منه الجلوس وأن يقص على كل ما تم بخصوص أسره، وأيضاً ماذا حدث له بعد الأسر بداخل سجون إسرائيل وأى معلومات يعلمها ويستطيع أن يقدمها خدمة للوطن، تحدث الجندى دون أن يقاطعه أحد:

" أنا جندى مجندى محمد السيد على من الفيوم مهمتى سائق لورى جاز ٦٣ وكنت فى مهمة لنقل بعض المؤن من منطقة الروبيكى للمناطق الإدارية بالجيش الثالث بمنطقة فايد، أثناء رجوعى لمنطقة الروبيكى أشار لى أحد الضباط برتبة ملازم أول أن يركب معى اللورى ويغادره بمنطقة الشركة الشرقية للبترول غرب السويس بحوالى أربعين كيلو، ضحكت معه

وطلبت منه أن يستمر معى حتى وصولنا للروبيكى لأننى أخشى على نفسى من الكمين الإسرائيلى الذى تتردد الأفاويل عنه لكنه ضحك من حديثى.

كان الضابط شاباً وسيماً وعلمت منه أنه عريس قادم توأ من عند عروسه بمدينة فايد، قبل أن أتوقف باللورى بقليل كما طلب منى الضابط شاهداً بعض عربات الجيب الخاصة بالشرطة العسكرية والكشك الخشبى وأيضاً عليه اسم الشرطة العسكرية، حضر أحد جنود الشرطة العسكرية وأشار لنا بالتوقف كما طلب منا الهبوط تحت تهديد السلاح، بعد أن وقفنا بجوار اللورى شاهداً بعض الجنود الذين تم القبض عليهم، لعب الفأر فى عبي كما يقول المثل واقتربت من الضابط العريس وهمست فى أذنه بأنهم إسرائيليون، هنا صاح الضابط متسائلاً : كيف توقفون سيارتى فحضر أحد الجنود وطلب منه تحقيق الشخصية العسكرية، راوغ الضابط فتكالب عليه الجنود وأخذوا حافظة نقوده وقام أحد الجنود بقراءة تحقيق الشخصية العسكرية، أقبل أحد الضباط الإسرائيليين ويده تحقيق الشخصية العسكرية للضابط المصرى رفيق اللورى ونظر إليه وصرخ فيه بقوله " يا مزور يا ابن الكلب، يا نجس .. عمكرى ولا بس لبس الضباط" .. ثم طلب من أحد الجنود أن يضع القيود بيدي ويتوجه بى للطائرة الهليكوبتر.

ظل الضابط المصرى واقفاً بجوار الضابط الإسرائيلى الذى مازال يقوم بالتحقيق معه، فى تلك اللحظة سمعت الضابط يصرخ مردداً حرس سلاح، فى أعقاب هذا شاهدت آثار طلقات أسلحة ورشاشات تطلق نحونا، أثناء توجيهى مع الجندى الإسرائيلى لموقع الطائرة الذى كان يبعد مسافة كبيرة

لا تقل عن خمسمائة متر من مكان تواجد كمشك الشرطة العسكرية الذى أوقفنا وألقى القبض على، شاهدنا نيران ترتفع لأعلى وسمعنا أصوات انفجارات شديدة رعدت على أثرها على الأرض قبل أن أصل للطائرة، بعد الانفجار الرهيب شاهدت الإسرائيليين يحملون جثث موتاهم المحترقة لداخل الطائرة وكان عددهم لا يقل عن خمسة أو ستة أفراد ."

- " تعرف مين الطابط ده أو العسكري ده ؟ "

- " لا يا فنم .. بس هو قال ليا أن فصيلته محتله موقع على الطريق وأنهم يتبعوا المهندسين العسكريين ."

ظل الجندى الأسير يتحدث عن باقى مشاهداته لكننى توقفت عند تقمص الجندى المرافق له فى الطريق قبل الأمر لشخصية ضابط، وتساءلت: كيف حدث هذا وكيف تم أيضا وقررت العودة للملفات القديمة ولهذا طلبت من رجال التحريات العسكرية والأمن الحربى تزويدى بكل البيانات عن تلك الواقعة.

المخابرات الحربية :

نشط رجال المخابرات الحربية فى البحث عن حقيقة ما تحدث به الجندى العائد من الأسر بقطاع الجيش الثالث ولقاء فرع المهندسين العسكريين، ولهذا تم مراجعة تقارير العمليات وتمركز الوحدات العسكرية خلال الفترة التى تمت خلالها غارة الجيش الإسرائيلى وأسماء المصابين والشهداء، توصلوا لرقم الفصيلة التى كانت تحتل موقعاً جديداً قريباً من ميناء الأدبية على خليج السويس، هناك بموقع الفصيلة تم سؤال جميع أفراد الفصيلة التى حضرت واقعة الإغارة ومعرفة أسماء الشهداء والجرحى.

قامت التحريات العسكرية بمراجعة أسماء الجرحى والشهداء وتم التدقيق على سؤال الجنود عن طبيعة كل جندي، توقف رجال التحريات عند إجابة الجندي سعيد مهنا وما قالته باسمين زوجة الجندي المصاب محمد العادل بأنه ضابط، رافق الجندي سعيد مهنا أفراد التحريات الذين توجهوا للزوجة الحزينة والتي كانت تحمل طفلها وبسؤالها عن الشخص الذى تزوجته، أفادت بأنه الضابط محمد العادل، طلبوا الاطلاع على قسيمة الزواج والتي أثبتت أن زوجها محمد العادل من أبناء قرية كفر العزازى شرقية، كما عثروا معها على عدة صور شخصية تجمعها بزوجها وهو يرتدى الملابس العسكرية ويضع على كتفيه رتبة ملازم أول بالجيش.

توجهوا لقرية كفر العزازى وتم لقاء مع والدى محمد العادل والذين تضاربت أقوالهما، الأب سعيان لا يعارض أن يصبح ابنه شخص آخر أو أن هيئته قد تبدلت بينما أصرت الأم على أن الشخص الذى ادعت الحكومة بأنه ابنها ليس بابنها وانها شعرت بهذا أثناء حالة التشوه التى كان عليها وبعد عودته من العلاج بالخارج تبين لها أنه ليس بابنها.

توجهت مجموعة إلى عنوان الضابط عادل الشهيد وهناك التقوا بالمعلم عوض بسوق روض الفرج الذى حدثهم عن الحادث الذى أفرغ السوق بمهاجمة شاب لسيدة صغيرة وطلب حضور العامل عيد الصغير الذى أوضح للمجموعة عما شاهده واستنتاجه، طلب منه المحقق أن يتبن صورة الشخص الذى شاهده من بين مجموعة الصور التى كانت معه وعرضها عليه، أشار العامل إلى صورة محددة تبادل خلالها المحققون النظرات.

توجهوا بعد هذا إلى مستشفى بولاق العام وهناك بقسم الأمراض النفسية والعصبية قاموا بزيارة المريض محمد العادل، شاهدوه وتأكد لهم أن صورته مطابقة لصورة الضابط الاحتياط عادل زكى خاطر التى حصلوا عليها من ملف خدمته بقسم الاحتياط بشؤون الضباط، بسؤالهم للطبيب المعالج عن المريض وحالته، قدم إليهم الطبيب شرحاً وافياً عن حالته وعن سابق معرفته به قبل هذا، وأفاد بأنه سبق وأن شاهده قبل هذا وأن زوجته رجاء حضرت وشاهدت المريض وتأكد لها أنه المهندس عادل زكى خاطر.

طلبوا من المعلم عوض أن يأتى برفقة زوجته للتعرف على المريض، حضر الاثنان ومجرد أن شاهدها حتى هتف المعلم (الله أكبر) .. بينما صرخت شقيقته وألقت بنفسها على صدره بين دهشته وحيرته، تأكد لقسم التحريات أن هذا الشخص هو عادل زكى خاطر ولم يتبق أمامهم سوى معرفة الشخص الآخر، أعدوا مجموعة صور تم نسخها من صور زفاف محمد العادل على عروسه (ياسمين بخيت) وطلبوا حضور الجندي المفرج عنه من الأسر للتعرف على الصور وبعد مشاهدة الصور من بين عدة صور لأشخاص آخرين فى نفس العمر والهيئة، أقر الجندي أن هذا هو الضابط الذى كان يستقل معه اللورى وتم أسره والحصول على الكارنيه العسكرى وسباب الضابط الإسرائيلى له بأنه ينتحل شخصية أحد ضباط الجيش المصرى.

عاد رجال التحقيق للرقيب فوزى رقيب الفصيلا كى يعيد عليهم مشاهداته هو وبعض الجنود بعد الانتهاء من المعركة وأقروا بأن الضابط عادل كان يردد قبل وفاته أنا العادل ولم نستطع فهم ما يقول لأن الوجه

محترق ولم نستطع أن نميز هل هو الضابط عادل أو شخصاً آخر، وكنا جميعاً نعلم أن الجندي محمد العادل متغيب من إجازته وغير موجود في الموقع مع وجود الرتب العسكرية المحترقة تأكد لنا أن هذا هو الضابط عادل وبعد البحث شاهدنا شخصاً آخر محترق في الوجه واليدين ولا يرتدى سترة الأفرول وملقى بجوار اللورى المخصص لقيادته محمد العادل فتأكد لنا أنه محمد العادل.

تأكد لرجال التحريات أنه تم استبدال الشخصين بطريق الخطأ وليس التعمد لأن الإصابة كانت حريق من الدرجة الثالثة، مع انتشار اللون الأسود الذى كسى أجساد الشخصين بلون الفحم الناتج من انفجار برميل المازوت وأن محمد العادل هو الشهيد وأن نزىل المستشفى هو عادل زكى خاطر، وبناء عليه تقدموا بتقريرهم هذا لإدارة شؤون الضباط التى بدأت فى تعديل الإجراءات التى تمت بناء على شهادات الشهود والإصابة المقررة من الوحدة بإلغاء وفاة عادل زكى خاطر فى الأوراق الرسمية، وتقدمت أيضاً إلى إدارة المجالات العسكرية المختصة بشؤون الجنود لهذا الصدد لإقرار استشهاده محمد العادل بعد أن يقدم للمحاكمة عسكرية نظراً لسلوكه المخالف للقوانين الخدمة وذلك بانتحال صفة غير صفته مما أدى لهذا الارتباك واستعادة الأموال التى تم صرفها دون وجه حق لأسرة الضابط زكى خاطر، وأيضاً استبدال معاش كل منهم مكان الآخر والقيام بدفع تعويض الاستشهاد لعائلة الجندي الشهيد محمد العادل.

## سندريلا والأمير

بمنزل المعلم عوض والتي تقيم فيه أسرة المعلم زكى خاطر أُنقت ابنتهم مديحة بالخبر المذهل كما كانوا يرددون وفي حضور المعلم عوض، لم يصدق كل من الأم والأب أن ابنهم مازال على قيد الحياة بعد مضي ثلاثة أعوام من الحزن عليه، كانت الفرحة غامرة شاملة بعودة الابن العزيز إلى الحياة بعد أن احتسبوه عند الله وديعة عائدة إلى خالقه، قررت مديحة شقيقته وأمه القيام بزيارة نسمة وإبلاغها بالخبر السعيد.

مساء اليوم التالي قامت كلٌ من مديحة وأمها بشراء بعض الأغراض الخاصة بمقدم شهر رمضان والذي أذاع الراديو أن الليلة هي رؤيا هلال الشهر الفضيل، ولهذا حملوا الكثير من خيرات رمضان من قمر الدين والبلح الجاف والمشمشية والتين الجاف والقراصيا والخروب مع كميات من عبوات السكر، كل تلك الأغراض توجهوا بها بتاكسي إلى عنوان نسمة أرملة ابنهم وطفلتها بواسطة سيارة تاكسي ورافقهم خلالها العامل عيد الصغير كي يقوم بحمل تلك الأعراض لشقة نسمة وطفلتها.

أصابت نسمة الفرحة والسعادة والبهجة وبأن من المؤكد أن شهر رمضان سيوافق الغد بإذن الله، طلبت أم عادل من نسمة أن يقوموا بالانتقال إلى شقة عمته كي يلتقوا بها ويوالديها فأسرعت بمرافقتهم تحمل ابنتها ذات العامين، استقبلتهم أم نسمة بفرحة وسعادة لأنهم من رائحة الحبيب كما كانت تردد وتقول دائماً، كما رحب بهم المعلم يونس سعيداً بقدمهم في تلك المناسبة.

تحدثت أم عادل موجهة الحديث لنسمة بأن عليها أن تتخلى عن الحداد على وفاة ابنها ولاداعى لارتداء الملابس السوداء مما دفعها للابتسام وعلقت بأن تلك الملابس ما هي إلا القشرة الرقيقة لحالة الحداد التي لبستها منذ وفاة المغفور له عادل وأن الحزن كامن في القلب ولا بديل له سوى اللحاق به بجنة الخلد.

بعد قليل تنامى إليهم صوت عم جودة حارس باب العمارة يخبرهم بأن مصطفى بيه الخطيب وابنتيه قادمون للزيارة مما شمل الجميع سعادة وبهجة لما يمثله لهم من ذكرى كانت حزينة لما لاقته تلك الأسرة من سوء الحظ وتعت الأهل وقعد الأم الحانية، جلسوا في انتظار قدوم الزوار مما دفع بعمة نسمة لأن تنادى على عم جودة حارس العمارة متسائلة عن الزوار، أفادهم بأنهم قادمون لأنهم توجهوا لأحد المحلات لشراء بعض الأغراض.

لم تمض عشر دقائق إلا وأقبل عم مصطفى وابنتاه وحفيدته صفاء واستقبلوا هذا الجمع بسعادة وترحاب وكانت السعادة والضحكات هي المسيطرة على الجميع، نظرت رجاء إلى مديحة كأنها راغبة في أن تعرف هل أخبرت نسمة بما حدث وكانت إجابة مديحة بإشارة بيدها تعنى لم يحدث الآن مما دفعها لأن تشير لمديحة بأن تتولى هذا الأمر، بالفعل تحدثت مديحة تمهد للحدث وأشركت رجاء بقص رواية ما حدث لها مع الشخص الغريب الذي فاجأها أثناء دخولها العمارة مما أخافها ودفعها للصراخ وطلب العون.

نظرت إليهم نسمة بدهشة وعلقت متسائلة : مَنْ هو هذا المجرم الذي كان راغباً بالحاق الأذى بكُ ؟ " صممت رجاء بينما تحدثت مديحة بأن هذا

المجرم هو شقيقى عادل، ران صمت على القاعة ونظر المعلم يونس إلى مديحة شقيقة زوج ابنتها راغباً فى الاستفسار موضحاً هل نطقت اسم الشخص المعتدى خطأ، ابتسمت لهم جميعاً وهى تؤكد أن من قام بهذا هو شقيقى المهندس عادل زكى خاطر، ظلت نسمة صامته ولم تعلق وكما قالت بعد هذا بأن الحدث كان أكبر من قدرتها على تحمله، ولهذا فإنها أعدت نفسها على أن الحديث نوع من الرويات والحكايات التى تحكى عن المعجزات والكرامات حيث التزمت بالصبر الذى أمرنا الله به، ولهذا كانت دائماً ما تكرر بيتين للشعر:

سأصبر حتى يعجز الصبر عن صبرى

وأصبر حتى يأذن الله فى امرى

وأصبر حتى يعلم الصبر أننى

صبرت على أمرٍ أمر من الصبر

ظل الحديث دائراً وكل من نسمة وأمها ووالدها وعمتها فى دهشة وازدانت دهشتهم لاستمرار مديحة وأمها فى الحديث عن عادل فهو ابنهم إلى أن روت مديحة بأنها قامت بزيارة عادل فى المستشفى بناء على تعليمات من جهاز المخابرات الحربية للتأكد من أن هذا الشاب هو عادل وليس شخصاً آخر كما روت رجاء هى الأخرى بأن من يقوم على علاج عادل نفسياً هو زوجها كريم والذى تشكك فى أمر هذا الشاب الذى لا

يستطيع النطق إلا بكلمة واحدة " عَد " ولهذا فقد توجهت للمستشفى كى  
أؤكد لزوجى هل ما سبق وشاهدته وما يحدثى عنه هو عادل أم أنه  
شخص آخر .

قمت بزيارته وتأكد لى أنه عادل زوجك يا نسمة بل إننى شاهدته يراجع  
شكلاً هندسياً لمنشأ اكتشف أن فيه خطأ وطلب منى قلماً بطريقة الإشارة  
فقدمته له وأصلح الخطأ وكان سعيداً، وحينما سأله كريم عن اسمه أجاب "   
عَد " فقلت له هل تقصد عادل .. ابتم وأشار إلى نفسه بهذا الإسم بما  
يعنى أننى عادل بل رفع يديه الاثنتين على كتفيه بوضع إصبعين كأنه  
يقول لى أننى ملازم أول، ثم وضع يده اليسرى على رأسه وأدى التحية  
العسكرية، كل هذا أكد لنا أنه عادل ومن أجل هذا قررت إدارة المخبرات  
بأن من يرقد فى المستشفى أمامها هو عادل زكى خاطر .

نظرت إلينا نسمة بشيء من الدهشة ثم غمرت عيونها الجميلة الدموع  
وهى تردد :

- " كلكم شفتموه وكلمتموه والوحيدة إल्ली ما شفته ولا كلمته أنا، أنتم متعرفوش  
عادل عندى قيمته إيه، مش عايزه أقول إن ربنا فوق وعادل تحت، عادل ده  
إल्ली حبيته من أول سنة دراسية فى الجامعة وفضلت أحبه حتى لما عرفت  
أنه مات فضلت أحبه وولدت بنته ورعتها، لازم أشوف عادل ودلوقتى " .

كانت نسمة فى حالة شديدة الانفعال غير التى كنا نشاهدها عليها،  
جلست بجوارها وأخبرتها بأن كريم زوجى يعالجه نفسياً كى يستطيع النطق  
وأنه راغب فى أن يعلم ما هو الحدث السعيد الذى يمكن أن يؤثر على  
أحاسيس ومشاعر عادل كى تدفعه للنطق والحديث، صممت قليلاً وقالت

إنها سوف تخبر الطبيب لكنى أرغب فى أن أراه الآن، طلبت منها تأجيل هذا للغد لأن هذا قد يؤثر على طريقة العلاج النفسى، رضخت لرغبتى ووعدها بأن أقوم بالمرور عليها حوالى العاشرة صباحاً ونتجه معاً للمستشفى لرؤية عادل والتحدث مع كريم.

كل هذا أخبرت به كريم بعد انتهاء الزيارة مع أبى وشقيقتى الصغرى التى كانت سعادتها لا توصف لأنها تحب عادل حباً جماً لمواقفه معنا، ولأنه منذ لقائنا به والدنيا أشرقت بجمالها وعطفها نحونا وبالأخص هناء الصغيرة التى كانت راغبة فى مشاهدة عادل ووعدها بأن تشاهده فيما بعد وليس الآن لأنه يعالج.

نسمة :

انتهى اللقاء والزيارة وما حوتها والتى لم تكن تخطر على بالى، لقد كانت زيارة ممتعة بكل جلاء، كانت المعلومات التى تناولها الزوار فى منتهى السعادة والخطورة، لم أكن أنتظر كل هذا بل كنت أنتظر أن تضع الحرب أوزارها كى أتمكن من زيارة قبر الشهيد عادل، لم يسبق لى أن فكرت برهة فى احتمال أن عادل مازال على قيد الحياة فهذا أمر مفروغ منه، عادل يمثل لى شىء عظيم القيمة لا يدانيه شىء آخر فى الحياة، أنا أعلم أن كل زوجة تحب زوجها وتقدره لكن حبى لعادل فاق كل تصور، كنت أعلم بهذا أثناء حياتنا لكن بعد أن فارق الدنيا شعرت أن عادل شىء لا أستطيع وصفه ولا الحديث عنه، لأن هذا سوف يقلل من شأنه فلا ادعى البلاغة بأن أحمله صفات يعجز لسانى عن ترديدتها لصعوبة الوصف والحديث.

لقد أعطيت العذر لكل فتاة أعجبت بعادل وغادرتنى الغيرة والأنايية، قدرت حالة كريمان وأيضاً حالة رجاء، تلك الفتاتان فى مقتبل العمر وعلمن أن عادل خالى ولا رابط بينه وبين فتاة أخرى بعد أن غم عليه وشاهد العمارة تسقط أمام عينيه، لماذا لا تختار كل فتاة الزوج المناسب بدلاً من أن تظل الفتيات مثل الجواهر المعروضة تنتظر المشتري، لهن كل عنر فأنا الزوجة والحببية شعرت بفراغ شديد بعد وفاته ولم أجد أو أعثر على دموع الفراق التى يجب أن تذرف وتتاسب مع فراقه.

غدا سوف أشاهده وأؤكد من أنه عادل، غداً سوف أسمع الكلمة المقررة عليه والمكونة من حرفين، هذا هو عادل مختلف عن الآخرين، لم أعلم أو أقرأ أن شاباً دخل قلب فتاة بسبب إنقاذ حذائها من الغرق، لا أعلم أن شاباً حاول الحفر بين الأحجار كى يستخرج فتاته التى سقط بها المنزل أمام عينيه، لا أعلم أن شاباً مصاباً فى العمليات الحربية ويتوكأ على عكازين يسعى للقاء الحببية التى شاهد صورتها فى جهاز التليفزيون وقد تكون الصورة لفتاة شبيهة لها، أليس كل هذا إبداع فى الحب مثل إبداع الكتابة والشعر والرسم، إن إبداع الفنون مشابه لإبداع الحب الذى لا يظهر بين الكثيرين من الناس، لقد رفضت العديد ممن تقدموا للزواج بى بعد عادل، كنت أردد بداخلى بأننى لم ولن أفكر فى هذا الموضوع، لقد سلب عادل حياتى حينما قدر الإلاه مماته.

منذ الصباح نهضت أحسن حالاً وأعددت نقسى للقاء عادل الحبيب والزوج وليس المصاب، حصلت على حمام منعش وهندمت من أحوالى كأنثى وارتديت ملابس أنيقة وخططت بعص ألوان على الشفتان والبشرة

والرموش والعيون رغم أننا فى بداية شهر الصوم، وضعت الكثير من المساحيق التى نسميتها بل وتلف بعضها لعدم الاستخدام، نثرت عطرى القديم لأننى لم أقتن عطراً حديثاً وكان العطر القديم مثل عطور الرجال، لكنه عطر من الجنه لأن الذى قام بشراءه الحبيب عادل الذى أراد القدر أن نفترق ونحن أحياء لمدة تزيد عن العام ثم نفترق مرة ثانية ونحن أحياء لمدة تزيد عن ثلاثة أعوام منذ منتصف عام ١٩٧٠ حتى الاقتراب من نهاية عام ١٩٧٣ وشهر أكتوبر الذى يذكرنى باللقاء الأول فى داخل الأتوبيس النهري وما قام به من إنقاذ حذائى فى مقابل أسر قلبى، لم نلتق ولا سمعت صوته ولم يضمنى إلى صدره الذى نسيته حلاوته ومتعته منذ ما يزيد عن ثلاثة أعوام.

هبطت السلم وجلست مع عمى وأبى وأمى الذين أبدوا إعجابهم بعودة نسمة يونس إلى سابق عهدا بل إن عمى قالت إن نسمة عام ١٩٧٣ هى الشبيه بنسمة عام ١٩٦٥ حين التخرج من الجامعة، بعد نصف ساعة أقبلت رجاء وتركت صغيرتى تلهو على حجر جنتها وخرجت مع رجاء التى كانت تسير برفقتى سعيدة وهى تردد : " يخرب عقلك يا نسمة .. إيه الجمال ده .. ح تخلى لسان عادل يفك ويقول شعر .. شايفه عيون الناس بتبص عليكى إزاي ؟ " .. ضحكت بما فيه الكفاية مُعلقة : لا أهتم بأى عيون تنظر لى سوى عيون الحبيب عادل.

هكذا قطعنا المسافة من شارع بولاق الجديد حتى مستشفى بولاق العام مروراً بوكالة البلح بطقس ربيعى جميل، على باب المستشفى دخلنا بسهولة وقامت إحدى الممرضات بتوجيهنا لمكتب الدكتور كريم الذى كان فى

انتظارنا والذي رحب بنسمة مبدياً سعادته بهذا اللقاء، مشيداً بجمالها وأناقته، ثم علق بقوله بأنك سوف تشاهدين عادل عن بُعد دون أن يراك لأننى أرتب لخطتى بطريقة تسعده وتجعله يندفع نحوك كى ينفك لسانه وينطق من شدة فرحته وانفعاله لكن المهم بعد أن تشاهديه دون حديث تعودى وتجلسى معى لأعلم منك أهم محطة سعيدة فى حياته وحياتك، وأن ما تضعيه من عطر يجب ألا يكون قد سبق وأن استخدمته سابقاً حين علاقتكم، حينما أحببت عليه بأننى سبق واستخدمت هذا العطر طلب منى التخلص من تلك الرائحة مستخدمة رائحة أخرى قدمتها لى رجاء.

سرنا معاً حتى باب الحجرة وقد أعد الطيب وضع السرير بها بحيث يكون مواجهاً للباب وما على سوى الوقوف خلف البرقان وأنظر إليه دون أن يرانى، تم كل هذا ودخل كل من الطيب ورجاء وتحدثوا معه وسأله الطيب عن اسمه وسمعت صوته يردد : " عَد .. عَد " كدت أبكى لكنى تماسكت وكنت أدقق النظر فى الحبيب الذى يجلس فى الغرفة وليس بينى وبينه سوى مترين أسمع ضربات قلبه الأبيض من هذا المكان، كدت أندفع لداخل الغرفة أقبله وأعود مسرعة لكنى تماسكت لتنفيذاً لتعليمات الطيب.

غادر الطيب ورجاء الغرفة وأقبلا نحوى وسرنا معاً عائدين لحجرة الطيب وخلال هذا كانت عيونى مغبرة بدموع الألم والعذاب الذى لقيه هذا الحبيب من لا شىء سوى أنه يدافع عن وطنه، فنال من العذاب والألم الكثير ويكفيه أنه مثل الطفل الذى لا يستطيع أن يتكلم كلمة واحدة نافعه تعبر عما يريد.

فى غرفة الطيب حكيت له عن اللقاء الأول، لقاء سندريلا والأمير وبدا عليه السعادة والإعجاب بأن موقف كهذا قادر بإذن الله أن يدفعه للحديث والبهجة، طلب منى أن نقوم بهذا العمل يوم السبت القادم ولهذا فأمامى سبعة أيام يعد خلالها كل شىء كما يجب، وعليه أن يؤهل المريض لتلك الجولة وسوف يبدأ التنفيذ فى توقيت الظهيرة كى يكون الأتوبيس النهري غير مزدحم ويؤثر الزحام على الخطة خصوصا أن الناس أثناء فترة الصيام تتأبهم حالات الضيق وعدم الألفة، كما صرح لى الطيب بأن أتى لزيارة عادل كل يوم مساء بعد انتهاء العمل خلال فترة الإعداد تلك والتي لن تتجاوز أسبوعا على الأقل، مع مراعاة ما سبق واتفق معى عليه بأن نعيد أحداث عام ١٩٦١ حينما سقط حذاء سندريلا بمياه النهر والتي كانت بداية لقصة حب راقية رومانسية أثرت تأثيراً إيجابياً على شباب الكلية.

منذ تاريخ زيارة عادل الأولى كنت أعود من عملى مندفعه للمستشفى وكانت سيدات التمريض على مستوى عال من الرقة والدقة فى متابعة الحالة ومراقبتى أثناء الزيارة، وبعد أن أغادر المستشفى كنت أحاول التماسك فقد كانت تتادى أذنى بعض القطع الموسيقية الحاملة التى تدفع بأى إنسان إلى الرقص والغناء حتى أن زملائى فى العمل أصابتهم الدهشة من تطور ملابسى وطريقة تصفيف شعرى منذ مساء الخميس الماضى إلى صبيحة يوم الأحد الذى كان بداية للإعلان العالمى لسعادة نسمة وعادل.

مضى الأسبوع طويلاً مملأً ، لكن ما كان يصبرنى على طول المسافة هى التجربة القادمة وأيضا مشاهداتى لعادل يومياً، هذا يوم السبت وقد مضى من الشهر الكريم الثلث واعتاد الناس على اتباع نظامه ولم يعد

هناك ما يثير الضجر، قبل الثالثة كنت أنتظر الأتوبيس النهري وقد نبهنى الطبيب بأنه سوف يرفع من داخل شباك الأتوبيس من جهة الشاطئ علم مصر كي أتأكد من وجوده مع عادل بدلاً من ركوب أتوبيس سابق أو لاحق، أقبل الأتوبيس وشاهدت علم مصر خفاقاً يرفر من شباك الأتوبيس. نزلت السلم بهدوء وكنت أرتدى حذاء مماثل لحذاء الغرام أو سندريلا صاحبة ملحمة الحب، حذاء أملس لا يميزه أى ارتفاع من على الأرض، دخلت لداخل الأتوبيس، شاهدت عادل ولم انفعل، شاهدته يتلفت حوله حيث يجلس الطبيب مجاوراً له، نهض الطبيب فأشار لى عادل فتوجهت نحوه وجلست بجواره وكدت أن أطير من الفرح والسعادة، فى تلك اللحظة نظر إلى فسألته:

- " أنت تعرفنى قبل كده، حرك رأسه بما يعنى أيوه " .. سألته:
- " إنت مين ؟ " .. فأجاب بطريقته المتلجلجة :
- " عَد ... عَد " .. قلت له :

- " أيوه .. أيوه .. عادل بتاع السويس " .. ضحك وأشار بيده على صدره ثم أشار ناحيتى متسائلاً من تكوينين .. ضحكت واقتربت منه قليلاً ورائحة العطر القديم التى طلب منى الطبيب التعطر بها تفوح من حولى رغم أن هذا اليوم من أيام شهر الصيام والعطر فى مثل تلك الأحوال مكروه، لكن لدواعى العلاج لا يكون هناك شىء مكروه أو محبب، شعرت بأنه يركز بحاسة الشم بطريقة ملفته لأى إنسان :

- " أنا نسمة " .. ابتسم وظهرت الفرحة على وجهه وصفق قليلاً .. أعيد ذكر اسمى عليه:

- " أنا نسمة يونس من الإسماعيلية " .. عادت إليه ابتسامته ووضع إصبعه على فمه كأنه سعيد .. سمعته يردد : " نسمة .. نسمة " .

حان وقت النزول بإشارة من أحد معاونى الطبيب الذى استعان باثنين لمجابهة أى طارئ، نهضت فنهض خلفى وسرت فأسرع يسبقنى للباب وقف على الرصيف يمد يده كى يساعدى وفى تلك اللحظة كان الطبيب كريم فى أثرى وتلكأت قليلاً وبعد أن شعرت أنه داس بقدمه على حذائى قفزت إلى الرصيف بعد سقوط فردة حذائى.

وقفت حزينة ووضعت يدى على فمى، شاهد هذ ولم يتصرف مثل المرة السابقة بل قفز بداخل الماء وأمسك بفردة الحذاء مما دفع بالطبيب والمساعدان للتصفيق تبعه بعض الركاب، شكرته وابتسمت فى وجه مررده :  
- " شكرا يا عادل .. مرمى خالص " .. أبتعم ولم يتحدث سوى بنصف اسمى " نسمة .. نسمة " .

أثناء وقوفنا جد جديد على الخطة الموضوعه مسبقاً حيث شاهدنا جمعاً من البشر يلتفون حول أحد الأشخاص الممسك بالراديو وتعالى الأصوات مررده كلمة : " الله أكبر .. الجيش المصر عدى القناة ودمر خط بارليف " .. سمعت صوت عادل التى حرمت منه منذ أكثر من ثلاث سنوات يردد :  
" الله أكبر .. الله أكبر .. عبرنا يا نسمة " .. وطفرت الدموع من عيونه وتبعته وتبعه الطبيب والمعاونين وانتقلت العدوى لكل الجماهير التى كانت تبكى فرحاً مررده : " الله أكبر " .. ثم أعقب هذا سماع أغنية وطنية لم أسمعها من قبل وقام الناس من حولنا بترديدها والتى كانت صادرة من الإذاعة المصرية :

بِسْمِ اللَّهِ... اللَّهُ أَكْبَرُ بِسْمِ اللَّهِ بِسْمِ اللَّهِ

بِسْمِ اللَّهِ... أَنْتَ وَكَبِيرُ بِسْمِ اللَّهِ بِسْمِ اللَّهِ

نَصْرَةَ لِبَلَدِنَا بِسْمِ اللَّهِ بِسْمِ اللَّهِ

بِإِيْنِ وَوَلَدِنَا بِسْمِ اللَّهِ بِسْمِ اللَّهِ

وَأَدَانَ عَلَى الْمُنَّةِ بِسْمِ اللَّهِ بِسْمِ اللَّهِ

بِإِيْحِي جِهَانِنَا بِسْمِ اللَّهِ بِسْمِ اللَّهِ

اللَّهُ أَكْبَرُ أَنْتَ وَكَبِيرُ

وَقَوْلُ يَا رَبِّ النَّصْرَةَ تَكْبِيرُ

بِسْمِ اللَّهِ .. اللَّهُ أَكْبَرُ .. بِسْمِ اللَّهِ

عُدْنَا إِلَى الْمَنْزَلِ وَبِرْفَقَتِي عَادِلٌ وَلَمْ أَشْعُرْ بِأَيِّ شَيْءٍ سِوَاهُ وَأَصْبَحْتُ  
عَيُونِي عَمِيَاءَ إِلَّا مِنَ النَّظَرِ لِلْحَبِيبِ وَلَحَقَتْ بِهَا أُنْدَانِي الَّتِي أَصَابَهَا الصَّمَمُ  
إِلَّا مِنَ سَمَاعِ نَغْمَاتِ سِيمْفُونِيَّةِ عَادِلٍ، وَتَوَقَّفْتُ حَاسَةً الشَّمِّ إِلَّا مِنَ نَسْمَاتِ  
رَائِحَةِ عَادِلِ الْوَرْدِيَّةِ الَّتِي ظَلَلْتُ أَحْتَفِظُ بِهَا طَوَالَ الْأَعْوَامِ الْمَاضِيَةِ، كَانَ  
يَتَحَدَّثُ مَعِي بِحَدِيثِ طَوِيلٍ مَتَدَاخِلٍ وَعَيُونِي سَابِحَةٌ فِي الدَّمْعِ .. دَمْعِ  
الْفَرْحِ وَكَانَ كُلُّ مَنْ يَلْقَانِي يَرُدُّ : " مَبْرُوكٌ .. مَبْرُوكٌ لِيَكُمُ .. مَبْرُوكٌ

لمصر " .. ظل الطبيب ومعاونوه معاناً حتى وصولنا لباب شقة الحاج عوض، كنت راغبة في أن يلتقى عادل بوالديه أولاً قبل لقاءه بعائلتي والذين لم يشاهداه حتى الآن، وكانت أمه تطلب من الله أن يمد في عمرها الأيام الباقية إلى أن يحين لقاء إبنها وتقبيله، وصلنا للشقة وقامت أمه وأبيه بتقبيل عادل ولحقت بهم شقيقته مديحة، وقف عادل لا يستطيع الكلام متسائلاً بينه وبين نفسه ماذا حدث في هذا اليوم ومن هؤلاء وأين كانوا ولماذا أقبلوا نحوي سعداء يتحدثون بحديث ضاحك راقص تغطي عيونهم دموع الفرح وما سبب اختفائهم عنى طوال الشهور والأعوام الماضية ؟.

فى داخل شقة مديحة جلسنا نستريح واخفى الطبيب مع معاونيه وشاهدت سفرة الطعام ممتلئة بالخير، نهضت ورافقت عادل وقمت بمد يد المساعدة والعون له كى يغسل يديه ووجهه، أقبل معى لا يتحدث وكان يستمع وينظر لمن حوله، كان سعيداً بشقيقته مديحة وبالمعلم عوض مما دفعه لأن ينهض أكثر من مره يصافحه ويقبله ولهذا تأثر المعلم عوض لهذا السلوك، وراح عادل يمتدح سلوكه فى الماضى قائلاً : مش ح أنسى ليلة ما اشتريت الشقة لعيلة عم مصطفى الخطيب وسترتة هو وبناته، كانت الحكاية دية دائماً فى بالى زى ما كانت حكايتى مع نعمة فى بالى " .

كانت مأدبة الطعام عامرة بأنوع مختلفة من المأكولات الشهية ورغم هذا لم نتناول إلا القليل من الطعام، نظراً للفرحة الطاغية لعودة عادل ومشاعر الفرحة بالنصر مع توالى إذاعة البيانات العسكرية التى كان لها تأثير شديد على الجميع وكنت أردد فى داخلى : بأن الله كان رحيماً بنا

حيث وزع الانفعال ما بين عودة عادل وخبر الانتصار لأن بعد مضي عدة أيام كانت تتابنا حالة من الشك والريبة في حالة اختفاء عادل عن أنظارنا في أى مكان سواء في الشقة أو خرج من بابها للوقوف أمام العمارة ومشاهدة الناس حيث كنت أعتقد في أن الشخص الموجود معنا ليس عادل، لكنها روحه حتى إذا عاد وظهر أعود ثانية للواقع وإلى صوابي، كما ظهرت عليه بعض علامات تدل على الصحة النفسية التي انعكست بدورها على حالته البدنية.

مساء نفس اليوم توجهنا لمنزل عمتي وهناك كان ينتظر عادل استقبال لا يقل حفاوة عن الاستقبال الأول بين عائلته، قضى عادل معنا عدة أيام خلالها أقبل أحد ضباط القوات المسلحة والتابع لجهاز المخابرات الحربية كى يهنئ عادل على عودته لأسرته وأخبره بأن عليه التوجه باكر للمستشفى العسكري بكويرى القبة لإجراء الكشف الطبى عليه للتأكد من تمام صحته، وأخبره بأن فى مدخل الاستقبال بالمستشفى سوف ينتظره ضابط يرافقه فى كل جولاته للكشف الطبى، نفذ عادل ما طلب منه وجابهه العديد من الصعاب نظراً لكثرة الجرحى المترددين على المستشفى جراء المعارك الحربية التى مازالت فى بدايتها والإصابات التى تلحق برجال الجيش.

بعد مضي ثلاثة أيام أقبل الضابط الذى حضر قبل هذا مهنتنا عادل على تمام عودة صحته وعافيته مرة أخرى وطلب منه أن يقوم بتسليم نفسه لوحده بعد باكر وبالغد سوف يرسلون له بملابس عسكرية وعليها رتب

النقيب لأن جميع زملائه تم ترقيتهم منذ عامين، غادر الضابط المنزل ولحقت معه سعادتي وهنائي وسقطت ثانية فى بئر العذاب والخوف والخشية على فقد هذا الزوج الحبيب، الذى أصبح يظهر لى مثل اليوم التاسع والعشرين من شهر فبراير الذى يقبل كل أربعة أعوام ميلادية فيما يسمى بالمنة الكبيسة.

هذا هو يوم الوداع، يوم سفر الزوج للمجهول للمرة الثانية، لقد فعلها منذ أكثر من ثلاثة أعوام ونصف بعد زواج دام لفترة أسبوعين، تبين لى أن سعادتنا لا تدوم إلا أياما قليلة، بعد تمام خطبتنا وتخرجنا من الجامعة وتسلمنا العمل تفرقنا لمدة عام لا نستطيع أن نلتقى أو يعرف كل منا مكان الآخر، ثم بعد العودة والتعارف والزواج إفتقد كل منا الآخر، فقدت الزوج والحبيب وهو فقد الوطن والأهل وشخصيته ولم يعد يعرف من هو، والآن يعاود الفراق، أشاهده ينحنى على طفلتنا يقبلها بسعادة ثم يقف قليلا بجوار السرير التى ترد عليه وهى فى سبات ويرافقنى لخارج الحجرة.

بعد أن ارتدى زيه العسكرى والتى تزينه نجوم ثلاثة وقفت أمامه أنظر فى عينيه وأتسائل فى داخلى : " هل سيعود ثانية وتلك العينان ستشاهدنى مثلما تشاهدنى الآن " .. كدت أبكى ولكنى تمالكته وقبلته مودعة وكلمات قليلة أوصيته بأن يحتاط من الأخطار دون النكوص أمام العدو، ابتسم لى مودعا واختفى من على درجات السلم فأسرعت كى أراه للمرة الأخيرة، من شباك الحجرة الوحيد الذى يطل على الشارع، شاهدته يسرع الخطى نحو المجهول ولم أشاهد سوى ظهره وتأكد لى لحظتها أنه لن يعود.

عُدت بعد الوداع وأغلقت الشباك وجلست حزينة وقد اعتدت على هذا وأصبح المنزل خاليا بل والعمارة وأيضا الشارع والحي، كنت أسير لعملى وأعود وكان الناس قد اختفت كى تقوم بالبحث عن عادل بالإجابة عنى، كنت أشعر بأن الدموع فى عيوني تقف خلف الغشاء الخارجى للعين تكاد تقفز لخارجها تتبأ عما أقاسيه، شعرت باليتم مرة ثانية بعد المرة السابقة رغم أن اليتم يقال على فقد الأب، لكن عادل كان مهماً فى حياتى ودون أن يسعى لطلب قلبى أو حبى له، لكن سلوكه وعطفه وشجاعته نحوى دفعتنى لهذا الحب الذى يصل لمرحلة الجنون.

عادل :

أسرعت لميدان محطة مصر كى أركب قطار السويس الذى اعتدت ركوبه متجها لوجدتى العسكرية لكن تبين لى أن القطار منعت القوات سيره على هذا الخط نظراً للخطورة التى قد يتعرض لها والحرب دائرة على قدم وساق، شاهدنى بعض المسائقيين ورحبوا بى وعلق أحدهم بأن الكابتن عائد بعد العلاج من إصابة الحرب وتساءل هل هذا صحيح فحركت رأسى تأييدا لكلماته، أحدهم قرر أن أركب معه ويصل بى إلى منطقة قريبة من جبهة القتال، لم يكن أمامى أى خيار .

قريبا من الجبهة بمنطقة أبوصوير توقف التاكسى وقال المسائق لا أستطيع التقدّم وهو يشير إلى رجال الشرطة العسكرية الذين يدققون فى كل شخص وكل سيارة، طلب أحدهم مشاهدة تحقيق الشخصية الخاص بى،

ناولته الخطاب الصادر من شئون الضباط ومن قسم الأمن الحربي بالمخابرات الحربية والذي تكفل الضابط الهمام الذي كان يراعى حالتى بإحضاره، نظر إلى الجندى مردداً

- " ألف حمد لله بالسلامة يا فندم " .. وسألنى عن وحدتى فأخبرته بأنها تقع فى منطقة فايد بعد تحركها من على طريق السويس، أحضر لى كرسيا وعرض على كوب من الشاي فشكرته لأننى صائم، فابتسم ضاحكاً بأنه تقرر أن يفطر جميع رجال الجيش الذين يعملون فى مناطق القتال، بعد قليل حضرت سياره لورى فأوقفها وبلهجة حازمة أمر الجندى بتوصيل سيادة النقيب إلى منطقة فايد، تحجج السائق بأنه سوف يتوقف فى منطقة معسكر كلية الضباط الإحتياط أى قبل مدينة فايد بخمسة كيلومترات، لكن الجندى أعاد عليه الأمر مشدداً بأن سيادة النقيب عائد من إصابة عمليات كى يحارب مرة أخرى، مما دفع بالجندى لأن يهتم بالأمر ويؤدى لى التحية العسكرية وأيضاً فعل نفس التصرف جندى الشرطة وزملاؤه.

لم أشعر بمضى الوقت وأنا أشاهد آثار الحرب على الأماكن القريبة منى وشعرت بأحاسيس الجنود والضباط الذين يعيشون بين آثار تلك الانفجارات الرهيبة، كنت أتابع أعداد صواريخ الدفاع الجوى التى تطلق فى السماء لتدمير الطائرات المعادية، وصلت إلى مدينة فايد وطلبت من السائق السؤال عن موقع الفصيلة ٢٣ مهندسين عسكريين مختلط، أخيراً دلنا أحد رجال الشرطة العسكرية وظل معى السائق حتى وصلنا لموقع الفصيلة

فشاهدت بعض الجنود قادمين وسرعان ما غادرت كايينة اللورى فشاهدنى جنودى مهالين بعودتى سالما وتبعهم الرقيب فوزى.

كان الاستقبال رائعاً وخلال طفرت الدموع من عيون كثير من الجنود، أخبرنى الرقيب فوزى بأن قيادة الكتيبة أبلغتهم بعودتى وذلك بإرسال إشارة من قيادة الكتيبة إلى الفصيلة، كما أن قائد الفصيلة الذى كان متواجداً معهم رحل إلى قيادة الكتيبة ليتولى مأمورية أخرى، أثناء تفقدى موقع الفصيلة وحديث الرقيب فوزى عن المعارك التى لم أشاهدها أو حضور بدايتها حضر إلى موقع الفصيلة رئيس عمليات الكتيبة الرائد رشدى الذى رحب بعودتى وأنهم كانوا راغبين فى أن أتولى سرية مهندسين عسكريين تناسب رتبتي الحالية لكن قائد الكتيبة فضل أن تظل بفصيلتك حتى تتجلى الأمور، ومن أجل هذا فهو قادم كى يخبرك بأنه على الفصيلة الدخول فى عمليات قتال مع العدو وذلك بالاستعداد للإنتقال للضفة الشرقية للقناة، وسوف تحدد لها أماكن لزرع ألغام مضادة للدبابات المعادية خشية قيام العدو بالالتفاف خلف القوات المتواجدة شرق القناة، وقبل أن يغادر الموقع تحدث قائلاً :

سيادة الرئيس السادات ح يتكلم النهارده فى مجلس الشعب عن الحرب واللى حصل فيها، تنبتهت بأن هذا هو يوم الخامس عشر من شهر أكتوبر والذى كان مدونا فى الخطاب الصادر من شئون ضباط القوات المسلحة وتم تسليمه لكتيبة المهندسين كى يخبرونهم فيه بأن النقيب احتياط مهندس عادل زكى خاطر أعيد ضمه على قوة الكتيبة، ومن المستحسن عدم تكليفه

بأعمال خطره تحتاج إلى لياقة بدنية نظراً لظروفه الصحية التي تعافى منها.

أثناء الليل سمعنا قصف مدفعية ودبابات قريباً من المنطقة التي نحتلها وسرعان ما تكشف الموقف بأن العدو الإسرائيلي حاول العبور العكسي أي قادمًا من الشرق إلى الغرب، استعدت جميع القوات حتى وضحت الرؤيا نهاراً وكانت المفاجأة هي هجمات جوية ثأرية على قواتنا في الغرب وتم إهمال قوات الشرق والتركيز على مؤخرات تشكيلات الشرق، كانت أمام جميع وحدات المهندسين مهمة شاقة وهي الدفاع عن مؤخرات الشرق التي ليست بوحدات قتال، لكنها في الأصل وحدات إدارية تجمع بين أنشطة متعددة مثل مخازن المهمات والذخيرة والوقود وورش إصلاح السيارات والمطابخ وخلافه.

تحركنا بسرعة لغلق طرق تقدم الدبابات الإسرائيلية نحو الشمال في اتجاه الإسماعيلية ووضعنا عدداً من خطوط الألغام الثقيلة المضادة للدبابات وقمنا بعمل أقواس نيران بأسلحتنا الخفيفة كي نقوم على حراسة وحماية حقول الألغام، حتى لا تأتي القوات المعادية في سلاح المهندسين التابع لها وتقوم بتأمين الألغام أو إزالتها وبالتالي يصبح كل ما قمنا به قد ضاع أدراج الرياح.

كانت مشاعري قوية بأننا لابد من وقف تقدم المدرعات المعادية، الليلة التالية وصلت قوات خاصة من الصاعقة والمظلات وقامت بمهاجمة قوات

العدو مستخدمة قواذف إلى RBG وكانت المعركة عنيفة بين الطرفين وشاهدت وقوع العديد من الشهداء من قواتنا تحت القصف الشديد للقوات المعادية، تنامي إلى سمعنا وشاهدنا بعض انفجارات شديدة حدثت لبعض مدرعات العدو فى المنطقة التى قمنا بعمل حقول ألغام ضد دباباتهم، كانت مساعدتنا كبيرة وعظيمة سرعان ما انقلب الحال وقامت بعض دبابات لهم بتصويب نيران مدافعهم نحونا رغم أننا كنا نتمركز فى مناطق تكسوها المزروعات والأشجار، لكن طائرات الاستطلاع المعادية استطاعت تحديد موقعنا وتزويد مدرعاتهم بها، سقط من رجالى اثنان متأثرين من شظايا القنابل المعادية، ظلت المعارك دائرة بيننا وبين العدو وخلالها شاهدنا العديد من الإصابات لقوات العدو أدت إلى تدمير العديد من مدرعاته وانفجارها بنيران رجال القوات الخاصة المصرية الصاعقة والمظلات الذين تميزوا بالشجاعة الفائقة.

## طال الانتظار

بعد سفر عادل بيومين انقلب حال القتال بعبور قوات معادية لغرب القناة، كانت حمرتى كبيرة وندمى عظيم، سواء لزوجى الحبيب الذى نُقِع من الدار للنار مرة واحد أو لتوجه العدو لغزو مدن القناة، كنت أتخيل حال مدينتى الحبيبة الإسماعيلية وتدمير شوارعها والفلل الجميلة التى شيدت بعد حفر قناة السويس وكنت أشاهد العائلات الأوربية التى يعمل رجالها فى القناة يتزهون مستمتعين بجمال المدينة والزهور التى تنتشر بها والأشجار الباسقة فى كل مكان.

لقد قدم المخربون المدمرون الكارهين للحياة والإنسانية، كنت دائماً ما أتذكرهم بأنهم إخوة لجنود النازى الذين يهاجمون المدن الأوربية ولا يتركونها إلا خراباً وقد قُتل العديد من أبناء تلك المدن ودمرت العديد من الأبنية بها، وأصبح الخراب والدمار هو حالها، هذه هى إسرائيل وما كنا نشاهده فى بعض الصور عما قاموا به فى المدن والقرى الفلسطينية من قتل وحرق لا يفترق عن جنود النازى فى شىء.

أتساءل : ماذا يفعل عادل الآن والذى ظل لأكثر من ثلاثة أعوام لا يعى شيئاً من حوله ما بين مصاب بحروق شديدة وطريح الفراش وما بين هائم على وجهه بين الأزقة والشوارع يأكل مع القطط والكلاب ويعمل حملاً فى الأسواق ولا يستطيع أن يخبر أحداً عن شخصيته، لا يستطيع أن يردد كلمة واحدة كاملة وقد أصبح مثل الطفل الصغير ابن العام الواحد غير

القادر على أن يقول حرفين بينما توقف لسانه عن الحديث عند كلمة " عد  
" حتى اسمه لا يستطيع تكلمة أحرفه.

هل كتب الله على أن أحيا خارج مدينتي الجميلة مع أبى وأمى وحينما  
أتزوج بالحبيب الذى أرسله الله لى وتعلق به قلبى وانحازت إليه مشاعرى  
وجوارحى أن يصبح هذا حالى؟ .. خطوبة عدة أشهر ثم افتراق وزواج  
أسبوعين وفراق لمدة تزيد عن الأعوام الثلاثة تحمل بين طياتها الحزن والألم  
من خبر الفقد بالحرب والدفن فى مقابر الشهداء بمدينة السويس، عاد  
الحبيب لكن يد القدر أخذته من بين أحضانى التى لم يتمتع بها فلم يكن  
قادراً على جمع شتات مشاعره وأحاسيسه.

عادل :

ازدادت المعارك ضراوة بين قواتنا وقوات العدو غرب القناة وبالأخص  
حينما فشلت قوات العدو فى احتلال مدينة الإسماعيلية وتأكد لنا أن القيادة  
العسكرية فى حالة من عدم الاستقرار لمرعة القرارات والأوامر التى تصل  
إلينا وفى الغالب تكون معاكسه عما قبلها، مما أدى إلى تردى أوضاع  
القوات على الأرض والبعض ظل ساكناً عن تنفيذ الأوامر انتظاراً بأن تأتى  
الأوامر التالية بما يخالف السابقة، وهذا ما كان يحدث خلال الثمانى  
والأربعين ساعة التالية لليوم السادس عشر من شهر أكتوبر عام ١٩٧٣.

بعد عودتي من شرق القناة حيث كنت أقوم مع باقي وحدتي بتوصيل المعدات لهم حدث قصف من مدفعية العدو القريبة منى وشعرت بدمائي الحارة تندفع من ساقي الأيمن ولم أشاهد أحد قريبا منى على قيد الحياة حيث كنا أربعة أشخاص، بصعوبة بالغة استطعت ربط القطع الظاهر الواضح لى فى الساق اليمنى برباط الميدان، بعدها خمدت قوتى ولانت عزيمتى وكنت ألهث ووجهى مختفى بين الرمال الساخنة من حولى، أسمع أصواتاً لبعض الجنود من حولى، حاولت الاستغاثة فلم أستطع.

شعرت بمن يضع يده على ظهري ويتحدث مع أحد بجواره، رنت كلمات المتحدث فى عقلى وتأكد لى أننى أعرف شخصية المتحدث، إنه زميلى فى الجامعة عادل خاطر الذى نال الشهادة منذ ثلاثة أعوام، الآن علمت وضعى، لقد نلت الشهادة وأقبل مع بعض الشهداء أصدقائه يرحب بى، ظل صوت عادل يرن فى أذنى لكنى شعرت بمن يحرك جسدى وعدل من وضعى بحيث أصبحت أرقد على ظهري وأشاهد من حولى، الآن أشاهد عادل، أردد بداخلى : " يا عادل أنت السابق وأنا اللاحق " .

شعرت بأننى محمول وأصوات عديدة تتحدث وأنا فى حالة غريبة وأحدث نفسى بأننى فى داخل الجنة أشاهد المصريين كما هم، أصوات عاليه وجلبة وضوضاء، ألا يخشون أن يغضب عليهم رضوان حارس الجنة، أشعر بألم فى ساقي الجريح، أتساءل : هل يظل ألم الشهيد معه

حتى وهو فى الجنة، تأكد لى هذا حيث : كنت أسمع بعض شيوخ الدنيا يقولون إن الشهيد لا يُغسل ولا يُكفن ويظل بملابس الحرب التى تغطيها الدماء حتى تصبح شاهده على ما قام به فى الدفاع والزود عن أرض المسلمين ضد أعداء الله والوطن والدين.

أنام أسفل شجرة وحولى العديد من جنود الجيش الذين يحيون فى الجنة دون إصابات فهم دون دماء تتزف منهم، أشاهد شابا قادمأ وقام بفتح حقيبة " بل " من المخصصة للجيش واخرج منها أدوات جراحه، أحاول أن أتحدث وأخبر طبيب الجنة بألا يفعل هذا كى يشاهدنى رى والملائكة بدمائى تلك، لكنه مازال مستمراً فى عمله، خمدت حركتى وشعرت بأنى لا أشعر بمن حولى فى الجنة، تنبهت بعد فترة فشاهدت بعض من حولى يتناولون طعاما وبعضهم يدخن سجائر، لم أصدق بأننى فى الجنة لأن مثل تلك التصرفات لا تحدث فى الجنة، أين أنا إذا ؟ ! .. من المحتمل أن ملك الجنة غاضب على.

ظللت تأنها لفترة وتأكد لى أننى فى انتظار مندوب النار وأن هؤلاء الجنود من ضمن من سيدخلون النار لأننى لم أعد أسمع أو أشاهد عادل زميلى الذى سبقنى للجنة منذ ثلاثة أعوام، أردد فى داخلى : " ياه يا عادل " هُنت عليك تعيبنى كده وتروح الجنة لوحدك وأنا هنا مستنى نصيبي فى النار، هان عليك أحمد العزازى إالى كان بيسلفك بعض المحاضرات لم تروح تتفسح مع زميلتنا نسمة، كمان هان عليك عزومة البط والوز إالى

عملتها لك فى بلدنا، يا راجل دا كنت مجهز لك عروسه حلوه صاحبة  
خطيبتى، عليه العوض."

سمعت صوت عادل وتأكد لى أنه قادم من الجنة كى يصحبنى إلى  
جواره، ومن المؤكد أنه سمع كل ما قلته فى داخلى، الشهداء بيقلوا عليهم  
كده، جلس مجاوراً لى يحاول رفع روحى المعنوية ويتسائل:

- " اسم البطل إيه ؟ "

- " أحمد العزازى يا عادل "

- " يخرب عقلك يا أحمد .. أنت ورايا ورايا "

- " أعمل أيه يا عادل، لكن الجنة مالها .. مش نضيفه وعماكرنا متبهدلة،  
ميكونش حيدخلوا النار ؟ " .. سمعت ضحكته الصافية معلقاً :

- " يخرب بيت الشراقة ، العبط فيهم حتى فى الحرب "

- " لآ والنبي يا عادل، مش إحنا برضه فى الجنة ؟ "

- " جنة إيه يا مجنون، الحرب شغاله على ودنه "

- " الحرب ؟ !! .. إيه الكلام ده، أنا أعرف إنك مُت من ثلاث سنين "

- " صحيح .. لكن طلعت غلطة وكنت مصاب والميت افتكروه أنا " .

- " يعنى أنت ممئس ؟ " .

- " جرى إيه يا أحمد .. اصبر عليا شويه وحتلاقينى مُت " ..

- " بتضحك يا عادل، طيب .. بقى الحكاية كده .. طيب متعرفش العسكرى بلدياتى إللى كان معاك راح فين، تصور راح يتعالج فى بلاد بره ومرجعش وأبوه وأمه بيقلوا إنه طلع واحد تانى وسبوه فى المطار ورجعوا البلد وراحوا للعمدة يعملهم شكوى " .

- " العسكرى بلدياتك ده هوه سبب كل إللى حصللى .. المهم أنا الشاب إللى افتكروه محمد العادل وفى الوحدة افتكروه الظابط عادل " .

- " مش معقول !! " .

- " لأ يا سيدى .. معقول لأنه كان معاه رتبة ملازم أول وبعد ما يروح فايد يروح لقرايبه وللبنت إللى بيحبها ويعرفها إنه ظابط، ولما حصلت الغارة الإسرائيلية علينا بتاعة الشرطة العسكرية وحصل انفجار مات واتحرق جسمه من ناحية الوش زى حالاتى، لكن جزء من الرتبة كان ظاهر ومكنش معاه كارنيه عسكرى واتلخبطت الحكاية " .

- " يعنى إنت جيت حدانا البلد مكان محمد العادل ؟ " .

- " إيوه يا عزازى، رحى بلدىم شحات وفى المقابر كانوا بيلموا علىا الصدقة " .

- " ينهار مئ فائى، تصور جواهر صاحبة فواكه ما إنت عارقها شافىك كام مرة وقالت لفواكه إنها بىحس ناحيتك بنوع من الحب رغم إن نسوان الكفر كانوا بيقولوا عليك وش البيومة " ..

- " بتضحك يا عزازى .. المهم قوم من رقدتك دية عشان ناكل ونشرب ونشوف العملية فيها جنبه ولأ إيه " .

هكذا نهضت ولحقت بزيملى عادل خاطر الذى كُنت أعتقد أنه شهيداً منذ ثلاثة أعوام، دفعتى حديث عادل للاعتقاد فى أننى مازلت حى أرزق، وأن موعدى لم يأت بعد وأن الحرب سوف تنتهى وأعود لقريتى وأتزوج من فواكه، وأتسلم عملى بالإدارة الهندسية بمدينة أبوحماد.

استمرت المعارك مع قوات العدو وزادت قسوة الحصار مع انعدام المؤن من طعام وشراب بل بعض حالات الإصابات التى كانت تحتاج للعلاج، ورغم هذا ظل الحديث بينى وبين العزازى جميلاً ومريحاً كى يسعدنا فى تلك الظروف الصعبة واستطعت أن نجمع شتات فصيلته مع فصيلتى كى نصبح عنصراً واحداً، وقام الرقيب فوزى بعمل أحمد العزازى نظراً لإصابته .. مازلنا نقوم بما كُلفنا به وتبين لى أن رجال المهندسين العسكريين مقاتلين أشداء حتى جاء اليوم الذى تم فيه قصف شديد لموقعنا وبعد انتهاء القصف

شاهدنا جنود المشاه الإسرائيليين يحيطون بنا شاهرين أسلحتهم نحونا وأحدهم تقدم منى وطلب أن أصدر أمراً لقواتى بالاستسلام.

لم يكن أمامى أى بديل وهكذا جردونا من أسلحتنا الخفيفة واقتادونا إلى منطقة تكسوها ظلال الأشجار وبها العديد من لوارى الجيش الإسرائيلى التى حملتنا واتجهت بنا عبر معبر فوق القناة شرقاً، وتأكد لنا أننا متجهون لإسرائيل .. تضاربت ردود الفعل بيننا كأسرى، بعض الجنود فكر فى القفز من فوق اللورى ومن المحتمل أن أحد جنود الحراسة المرافقين لنا سمع تلك الأحاديث، نظر إلينا أحد هؤلاء الجنود وهو يشير لنا بأنه سوف يطلق علينا النار فوراً ولهذا خمد الجميع واستسلمنا لقدرنا وظل حديثى مع العزازى يعود للماضى السعيد ونحن طلبة فى الجامعة.

نسمّة :

منذ سفر عادل لجبهة القتال لم يرد إلينا منه أى اتصال، فلم يحصل على إجازة ولم يكلف أحداً من أصدقائه بالمرور علينا والعمل على تهذئة مخاوفنا من حالة الحرب المستمرة فى شرق وغرب القناة، تطورت الأحداث سريعاً وها قد وصل إلى سمعنا أن الأعداء واصلوا تقدمهم نحو مدينة السويس وقبلها حاولوا الوصول لمدينة الإسماعيلية وأخبار أخرى تقول إنهم يفكرون فى الوصول للقاهرة، انقلبت فرحة النصر إلى غم وهم وتعاليت الصيحات المنندة بأمريكا سبب الفسق والفساد فى المنطقة وأنها دائماً ما

تُغذى إسرائيل بالأسلحة والمعدات للعدوان على مَنْ يحيطون بها وبالأخص مصر .

توالت الأخبار وتوقف إطلاق النار وخمدت المدافع وانطفأت انفجارات الغضب بين الجيشين وتوقف نزيف الأرواح وتوالى تضميم جراح المصابين ومواراة الثرى للشهداء التى منعت تطورات الحرب من دفنهم وظلوا فى العراء عدة أيام تتحلل أجسادهم بجوار زملائهم الأحياء، كل هذا إستطاع بعض المراسلين العسكريين للصحف من نقلها من جبهة القتال، بدأنا نسمع عن مباحثات الكيلو ١٠١ بين الطرفين ولم نسمع أى شىء عن أحبائنا زهرة شباب الوطن وكان تلك الأرواح لا قيمة لها وكأنما هى أوراق شجرة ذبلت وريقاتها فسقطت دون اهتمام، شباب متميز أختير وانتقى من بين آلاف الشباب للدفع بهم لمقاومة العدو، وجزء كبير منهم تعلم والبعض تخرج من الجامعة مثل زوجى الحبيب عادل.

أشاهد نظرات الحزن والأسى فى وجوه مَنْ حولى سواء فى العمل أو من عائلة زوجى والذى بدى عليهم حالة الحزن الكامن واختفت الفرحة وانعدمت البسمة وخفت الحديث وتضاءلت الزيارات والخروج للتنزه بل ولشراء الاحتياجات المهمة وران سؤال دائم مستمر من كل من أعرفهم ولا أعرفهم لكنهم يعلمون حالى : " ما فيش أخبار عن الباش مهندس ؟ .. ناس كثيره يا اختى راحت فى البتاعه إللى اسمها الثغرة .. عليه العوض ومنه العوض " .. كنت راغبة فى الصراخ ومنعهم من الحديث لكن صوتى هو الآخر ران عليه صمت مطبق.

فى معسكر الأسرى بدأ واضحاً ما يُعانيه الجيش الإسرائيلى من جراء الحرب التى حدثت وبدأت رحاها منذ شهر تقريباً ورغم أننى لم أشارك منذ بدايتها ولم يكن لى تأثير فى البطولات التى حدثت أثناءها إلا أن الأسرى المحيطين بى من أسلحة مختلفة كانوا يقصون ويرون الكثير من الأعمال الفريدة والبطولات الفذة التى قام بها بعض الضباط والجنود ومنهم من نال الشهادة ومنهم من أصيب ويُعالج فى المستشفى، كانت بطولات خالدة أسعدتتى كثيراً ومن بينها بطولة زميلى ابن الشرقية احمد العزازى الذى كانت له بطولة مستحقة من أعمال تلغيم مرابض دبابات الجيش الإسرائيلى بعد العبور مباشرة فى مواجهة الفرقة السادسة عشر مشاة، كان من نتيجة هذا إصابة العديد من دبابات العدو ولا يقل عددها عن خمسة قطع بمن فى داخلها من جنود الأعداء.

\*\*\*

حينما علم زميلى أحمد العزازى بأنه قد حدث خطأ بينى وبين الشهيد محمد العادل كان فى دهشة وهو يردد : " يعنى إنت إللى كانت عيلة محمد يبشحتوا عليك فى الشارع والمقابر ؟ " .. ابتم حينما أكدت له هذا ورويت له بعضاً مما استطعت أن أتذكره لأن حالة الصمم وكف البصر كانت مؤثرة على حالتى النفسية وما كان يصل لسمعى بأننى أصبحت مثل البومة، والناس تخاف منى وأن بعض النساء اللاتى لا يستطعن الإنجاب

يجب عليهن لقاءى ليلاً كى يحدث لهن صدمة تخيفهن وتدفعهن للخلفة والإنجاب.

بدأت قوات الصليب الأحمر تقوم بالتفتيش والمتابعة لأحوال الأسرى وحمل بعض الهدايا من دولتنا بمصر ونقل بعض برقيات عامة بالتهنئة بحلول عيد الفطر المبارك، شعرنا بنوع من الفرحة بأن شعب مصر يحتفل تلك الأيام بعيد الفطر المبارك كى تدخل البهجة والفرحة قلوب المصريين، تطور الأمر من الصليب الأحمر لحمل رسائل إلى الأهل والأحباء، كانت الرسائل مختصرة لأن نموذج الرسالة الذى يسلم لكل أسير لا يسمح باللت والعجن، خططت رسالة إلى حبيبتى نسمة أو شهاب كما كنت أطلق عليها أثناء ابتعادها عنى، أصبحت شهاب لا أستطيع أن ألحق بها فدائماً ما تبعد عنى سواء من تصرف خاطئ من جانبها مثلما حدث فى سقوط عمارة الإسماعيلية أو من ظروف خدمتى فى الجيش والتعرض للإصابات المتتالية فى منطقة بحر البقر ثم حادث الاحتراق يوم الغارة الإسرائيلية، والآن حالة الأسر التى أعيشها.

نسمة :

سمعت طرقتاً على باب الشقة فتحركت نحوه أخرج ساقى بكل كمل حتى قمت بفتح المزلاج فشهدت العامل عيد الصغير الذى قدم تحيته لى ثم سلمتى خطاب وكان يُردد إنه من الهلال الأحمر، غادر باب الشقة ونظرت للخطاب وكان بادياً عليه أنه من الصليب الأحمر الدولى، فكرت

وتبعثرت أفكارى وحواسى من سؤال يرن فى أذنى : ماذا دهاه الصليب الأحمر ليرسل لى خطاباً ؟ ! .. عيد قال إنه من الهلال الأحمر وهذا منطقى بأن الهلال الأحمر يحث المواطنين على التبرع بالدم لعلاج الجرحى التى اكتظت بهم مستشفيات الجمهورية سواء مستشفيات عسكرية أو مدنية أو تابعة للجامعات ."

توجهت لطفلى الحبيبة أحنو عليها لأطفها فقد أتت إلى الحياة ووالدها فى عداد الشهداء ويعد أن عاد رجع مرة أخرى لساحة الحرب واختفى وقد انتهت الحرب منذ ثلاثة أسابيع وتبين لنا أنه لن يعود لأن العديد ممن حولى فى الجيش سواء جنوداً أو ضباطاً علم ذوهم بما حدث لهم إلا أنا، ويبدو أن طفلى سوف تشب بعد أن عاد أبوها شهيداً مرة أخرى، أتساءل بحزن : ماذا فعلنا كى يحدث لنا هذا ؟ كنا نعيش معالين فى مدينتنا الجميلة بهدوء وإذا اقترب أحد من أبناء المدينة من شاطئ القناة وشاهد البواخر التى تمخر عباب الماء يلوح بعلامة الترحيب لكل من يقف أعلى تلك البواخر .

فى ليلة وضحاها تهاجمنا إسرائيل وتقتل العديد من شبابنا فى سيناء حتى تصل إلى الشاطئ الشرقى للقناة وتتمسك به ثم تعاود متعة القتل العشوائى للجميع، قذف المبانى والإنشاءات والمدارس والقطارات؛ عادل حبيبي يصاب أثناء سيره بالقرب من مدرسة بحر البقر الابتدائية، وأنا أصاب أثناء عملى بمصنع ابوزعبل للمعادن وتهجر مدن القناة الثلاث وتُدفع دفعا لداخل الوادى وتتقلب وتتداخل علينا المستويات الاجتماعية

والأخلاقية بين الراقية والمنحطة ولم يعد هناك فارق بين الناس فالجميع  
سواسية أمام المجتمع المصرى وكلهم مُهجرين، وازدادت الأخلاق سوءاً  
بنمو الطبقة المهمشة السيئة التى كانت تعيش على الكفاف فى تلك المدن  
فاستفحل شرها وطال الأذى والضرر العديد من الناس.

عصراً تتهبت للخطاب الوارد من الصليب الأحمر الدولى، فتحت  
الخطاب على مهل دون إكتراث، فماذا يحمل لى هذا الخطاب من أخبار  
تخص الحبيب ؟ لاشيء .. لأن الجيش الذى يتبعه لم يرسل بعد أى  
خطاب بشأن استشهاده أو إصابته، هذا هو الخطاب، عيونى تجرى مسرعة  
بين سطوره القليلة ولا أستطيع فهم محتواه، أعيد القراءة مرة ثانية ولا أفهم  
محتواه، صعب علىّ حالى فقد أصبت بحالة من اللوثة العقلية ولم أعد قادرة  
على فهم الأمور، أسمع نقات على باب الشقة، أنهض لفتح الباب فمن  
المحتمل أن عيد أحضر هذا الخطاب خطأ، أشاهدها أمامى، صديقتى منذ  
مرحلة الشباب الأولى، رجاء التى بادرتنى بالتحية والقبلة الطيبة وهى  
تقدم تهنأتها لى وقد تتهبت وفوجئت بما تقول وحينما شاهدت حالة البلاهة  
التى أنا عليها قالت :

- " عيد قابلى وقال أنه جاب لك جواب من الهلال الأحمر " .

- " أيوه يا رجاء ، أدى الجواب " .

- " قرينته يا نسمة ؟ " .

- " مفهمتش منه حاجة " .

- " مش معقول " .

- " ده إللى حصل، لكنك جايه وبتباركى، على إيه ؟ " .

- " على أن عادل بخير " .

- " مين عرفك ؟ " .

- " محدش قال ليا حاجة لكن جواب من الهلال الأحمر يعنى من الصليب الأحمر الدولى وبيعرفك حاجة عن عادل " .

- " خدى الجواب إقرائيه يا رجاء " .

- " حاضر .. مساء الخير يا نسمة .. أنا عادل وبخير وأنا أسير هنا فى إسرائيل بقالى ثلاث أسابيع .. حالتى كويسه ومعايا معارف كثير ومنهم أحمد العزازى زميلنا فى الكلية والمعاملة عادية وقيام الحرب وانتصارنا عليهم خلتهم محترمين نفسهم شوية ولا تعذيب ولا قلة أدب، أسيبك دلوقتى لأن الورقة قريت تتلمى وسلمى على بابا وماما وأختى وجوزها ويوسى بنوتى حبيبتى وسمعت أن الفرج قريب فى العودة لمصر " .. عادل خاطر .

- " الحمد لله .. أسير يا عادل .. يعنى كل أنواع الحرب أخذتها .. إصابة ثم استشهداد ثم أسر، الحمد لله .. شكراً يا رجاء .. مكنتش فاهمة حاجة من

الجواب، ح أقوم آخذ حمام وأروح لبابا عادل ومامته وأبشرهم لأن حالتهم صعب جداً .

المعلم عوض :

مضت أربعة أشهر على أسر عادل شقيق زوجتى مديحة، كل يوم أشاهد الحزن والألم فى وجه والده ووالدته وأيضاً شقيقته، عادل زهرة طيبة شجاعة بعكس شقيقه الأكبر مصطفى الذى يسعى للحصول على كل شىء بالقوة والفتونة حتى حينما علم بامستشهاد شقيقه عادل منذ أكثر من ثلاثة أعوام جاء لوالديه يطلب بحقه فى ميراث شقيقه مما دفعنى للعراك معه، وكاد أن يصل هذا العراك اللفظى إلى التشابك بالأيدى وقام عدد من العقلاء بشرح وتوضيح نظام المواريث وأنه ليس له حق فى أن يرث شقيقه لأن والديه على قيد الحياة وله زوجة، ثم إن وزارة الحربية هى التى تقوم بتوزيع الميراث وليس أحد آخر ولهذا فلا تحاول إختلاق المشاكل فلن تحصل على مليم من ميراث شقيقك، وبدلاً من الجرى وراء المادة يجب عليك أن تترحم على روحه التى دفعها فى سبيل الوطن وتواسى والدك.

أشاهد سيارة قادمة ولهذا أسرع نحوها عيد الصغير مجرد أن شاهد الشاب الذى يستقلها مغادراً لها، أشاهد عيد يشاور لى والفرحة بادية عليه بل إن بعض أبناء السوق يطبلون وي زمرون للبطل العائد الباشمهندس عادل خاطر، مجرد أن تنبتهت من أفكارى حتى نهضت مسرعاً فى اتجاهه أقبله وأحتضنه، فشاهدته يسعى نحوى أيضاً والتقىنا ودموعنا تلاقىت عزيزة باكية

على المساعدة والحب الذى يربطنى بهذا الشاب اليفاع الذى لاقى ألوان العذاب أثناء تأدية خدمته العسكرية.

سرت برفقته إلى البيت وخلفنا العديد من أبناء الحى الشجعان المهنيين بسلامة العودة، لقد عاد البطل الذى كرمه رئيس الجمهورية الرئيس محمد أنور السادات بمنحه نوطة الشجاعة على ما قام به من شجاعة وتفان فى وجه العدو، لقد وصل النوط أول أمس وتسلمه عم زكى خاطر والده وبرفقته الشهادة التى تُمنح معه، كان أهل الحى فى منتهى السعادة حينما علموا أن الرئيس السادات كرم ابن حنتهم البطل عادل خاطر وطلب الجميع مشاهدة النوط والبعض قرأ الديباجة التى تسلمها عم زكى مع النوط أو التى يطلق عليها البراءة أى الشهادة التى تثبت لأى شخص أن هذا البطل يستحق هذا التقدير الممهور من رئيس الجمهورية.

عادل :

كان لقائى بوالدى فى منتهى السعادة والفرحة لدرجة أن أمى جاءت بحبل وربطت يدى بيدها كى لا أقلت منها ثانية مما دفع الجميع للضحك وكانت تبكى وهى تردد : " مجريتوش قلب الأم .. لو كنتم جريتم مكنتوش تضحكوا " .. جلست حوالى الساعة وطلب منى والدى أن اتجه لشقتى للقاء زوجتى وطفلتى والأيام القادمة كثيرة، وبالأخص حينما علموا بأننى أنهيت خدمتى العسكرية وسوف أتسلم شهادة تأدية الخدمة العسكرية الأسبوع

المقبل من قسم الاحتياط بإدارة شؤون ضباط القوات المسلحة ويمكننى على الفور استلام عملى السابق إلا إذا رغبت فى أن أظل فى القاهرة.

سرت بمفردى فى الشارع وتبين لى أن العديد من الناس لا يبصرون إلا إذا حدث تتيبه لذاكرتهم وضوضاء ورقص وغناء، ظللت سائراً حتى وصلت للعمارة التى بها شقتى وصعدت حتى الشقة وطرقت الباب عدة طرقات ولم يفتح الباب، أوعزت هذا بأن زوجتى لم تعد من عملها بعد وأنها سوف تعود وتعرج على الحضانة التى ترعى طفلتى، فضلت النزول والجلوس مع والديها وعمتها انتظاراً لحضورها ولم أعثر على أحد داخل الشقة رغم ضربات اليد المتتالية على الباب مما دفع بالسكان الأعلى لأن يأتى ويشاهدنى مرحباً بى وأخبرنى بأن عمه نسمة سافرت مع ابنتها للدولة العربية التى تعمل فيها وقبلها بأسبوع سافر كل من المعلم يونس وزوجته إلى الإسماعيلية استعداداً لتطهير القناة فقد أمرت الحكومة جميع العاملين بهيئة قناة السويس العودة إلى الإسماعيلية وحينما استفسرت عن نسمة أخبرنى بأنها لحقت بهم أيضاً.

عدت لوالداى وأخبرتهم بما حدث وكانت دهشتهم كبيرة وأن الدولة أعطت الجميع مدة الشهر للعودة لأعمالهم السابقة وأتينا سوف نعود للسويس بعد عشرة أيام، أمضيت بضيافتهم يومين إستعدت فيها جزءاً من عافيتى ثم سافرت لمدينة الإسماعيلية التى كنت أشاهد قوافل السيارات الملاكى والنقل والأجرة تتسارع إلى دخولها والسعادة والفرحة على وجوه الجميع، توجهت لمركز الإدارة الهندسية بالهيئة للمؤال عن المهندسة نسمة

أو المعلم يونس الوناش فالتقى بي أحد المهندسين الذى تعرف على ورحب بي كثيراً وأخبرنى أن المهندسة نسمة متواجدة بداخل القناة وستعود بعد دقائق.

انتهيت من تناول المشروب الذى أحضره لى ثم شاهدته ينهض وينظر من شبك المراقبة ليعلم لى أنها وصلت وترك المكتب وغادره وبقيت بمفردى، شاهدتها تسير بحذر وتقدم فى اتجاه المكتب وهى تتلفت من حولها ثم سمعت صوتها ينادى المهندس متسائلة من هو الشخص الذى فى انتظارى، ألقيت بالجريدة التى كنت أختفى خلفها جانباً ووقفت أمامها فشهقت وكاد أن يُغمى عليها فعاونتها على الوقوف مردداً : ح أفضل على كده .. يا أنفذك أو أنفذك .. مش معقول " .. تنبهت وضحكت وأمسكت بيدي تعبير مُسرعة حتى باب الإدارة وشاهدت جمعاً من الزملاء وأشارت لهم مرددة بصوت مرتفع : " أنا فى أجازة أسبوع " .

جلست بجوارى بسيارة العمل وسائق هيئة القناة ينقلنا إلى مسكنها الجديد، إحدى المساكن التى إستطاعت الهيئة أن توفرها أوتقوم بإصلاحها على عجل كى يعود العاملون استعداداً لتطهير القناة كما أمر رئيس الجمهورية، وصلنا إلى المكان المنشود وتوقف السائق، أعادت عليه نسمة قرارها بأنها فى إجازة لمدة أسبوع مما دفع السائق للضحك ونظر إلى قائلاً : " حمد لله على سلامتك يا بيه " .. صعدنا على سلم العمارة بسرعة حيث كانت تسير أمامى وتمسك بيدي اليسرى مهولة تتحدث بصوت مرتفع مما دفع بأمها لأن تفتح باب الشقة كى تعلم ما وراء صيحات ابنتها الوقورة.

شاهدتني أم زوجتي وأطلقت العديد من الزغاريد التي دفعت بكل من في المنزل إلى النزول والاستفسار وكل شخص يخبر آخر وأصبح السلم إذاعة لزغاريد الفرح والبهجة، جلست أستريح داخل الشقة بينما اختفت نسمة قليلاً وعادت بعد أن استبدلت ملابسها وهي تحمل طفلتنا الجميلة التي تبين لي أنها كانت في سابع نومه، حملتها وقبلتها وشعرت بأنها الحياة المتدفقة وبأنها حصلت على جزء من رائحة نسمة، تنبتهت من نومها وجلست على ساقى هادئة وادعة لا تحدث جلبية سوى أنها تحرك يديها في كل اتجاه محاولة أن تدفني للحديث لها وحدها حيث كانت تسلط نظرها على أثناء حديثي.

كنت أستعيد لقائي بوالد نسمة المعلم يونس الوناش ابن البلد الشهم الذي قبلني سعيداً باكياً بأنه كان يتمنى بأن يكون شاباً فتياً كي يقاوم العدو الذي حاول أن يدينس الأرض ومدينة الإسماعيلية الجميلة، اختفت نسمة قليلاً ثم عادت وهي تحمل شيئاً مثل الميدالية وعلقتها على جاكيت الصليب الأحمر الذي مازلت أرتديه مرده : " مبروك يا بطل .. نوط الشجاعة من الرئيس محمد أنور السادات " .. بينما والدتها تقف خلفها ممسكة ببراءة النوط وفضت الرباط من حوله وقرأت شهادة البراءة ولمعت عيوني بدموع الفرح والنصر.



## رق الحبيب

الخامس من شهر يونيو من عام ١٩٧٥:

هذا يوم عظيم، فقد صمم رئيس مصر وزعيمها المنتصر محمد أنور السادات أن يحتفل بعودة قناة السويس للملاحة فى هذا اليوم الذى حدثت به هزيمة عام ١٩٦٧ وبالتالى تحول يوم الهزيمة رغم مرارته إلى ذكرى جميلة تسعد الجميع، لقد بدأ الرئيس السادات فى تطهير قناة السويس من آثار المعارك بعد إتفاقيات فض الإشتباك بين مصر وإسرائيل التى بدأت أكلها فى شهر فبراير من عام ١٩٧٤ وفى نفس الوقت أصدر قرارا جمهورياً بإنشاء وزارة للتعمير كى تقوم على إعادة تعمير مدن القناة الثلاث وبالذات مدينتى الإسماعيلية والسويس، إنتهت خدمتى بالقوات المسلحة وعُدت إلى عملى بين ترحيب وتقدير كل الزملاء والرؤساء.

تقدمت بطلب نقلى إلى الإدارة الهندسية فى الإسماعيلية بدلا من عملى العابق فى محافظة السويس كى أظل بجوار زوجتى وطفلتى الصغيرة، لم يعارض أحد والتقيت ببعض الزملاء القدامى الذين تمنوا لى السعادة والخير بمحل عملى الجديد، كانت سعادتنا كبيرة فقد تم جمع شمل أسرتى الصغيرة وأيضاً أسرة عم يونس الوناش بينما عاد أبى وأمى وشقيقى مصطفى مجانص وأسرتهم إلى السويس، عاد أبى إلى شقته القديمة التى لم تطلها يد التدمير بينما تسلم شقيقى شقة متواضعة إلى حين الانتهاء من

المشاريع التي يقوم بها وزير التعمير ابن مدن القناة المهندس عثمان أحمد عثمان.

في الإسماعيلية انتشر جميع المهندسين والعمال كي تتم إعادة الحياة إلى شرايين المدينة، كان الجميع على أتم الاستعداد للعمل دون مقابل في سبيل مشاهدة مدينتهم تعود لسابق مجدها وجمالها، كنت أحد الجنود المهندسين الذين يعملون بلا كلل ولا ملل بينما زوجتى الحبيبة تكاد تعمل لأكثر من عشر ساعات يوميا لتأمين الملاحة في القناة، الجميع اهتم بعمله بوازع داخلي وطني محبب لكل شخص وخلال هذا كانت العلاقات الإنسانية الواضحة بين البشر تظهر وتتضح بأجل صورها من تكاتف الجميع وحلاوة اللقاء بعد غربة المكان التي استمرت ثمانية أعوام كانت صعبة على الجميع.

بدأت تظهر تباشير الأعمار وهذا هو الحى الذى أطلق عليه اسم الشيخ زايد حاكم دولة الإمارات العربية الذى تبرع بمبلغ من المال من أجل إعادة التعمير وتسكين مئات الأسر التى تهدمت منازلهم وأيضا الأسر الحديثة الزواج أمثالى أنا ونسمة، عم الفرح والسرور وبدأت المحافظة تقوم بتسليم الشقق الجديدة فى تلك الأحياء الحديثة التى تم التخطيط لها على أعلى مستوى وبدت الخضرة والأشجار تظهر على الحدائق والأماكن الفسيحة فالرمال والأرض الفضاء من حولنا، وما المانع فى توسعة الطرق ونشر الحدائق العامة كي يتنفس الناس الصعداء.

تبين للجهاز الهندسى التابع لمحافظة الإسماعيلية أن مدن المحافظة أصيبت بأضرار جسيمة سواء فى العاصمة الإسماعيلية أو مدينة القنطرة شرق وغرب وأيضا منطقة سرايوم وفايد وقمة فايد، كانت قرارات التعمير جريئة ولا تسائر القوانين واللوائح الباهتة التى لو إتبعنا لن نتقدم عملية التعمير بخطى ثابتة ولهذا كانت قرارات وزير التعمير والإسكان جريئة تتاسب الحدث وبمعاونة فعالة من سلاح المهندسين المصرى وقيادة الجيش الثانى سارت خطوات التعمير للأمام.

أثناء متابعتى لعملية التعمير شاهدت زميلى ابن الشرقية، أحمد العزازى الذى تم تكليفه مع العديد من المهندسين فى مختلف التخصصات بالمعاونة فى عمليات تعمير مدن القناة الثلاث والتى حظيت محافظة الإسماعيلية بنصيب الأسد نظراً للتدمير الهائل الذى لحق بأبنيتها ومرافقها.

كل عدة أيام كنت ألاحظ أن هناك خطوة للإمام فى طريق التعمير والإصلاح، فقد بدأ العمل فى إزالة أنقاض المباني المهدمة أو الآيلة للسقوط وفى نفس الوقت اصلاح المساكن التى يمكن اصلاحها حتى يمكن استقبال العديد من العائلات العائدة إلى المحافظة، كما قامت وزارة الترميم بإنشاء وحدات سريعة للمجمعات الاستهلاكية لامداد السكان باحتياجاتهم.

نسمة :

كانت عملية تطهير القناة فى منتهى الصعوبة وقامت أجهزة الأمن بتسهيل عودتى مع والدائى للمدينة ولم تترك أمامنا الوقت المتسع لوداع الجيران والأحباب ولهذا فقد أقبلت سيارة كبيرة من هيئة القناة واصطحبتنا إلى الإسماعيلية برفقة العديد من العاملين معنا من أماكن مختلفة، أصبحنا مثل المقبوض عليهم فى جريمة ومحولين للمحاكمة، فى داخل مبنى الهيئة اجتمع بنا نائب الرئيس للشئون الفنية والقى علينا بتقرير عن بعض الأضرار التى لحقت بالقناة، كانت الأضرار خطيرة ومازال عالق فى فكرى بعضها، كنت دائماً ما اتابع أى انجاز لعلاج تلك الأضرار .

أحد الأيام واثاء متابعتى الميدانية لأجهزة الاتصال التابعة للهيئة والمنتشرة على جانب القناة الغربى شاهدت فتاة جميلة وقد غطت الأتربة والقازورات ملابسها رغم كون ما ترتديه يناسب هذا النوع من الأعمال الشاقة، دنوت منها كى أشد على يدها بعد أن أخبرنى بعض ملاحظى قسم الكهرباء بالهيئة بأن المهندسة التى تشرف على عمليات إصلاح وإعادة التيار الكهربى إلى سابق عهده تعمل منذ الصباح الباكر حتى تغيب الشمس ولا تحصل على راحتها أبداً .

دنوت منها مشجعة وحينما نظرت فى عيونها الباهتة سمعت صوتها مرتجفاً تتحدث معى كأنها تعرفنى ولم أستطع استرجاع ذاكرتى نحوها إلا حينما قالت لى :

- " فآكره يا نسمة مشوار بركة السبع إالى رحناه سوا " .

تأكد لى وقتها أن تلك هى زميلتى وصديقتى سوزان ابنة الشرقية والتى حصلت على درجة الماجستير فى هندسة الكهرباء وتم الدفع بها وبالعدد من الأساتذة بالقسم والأقسام الأخرى بجميع جامعات مصر لمحاولة المساعدة فى اصلاح الأضرار التى لحقت بمدن القناة.

كانت سعادتى كبيرة وطلبت منها مرافقتى وقضاء الليلة معى، حاولت الاعتذار لكنى تشبثت بدعوتى وصممت عليها فرضخت وأقبلت معى بعد أن طلبت منها حمل بعض ملابس لها كى تحصل على حمام ساخن بشقتى، كنت أنظر إلى سوزان الجميلة وأستعيد رحلة بركة السبع وشجاعة تلك الفتاة والتى أخبرتتى بأن خطبتها لزميلها ممدوح تمت منذ شهر تقريباً وهو من الدفعة السابقة لدفعتنا.

أمضينا ليلة طيبة معاً وترك لنا عادل الشقة واكتفى بالاقامة لدى المعلم يونس ووالدتى وأسعدهم هذا وكانت أمنياتهم بأن تظل سوزان ضيفة على حتى إنتهاء مرحلة التعمير .

عادل :

مضى العام الأول من جهود التعمير المتواصل التى كانت ملحمتها تشبه ملحمة بناء السد العالى، فالجميع راغب بالتعمير والاصلاح وعودة الحياة وإزالة كل أثر همجى من كره وحقد الإسرائيليين، كنت أفتقى تطور

عمليات الإصلاح وأعد تقريراً أقدمه كل يوم إلى محافظ الإسمايلية ومراقبوه من الجيش ومن الهيئة ومن وزارة التعمير وأشرح وأوضح فيه كل الإنجازات التي تمت والمعوقات المطلوب حلها والتي كانت تجد حلاً فوراً طالما إبتعد العاملون عن بيروقراطية القرارات الحكومية التي يستتر خلفها دعاة الكسل والإنهزامية.

نسمة :

اقترب العمل من نهايته، فقد مضى عام ١٩٧٤ بالكامل وتبعه الشهر الأربعة الأولى من عام ١٩٧٥ ولم يتبق على موعد إفتتاح القناة سوى أسبوعين فقط، جلس معنا رئيس الهيئة يوضح الانجازات التي تمت بأيدي المصريين في جميع القطاعات ومن تقرير مبسط تلاه علينا أخذت تلك الفقرات كي أستعيدها من حين لآخر على أبنائي حينما يشبوا ليعلموا أن هذا الجيل الذي كان شاباً يافعاً في فترة الستينات كان جيلاً قوياً مخلصاً لوطنه حارب بشرف وأمانه وأيضاً عمر وشيد بكل اخلاص وتضحية .. كان التقرير يشمل :

أن عملية تطهير المجرى الممتلئ ببقايا الحروب والألغام بدأت أوائل ديسمبر ١٩٧٣، حيث تم إعداد ميناء بورسعيد لاستقبال كاسحات الألغام من أمريكا وبريطانيا وفرنسا ساهمت بالمعاونة الفنية، لكنها لم تتعامل مباشرة مع الألغام والمفرقات، حيث طالبت وقتئذ بتولى رجال البحرية المصرية جميع عمليات التطهير في القاع وعلى ضفتي القناة، وهو ما تم إنجازهُ،

لتصبح القناة أكثر الممرات الملاحية أمناً في العالم منذ ذلك التاريخ كما أن فريقاً للإنقاذ والمكون من ١٠ غطاسين و١٥ بحاراً و٦ إداريين وبإمكانيات بسيطة للغاية انتشلوا ٤٨ عائقاً من السفن الصغيرة والقاطرات وناقلات المياه ولنشات الخدمة التي غرقت خلال الحرب بميناء بورسعيد، ووصل وزن تلك القطع إلى ما يقرب من ٣٥ ألف طن.

تم تشكيل فريق آخر من ١٠٠ فرد من رجال البحرية المصرية لتطهير القناة من الألغام والقنابل، بداية من فبراير ١٩٧٤، وقدم سلاح المهندسين ٥ مجموعات متخصصة في رفع وتفجير الألغام، التي وصلت إلى ٦٨٨ ألف لغم وقنبلة على ضفتي القناة، و٤٢ ألف لغم وقنبلة وصاروخ من قاعها.

كنت في منتهى السعادة حينما كنت أستعيد قراءة هذا التقرير، لقد عملنا جميعاً وعاد المحاربون ليقفوا مع المدنيين من أجل بناء الوطن الصغير من محافظات مدن القناة وقراها وليستعيدوا حياة هذا المرفق المائي للنقل بين دول العالم وما يتبع هذا من عوائد مادية تفيد ميزانية الدولة وتساعد على نمو الإقتصاد.

عادل :

لقد كانت فترة التهجير صعبة على الجميع، لقد عاش أبناء الإسماعيلية في ظروف وأحوال لم يعتادوا عليها لاختلاف الموقع الجغرافي وأيضاً لاختلاف طبائع البشر، يضاف إلى كل هذا حالة التزاحم التي حدثت بين

السكان من ابناء المنطقة والمهاجرين القادمين وما يحدث خلالها فى بعض الحالات من التشاحن والتعارك وسرعان ما تنوب مثل حصوة الملح حين تسقط فى الماء، ويعم التصالح والتراضى والاعتذار المتبادل.

سارت الحياة بنا سيراً جميلاً طيباً، شعرت خلال تلك الفترة بأن الله وفقنى فى الزوجة الجميلة الصالحة، لم تتبدل أو تتغير مقاييس حبى نحو نسمة وظلت أمام عيناى وحواسى فتاة الأحلام التى كنت أسارع الأيام كى أخرج وأقترن بها وأعيش وأحيا بجوارها، لكن المعتدين هدموا كل صرح للحب وعُش للرومانسية بهجمتهم التتريّة على مصر وشعبها، كنت أراقب نسمة أثناء جلوسى بشققتنا الجميلة المتسعة بحى الشيخ زايد، لم تتبدل أو تتغير، نسمة ابنة المعلم يونس الوناش الرجل المجدع العترة كما يطلق عليه زملاؤه بل وصبياناه الذين يتلقون التدريب العملى على يديه.

بعد اقتنائنا لسيارة صغيرة زهيدة الثمن نسبياً كنت أتجول فى شوارع المدينة سواء القديمة بمنشئاتها الجميلة أو بالعمارات الحديثة ومن حولنا الخضرة والأزهار، أشاهد حكمة الله على عباده بأن متعمهم بكل شىء يبهج على الحياة فى صور متعددة سواء بمشاهدة تلك الصور الجمالية البديعة من الزهور والنباتات والحدائق المتسعة أو من البشر وتنوع الأشكال والأحجام وأيضاً حواء وزينتها وملابسها الملونة مثل حدائق الزهور.

كل هذا كان يثير فى نفسى الكثير من الألم والحزن على أبناء مدن القناة على أثر نكسة عام ١٩٦٧، لن أنسى ما شاهدته من جموع البشر من نساء

وأطفال ورجال تعدت أعمارهم الخمسين والستين يفترشون الأرض فى أماكن كثيرة بعد قرار التهجير وبالذات ما تلى تدمير المدمرة الإسرائيلية إيلات وحالة الصرع والجنون التى اجتاحت قادة العدو وبعد أن دمروا مصاف البترول بمنطقة الزيتية وصهروا الحديد والمنطقة انهالوا تدميراً فى أحياء السويس والإسماعيلية والتى تهاوت المنازل تحت انفجارات دانات المدفعية الثقيلة.

ليلاً أثناء توجهى من وحدتى فى السويس للقاعدة الإدارية التابعة للجيش الثانى بمدينة الزقازيق وأثناء سيرى مغادراً رصيف محطة القطارات ونزولى للنفق الذى يعبر بى بين خطوط القطارات هالنى جموع البشر التى افترشت المكان، وشاهدت حياة هؤلاء الناس وتردى الأوضاع الاجتماعية وحالات الخجل والحرج التى كانت تقابل النساء والفتيات من أجل قضاء حاجاتهن، كانت تلك الحالة للرجال سهلة بأى دورة مياه مسجد يمكن علاج تلك المشكلة لكن بالنسبة للنساء فكانت تسبب حرجاً بليغاً.

حينما شاهدت هذا الأمر لا أعلم كيف توجهت لمبنى محافظة الشرقية ودخلت مباشرة للقاء المحافظ وأعتقد أنه الدكتور فؤاد محيى الدين الذى أصبح رئيساً لوزراء مصر بعد هذا بعدة أعوام، شرحت له الحالة وقطب الرجل بين حاجبيه وتساءل .. هل " أتيت للقائى بصفة رسمية " .. حينما شاهدنى ارتدى الملابس العسكرية لكنى أجبته بأننى أتيت بصفة إنسانية لطبيب يعلم ويقدر حاجة الإنسان لمثل تلك الخدمات.

نهض الرجل على الفور وسار بصحبتى على قدميه حتى مكان نفق المحطة دون تابع أو مهلل وهناك سار بين الأسر وشاهد حالة العوز والفاقة وتردى الأوضاع الصحية، أشار لبعض الرجال وطلب منهم تعيين واختيار واحد يتحدث باسمهم ويصبح حلقة الوصل مع الحكم المحلى، أجمع الرجال على أحد الأشخاص وتعرف المحافظ عليه وسلمه رقم هاتف مكتبه بعد أن قام بتعريف نفسه لمن حوله.

طلب منهم منحه مُهلة ساعتين وسوف يتم علاج كل هذا الوضع السييء، قبل مضى ساعتين حضرت إلى المكان سيارت تابعة للمحافظة وقام بعض العمال بحمل أغراض العائلات التى كانت تتساعل إلى أين ؟ ! .. وكان يرافقهم مدير العلاقات العامة وسيارة شرطة النجدة التى كانت على اتصال مستمر بمكتب المحافظ، تحركت السيارات تحمل هؤلاء التعساء وهم لا يعلمون مصيرهم الذى ينتظرهم لكنهم سلموا أمرهم لله ولن يكون القادم أسوأ من نيران العدو وقنابله وطائراته.

دخلت السيارات إلى إسناد المدينة وهناك شاهدت المحافظ فى انتظار الجميع مرحباً بهم وتحدث مع المندوب المختار قائلاً : كل أسرة سوف تحصل على كابينه من كبائن الاسناد التى يستخدمها الرياضيين للراحة وتساؤل المتحدث : " هل سينام الناس أرضاً فوق البلاط ؟ " .. ابتسم له المحافظ وأمسك بيده وسرنا ودخلنا لاحدى تلك الكبائن فهتف الرجل ومن معه ممن تابعوا سيرنا بالدعاء لمصر وللمحافظ الرحيم.

كل كايينة كانت مُجهزة بعدد من الأسرة والمراتب والكوفرتات والبطاطين وبها مكان فسيح للجلوس بمقاعد وثيرة جمعها المحافظ من إدارات المحافظة المختلفة، وحينما تساعل أحد مديري تلك الإدارات أين سيجلس ضيوف تلك المكاتب ؟ .. رد عليه المحافظ بأن يقوم بالجلوس مع ضيوفه على رصيف المحافظة، أما الآن فيجب علينا رعاية أبناء مصر تحت خط النار.

مضت عدة ساعات وتم تسكين الجميع بكباينهم وقسمت دورات المياه المنتشرة في الإستاد بين النساء والرجال وقام على خدمتها عاملون رجال لدورات الرجال ونساء لدورات النساء مع وجود انتشار لرجال الشرطة، بعد قليل طلب المحافظ من المتحدث باسم العائلات أن يخبرهم بالتوجه لقاعة الطعام المخصصة للحفلات التي تقيمها المحافظة، كان الناس يسيرون غير مصدقين ما حدث، في صالة الطعام شاهدت المحافظ واقفاً بنفسه ومعه بعض معاونيه وقد رصت أطباق الطعام على الموائد وكنا نشاهد تصاعد أبخرة الطعام الطازج الساخن ورائحته تغزو الأنوف.

كان الوقت قد أزف ووصل الوقت إلى الساعة الثانية عشر منتصف الليل، ترك المهاجرون الصالة عائدين إلى كباينهم المرقمة وكل عائلة تعلم رقم الكايينة، كان الكثير منهم يرفع يديه بالدعاء لهذا الرجل الذي استطاع أن يُسخر إمكانيات الدولة لأبناء الدولة المقهورين وسمعت صوت عم بُرعى المسئول عن المهجرين يخبر الجميع أن موعد الإفطار الساعة الثامنة ولا يدفع بقشيش لأحد أو أى رسوم، وأى تهاون من العاملين هنا يتم إبلاغه به

كى يقوم بإبلاغ مندوبى المحافظ الذى عينهم على ثلاثة فترات لمدة أربع وعشرين ساعة.

توجهت للقاعدة الادارية وبداخل الامتراحة أقيت بجسدى المنهك على السرير وأمام عيني كنت أشاهد بطولة موظف عام بالدولة نهض وحطم القواعد والروتين وخفف الألم عن هؤلاء التعساء الذى كنت أسمع نبرات صوته الحزينه وهو يردد إذا لم يأت للقائى هذا الضابط الشاب ما الذى كان سيحدث لهؤلاء، ولهذا فقد أصدر تعليماته لرؤساء المدن بالمحافظة بالبحث عن المهجرين الذين لم يتم تسكينهم والعمل على راحتهم محذراً من الإهمال والتقصير.

مضت الأيام بنا سعيدة وسارت الحياة على سنة الخالق وبدأت الأمراض تهاجم الكبار وبدا أنهم راغبون فى توديع الحياة بعد أن عادوا لأرضهم التى نبتوا فيها وعاشوا بين جوانبها واشتموا عطر شذاها ولفحتهم نسائم القناة المنعشة وشاهدوا تلك البواخر العملاقة تسير فى القناة وتعطى الخير لمصر وفى نفس الوقت يشعر أصحابها بالسعادة لتلك الخدمة لاقتصار طريق السفر والنقل البحرى.

فى خلال تلك الفترة أنجبت زوجتى طفلين بالتوالى، أحمد وسعاد بينما الكبرى مى كانت تسير سيراً حسناً فى المدرسة سرعان ما لحق بها شقيقها وشقيقتها وأصبح فى المنزل ثلاثة من الشباب اليافع الذى تسليح بالعلم والرياضة والرقى بالعيش فى أماكن مميزة بمدينة الإسماعيلية الجميلة التى

أنجبت زوجتى الحبيبة نسمة، تعدت الأعوام فى علاقتنا الثلاثين عاماً زواج وقبلها خمسة أعوام دراسة جميلة تظللها الحياة الهادئة فى مصر بتوالى تحقيق النجاح فى جميع مجالات الحياة، كما لفتى مع نسمة قصة حب جميلة ترعرعت على ضفاف النيل وأصبحت نسمة بالنسبة لى هى النيل مصدر الحياة واستمرارها.

أحد الأيام وبداية شهور الصيف أخذنا السيارة وتوجهنا شمال مستشفى نمره ستة، كنا قريبين من كوبرى الفردان المُعطل، كان هذا منتصف عام ١٩٩٥، جلسنا على حافة القناة المبطنه بالأحجار، أرسلنا نظراتنا للجهة الأخرى ناحية الشرق وشاهدنا آثار ما قام به جيل الشباب الذى كان فى نفس عمرنا، وكنت أنا من بينهم لكنى لم أنل شرف عملية العبور نظراً لحالتى الصحية وقتها من إصابة كمين العدو بطريق السويس، كنا نعلم أن تضحيات كثيرة تمت على يد أفضل الشباب فى مصر صحياً وبدنياً وثقافياً وعلمياً.

بتلك الأرواح وعرق هؤلاء الشباب استردت مصر أرضها ومنهم من ظل على قيد الحياة ومنهم من نال شرف الإصابة، أما الصنف الأخير وهو من مات شهيداً فنال الجنة وأصبح مع النبيين والصدّيقين، هذا الصنف من الرجال هو الوحيد الذى كرمه الله أن يلقاه دون غُسل أو كفن وأن يظل بثياب الحرب دليلاً على جهاده ضد الأعداء ولهذا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من مات دون أرضه فهو شهيد، ومن مات دون عرضه

فهو شهيد ومن مات دون ماله فهو شهيد " .. صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

### قصة حب عمرها خمسة وثلاثون عاماً :

هذا يوم سعيد فى حياتنا، فبالأمس تم زواج ابنتى الصغيرة بعد زواج شقيقتها (مى) منذ خمسة أعوام والتي أنجبت لنا أول حفيد نلهو به ونتمتع بالنظر لتلك الطفولة الجميلة بوجهها البرىء وأستعيد ذكرى طفولة أبنائنا التى نسيناها، أو لم ننتبه لها فى غمرة مشاكل الحياة واندفاع الشباب لكن الأحفاد يأتون للحياة وقد تعدت أعمار الأجداد الخمسين والستين عاماً، وأصبحت حركاتهم هادئة وسرعة الرد والاستجابة أقل ومن أجل هذا يصبحون قرييين من تصرفات الأطفال وهذا ما يدفع بالأحفاد إلى التعلق بالأجداد.

الحمد لله .. فقد أكرمنا الله بأبنائنا وها قد سار ابنى أحمد على نهج خاله محمود وأصبح طبيياً نابغاً منذ ثلاثة أعوام ويستعد الآن للبحث عن رفيقة الحياة زوجة المستقبل وأم الأبناء وليلحق بالمعاقبين ويعير على منوالهم؛ هذا اليوم كان الموافق للسامس من أكتوبر وفيه تحصل المصالح الحكومية على إجازة للاحتفال بتلك المناسبة الغالية على كل المصريين وبالأخص أبناء مدن القناة الذين ذاقوا الهجر القسرى من مدنهم ومنازلهم لأكثر من سبعة أعوام، كما يمثل هذا اليوم بالنسبة لى يوم سعادة وفرحة فقد نطق لسانى بعد أن ظل صامتاً عدة أعوام لا أردد خلالها سوى كلمة

"عَد" حيث كنت راغباً فى أن أخبر كل من حولى بأننى عادل وليس شخص آخر، لكن حالتى العصبية والنفسية تأثرت من الإصابة التى لحقت بى فلجمت لسانى بالحديث.

ركبت السيارة وجوارى رفيقتى الغالية نسمة تلك المسيدة وقبلها الفتاة التى ربطتتى بها قصة حب تحدث عنها الكثيرين سواء زملاء الدراسة أو الأقراب أو بعض العائلات الصديقة، مازالت على عهدا من الرقة والأنوثة وقد أصبحت جدة ولم يطرأ عليها أى تغيير أو تبديل فى شكلها سوى بعض شعيرات بيضاء قامت بإخفائها بصبغات الشعر المخصصة لهذا الغرض، مع زيادة قليلة فى الوزن عدا ذلك فهى نسمة الحبيبة أو سندريلا كلية الهندسة.

وصلنا إلى مفترق الطرق وعبرنا شريط المسكة الحديد الذى يعبر القناة من فوق كوبرى الفردان بعدها توقفنا بالسيارة كى نستعيد ذكريات مضت من حياتنا، ورغم الصعاب التى قابلتنا نحن الاثنان سواء من التهجير أو فقد الاتصال لعدم دقة المعلومات أو الإصابة التى لحقت بنا نحن الاثنان سواء بى أثناء قصف الأعداء لمدرسة بحر البقر أو لنسمة بعد إصابتي وقصف مصنع أبو زعبل.

ركنت السيارة جانباً وأقبلت نسمة تحمل مفرشاً لنجلس عليه أرضاً ومعها بعض السندوتشات الخفيفة وعلب المشروبات الغازية والمنجعة فمازل الطقس حاراً بداية شهر أكتوبر، كنا نضحك والمعادة تلفنا وليس هناك أحد

بجوارنا يتلصص على حديثنا أو يُراقب حركاتنا، كان الهدوء شاملاً حيث انطلق البعض إلى المصايف والبلاجات للهو والمتعة، فجأة صرخت نسمة ووضعت يدها على فمها وهي تشير نحو الماء مرددة:

- " الحق يا عادل .. الجزمة الشمال انسلت من رجلى ونزلت الميه " .. نظرت للمياه وشاهدت فردة حذائها تغوص فى الماء بفعل الأمواج الصناعية التى تحدثها البواخر العابرة للقناة .. ظلت ساكناً ونظرت إلى مرددة : " كده يا عادل .. فين حبك وفين الشهامة " .. ضحكت لحديثها قائلاً :

- " شهامة يه ؟ .. من ٣٥ سنة وأنا شغال فى حكاية جزمتهك إالى بتقع فى الميه، الأفضل كنتى إجوزتى غطاس مش مهندس " .. ضحكت ونظرت إلى عاتبة مرددة :

- " بيدى لا بيد عمر " .. فجأة شاهدتها تقفز فى الماء بملابسها كاملة وهى تلوح لى مرددة : " الوداع يا عادل .. أردد فى داخلى " .. " يا نهار مش فايت .. ح أرجع البيت من غير نسمة .. لا .. مش وقته " .. قفزت خلفها وبعد جهد استطعت الوصول لمكانها قريباً من الشمندورة التى تحدد لقبطان السفينة بالآلا يقترب منها لأن هذا معناه الاصطدام بشاطئ القناة الصخرى .. تبين لى أن نسمة سباحة ماهرة .. جذبتها نحوى واحتضنتها بقوة وهى تصيح محذرة بأننا فى الشارع وفى الميه ومن المحتمل أن نشاهدنا الأسماك والقواقع !!

قفزت وركبت على ظهري وُعدت سابحاً بها حتى السياج الحجري للقناة وتسلفته ومددت يدي وأمسكت بيدها أعاونها على الصعود وبعد أن وقفنا خارج القناة وملابنا مبتلة بالكامل نظرت إليها متسائلاً :

- " نسمة .. فين فردة الجزمة الثانية، بقيتى حافيه وضاعت الفردتين ؟ !! " .

ضحكنا لهذا وسرنا متشابكى الأيدي نحو السيارة لهذا الموقف وسيطرت عليها ضحكة مستمرة وهي تخبرني بأنها سوف تتخل العماره حافية القدمين مبتلة الملابس، أثناء هذا نمتى إلى مسامعنا صوت مكرر وغريب علينا وحين النظر نحو مصدر الصوت الذى كان آتياً من جهة القناة شاهدنا زوج من الدرافيل يقف فى الماء محييا لنا فلوحنا لهما وكانت المفاجأة أن الدرافيل غطست داخل الماء وشاهدناهم يظهرن ثانية، وبأقصى سرعة قذف كل درفيل بفردة حذاء خارج القناة ووقفنا صامتين فقد تملكنتى الدهشة والمفاجأة.

عادت الدرافيل بظورها ومازالت تحدث صوتا ونحن نلوح لهما واختفت ونظرت إلى نسمة مردداً :

- نسمة .. من أكثر من ٣٥ سنة جه الأمير وأنقذ جزمة سندريلا ودلوقتى جه أميران وأنقذا فردتى جزمة سندريلا، يه رأيك أحذفك فى الميه عشان الأميرين منتظرينك !

وضعت. الحذاء بقدميها وركبتا السيارة ونحن نضحك كما لم نضحك من قبل وكانت سعادتنا غامرة وعادت إلينا الأيام الجميلة أثناء الدراسة وأشرت لملابسها وملابسي بأننا أصبحنا نرتدى ملابس مبتلة، ولحقتي بي مثل ما حدث لي منذ ٣٥ عام، لم تعلق لكن عيونها كانت أكبر معلق على ما حدث ثم أدارت راديو السيارة وخرج منه صوت عبدالحليم حافظ بأغنية لو كنت يوم أنساك:

لو كنت يوم انساك .. ايه افكر تاني

بالي وخيالي معاك .. وكل وجداني

الحب اللي في قلبي .. والدمع اللي في عيني

والنار اللي في جنبي .. والشوق اللي كاويني

أثناء سماع الأغنية اقتربت نسمة من أذني مررودة بصوت خافت :

- " عادل .. عايزه أروح حالاً .. خلاص أنا بقيت مخدرة " .

هكذا عدنا إلى شقتنا وتوقف اللسان عن الكلام المباح وبدأت لغة الإشارة وهكذا استمرت قصة حياتي وحيي مع مَنْ ملك حُبها شِغاف قلبي .. حبيتي وأم ابنائى نسمة والنيل.

تمت والحمد لله

## من إصدارات المؤلف:

- \* الناس والحرب .. الطبعة الثانية مايو ٢٠٠٩
- \* رسالة إلى الرئيس .. الطبعة الثانية يونيو ٢٠١٠
- \* مصر التي .. الطبعة الرابعة نوفمبر ٢٠١٣
- \* نص نقل .. الطبعة الثانية يوليو ٢٠٠٩
- \* مسافرٌ زاده الخيال... الطبعة الثانية سبتمبر ٢٠١٢
- \* حورية بين النخيل .. الطبعة الثالثة نوفمبر ٢٠١٣
- \* الحب والحرماني .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
- \* همسات مصرية
- \* صوت الملايك
- \* بنت الباشا .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
- \* بُثينة
- \* عابد المصري
- \* رحلة الألف يوم
- \* لقاء في الطائرة
- \* العصفور وأنا .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
- \* رجاله ورق للبيع .. ملهارة
- \* أيام من عمري .. الطبعة الثانية نوفمبر ٢٠١٣
- \* فهد الليل
- \* نور العيون



رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق الرسمية

٢٠١٤ / ١٥٦٨١

